

المبشرات

مَجَلَّةٌ فَضَلِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

تُعْنَى بِعُلُومِ كِتَابِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
وَبِسِيَرَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ وَفِكَرِهِ

تَصَدَّرُ عَنْ

الْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ لِلْعَبَّاتِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ
مُؤَسَّسَةِ عُلُومِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

السنة الرابعة - العدد التاسع

ربيع الأول ١٤٤١ هـ - تشرين الثاني ٢٠١٩ م



الترقيم الدولي: ISSN 2414-1313

العنوان: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة

مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢١٧٨ لسنة ٢٠١٦م

للمعلومات والاتصال

٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

البريد الإلكتروني: info@inahj.org

تنويه: إن الأفكار والآراء الواردة في أبحاث هذه المجلة تعبر عن وجهة نظر
كتّابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكُلِّمْنِي

أَحْصِينَا فِي إمامِ مَبِينِنَا

(سورة يس، الآية: ١٢)

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.
رقم تصنيف LC:	BP1.1 M83. V4. N9 2019.
الرقم العالمي	١٣١٣ - ٢٤١٤.
للدوريات (رمد):	
العنوان:	المبين: مجلة فصلية محكمة تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.
بيان المسؤولية:	مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.
بيانات المطبوعة:	الطبعة الأولى.
بيانات النشر:	كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة- مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م
الوصف المادي:	مجلد.
سلسلة النشر:	(مؤسسة علوم نهج البلاغة):
تبصرة دورية:	الوصف مأخوذ من: السنة الرابعة، العدد الثامن (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م)
تبصرة دورية:	فصلية.
موضوع شخصي:	علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - سيرة- دوريات.
موضوع شخصي:	الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ - ٤٠٦ هجرياً - نهج البلاغة - شرح- دوريات.
موضوع شخصي:	علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - أحاديث- دوريات.
مصطلح موضوعي:	البلاغة العربية- دوريات.
مصطلح موضوعي:	الإسلام - دوريات.
مصطلح موضوعي:	عقائد الشيعة الإمامية- دوريات.
مؤلف إضافي:	الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ - ٤٠٦ هجرياً - نهج البلاغة - شرح- دوريات.
عنوان إضافي:	نهج البلاغة. شرح. دوريات.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ISBN 978-9933-582-00-5



9 789933 582005

رئيس التحرير

أ.د. عبد علي حسين الفحاح
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

مدير التحرير

أ.د. علي عبد الفتاح الحاج
جامعة بابل - كلية التربية للعلوم الإنسانية

هياة التحرير

أ. د. عبد علي سفيح الطائي

مستشار وزارة التربية- فرنسا

أ. د. صلاح مهدي الفرطوسي

جامعة روتردام الإسلامية- هولندا

أ. د. جواد كاظم النصر الله

جامعة البصرة- كلية الآداب

أ. د. عبد الحسين عبد الرضا العمري

جامعة ذي قار- كلية الآداب

أ. د. حسين علي الشرهاني

جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. د. محمد حسنين النقوي

جامعة بهاء الدين- باكستان

أ. م. د. مصطفى كاظم شغيدل

جامعة بغداد- كلية الآداب

أ. م. د. نعمة دهش فرحان الطائي

جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد

م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني

مديرية التربية- النجف الأشرف

أ. م. د. احمد حسين عبد السادة

جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية

مراجعة النصوص العربية

م.م. عمار حسن الخزاعي م.م. علي عباس الربيعي

الإدارة والمالية

زمان جعفر كاظم

أحمد عدنان المعمار

علي جاسم محمد علي

ترجمة

حسن علي عبد الأمير

الإخراج والتصميم

أحمد عباس مهدي

Ref. No.:

Date: / /

العدد: ١١٢٤٥
التاريخ: ١٧/٤/٢٠١٦
مؤسسة علوم نيج البلاغة / الأمانة العامة للجنة الحسينية المقدسة /
م/تحكيم مجلة علمية



١٢١١
٤٠٢٤١٢٨
تجربة طيبة:

اشارة الى كتابك المرقم بالعدد ٥٨ في ٢٠١٦/٣/٢٢ والمحاق بكتابنا المرقم بالعدد ١٠٢٣٧ في
٢٠١٦/٤/١٨ نود احاطتكك علما بالموافقة على اعتماد مجلتك الموسومة (المين) مجلة محكمة ورسنية لاغراض
نشر البحوث العلمية ومن قبل جامعتنا فقط مراجين لكك دوام الاتزدهار والتوفيق مع الاحترام

أ.م.د. قحطان هادي الجبوري
مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية
٢٠١٦/٤/٢٨

صورة منه الى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة مع الاحترام .
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية . . . للتفضل بالاطلاع مع الاحترام .
- كلية الدراسات القرآنية مع الاحترام .
- قسم البحث والتطوير /مع الاوليات .
- الصادرة .



Babylon_research@yahoo.com
babylon_research@uobabylon.edu.iq

Researchdep@gmail.com
Researchdep@uobabylon.edu.iq

Ministry of Higher
Education
& Scientific Research
UoWassit

العدد: ١٤٦٠١
التاريخ: ٢٠١٦/١١/٢٤
المصداق:



((معاً لمساندة القوات المسلحة لدرء الإرهاب))

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة واسط
قسم البحث والتطوير

إلى / الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

م/ تحكيم مجلة علمية

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم ذي العدد/ ٤٨٧ في ٢٤/٨/٢٠١٦، نود إعلامكم بأنه تمت الموافقة على اعتماد مجلتكم الموسومة (المبين) مجلة محكمة رصينة لأغراض نشر البحوث العلمية من قبل جامعتنا .

مع التقدير

أ.م.د. هاشم علي يسر
مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية

أ. م. د. هاشم علي يسر

مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية

٢٠١٦ / ١١ / ٢٤



نسخة منه الى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة / للتفضل بالاطلاع لطفاً مع التقدير
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية والدراسات العليا / للتفضل بالاطلاع لطفاً مع التقدير
- قسم البحث والتطوير / مع الاوليات
- البريد الالكتروني / لاتخاذ اللازم ... مع التقدير
- المصادرة

الى

-mail: quality_dep@uowassit.edu.iq

www.univofwassit.org

Tel : 324186

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education and Scientific Research
University of Thi-Qar
Bureau of University President



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذي قار
مكتب رئيس الجامعة

Ref:
Date: / /

العدد / ٢٢٦٨
التاريخ ٢٠١٧ / ٣ / ١٣



الى / الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

مؤسسة علوم نهج البلاغة

م / تحكيم مجلة علمية

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

إشارة الى كتابكم ذي العدد ٤٨٩ في ٢٤/٨/٢٠١٦ .
وبناءً على مصادقة مجلس الجامعة بجلسته العاشرة المنعقدة بتاريخ ٢٠١٧/٣/٦
نود إعلامكم بأنه تمت الموافقة على اعتماد مجلتكم الموسومة (المبين) مجلة محكمة ورسنية
لإغراض نشر البحوث العلمية من قبل جامعتنا.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أ.د. رياض شنتنة جبر

رئيس جامعة ذي قار / وكالة

٢٠١٧/٣/١٢

نسخة منه الى //

- السيد رئيس الجامعة للتفضل بالإطلاع ... مع التقدير .
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون الادارية ... للطم ... مع التقدير .
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية ... للعلم ... مع التقدير .
- أمارة مجلس الجامعة ... للطم ... مع التقدير .
- الكليات كافة ... للطم ... مع التقدير .
- الصادرة .
- الحفظ .

بص جيبت

العراق - ذي قار - الناصرية - المدينة الجامعية - المصطفاوية

university_of_thi_qar@yahoo.com

university.of.thiqr@utq.edu.iq



No :
Date:

العدد : ش / ع ٨٨٤٤
التاريخ : ٢٠١٧ / ١٩ / ١



« بحيشنا والحشد الشعبي العراق أقوى وأمضى »

(امر جامعي)

م / اعتماد مجلة

اشارة الى كتاب امانة مجلس الجامعة المرقم (م . ج / ٥٧٢ س) في ٢٠١٧/١٠/١١ والمتضمن محضر الجلسة الاولى للدراسة الصباحية لمجلس جامعتنا للعام الدراسي ٢٠١٧/٢٠١٨ المعقد بتاريخ ٢٠١٧/١٠/١ تقرر:

- قبول اعتماد مجلة السبين في الترقيات العلمية في جامعتنا كونها تتبع الاساليب العلمية في نشر البحوث والمقالات العلمية حسب السادة (١٠) من تعليمات الترقيات العلمية في الجامعات العراقية رقم (٣٦) لسنة ١٩٩٢.
- اعتماد المجلة اعلاه لغرض الترقيات العلمية ابتداء من تاريخ ٢٠١٧/١٠/١.

رئيس الجامعة / وكالة
٢٠١٧/١٩/١

د. م. ا. علي عبدالعزيز الشاوي

١٤

٢٠١٧/١٩/١

نسخة منه الى /

- الإمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة / مؤسسة نهج البلاغة / كتابكم ذي العدد (٤٨٨) في ٢٤/٨/٢٠١٦.
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير.
- مكتب السيد رئيس الجامعة / للتفضل بالاطلاع مع التقدير.
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة لشؤون العلمية والدراسات العليا / للتفضل بالاطلاع... مع التقدير.
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة لشؤون القانونية والادارية / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- لكليات كافة / مكتب السيد العميد / للاطلاع مع التقدير
- قسم الشؤون العلمية / شعبة البحوث العلمية... مع التقدير
- لجنة الترقيات المركزية
- شعبة البريد المركزي / الصادر.

سياسة النشر في مجلة المبين

١. مجلة (المبين) مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة للعتبة الحسينية المقدسة وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلفين من داخل العراق وخارجه التي تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره في مجالات المعرفة كافة:
٢. يكون البحث المقدم للنشر ملتزم بمنهجية واخلاقيات البحث والنشر العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.
٣. أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً أو حاصل على قبول للنشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى ويقوم الباحث بتوقيع تعهد خاص بذلك.
٤. لا تقوم المجلة بنشر البحوث المترجمة إلا بتقديم ما يثبت موافقة المؤلف الأصلي وجهة النشر على ترجمة البحث ونشره.
٥. يتحمل مؤلف البحث المسؤولية الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعتبر البحوث عن آراء مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
٦. يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.
٧. يبلغ المؤلف باستلام بحثه من قبل المجلة خلال مدة لا تتجاوز العشرة أيام اعتباراً من تاريخ الاستلام.
٨. يبلغ المؤلف بالموافقة أو عدم الموافقة على نشر بحثه في المجلة خلال فترة لا تتجاوز الشهرين اعتباراً من تاريخ استلام البحث من قبل المجلة.
٩. لا تعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلفيها.

١٠. يلتزم المؤلف بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه ووفق تقارير هيئة التحرير أو المقيمين وإعادته الى المجلة خلال فترة أسبوع من تاريخ استلامه للتعديلات.

١١. جميع البحوث المقدمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلمي من قبل ذوي الاختصاص.

١٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى فحص الاستلال الالكتروني.

١٣. تنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني للبحوث الى المجلة ووفق صيغة تعهد يقوم المؤلف بتوقيعها ولا يحق لأية جهة أخرى إعادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلا بموافقة خطية من المؤلف ورئيس هيئة التحرير مجلة المبين.

١٤. لا يجوز للمؤلف سحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز له سحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر وبموافقة السيد رئيس هيئة التحرير حصراً.

١٥. يمنح المؤلف ثلاث مستلآت مجانية مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٦. يتوجب على المؤلف الإفصاح عن الدعم المالي أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدمة له خلال إجراء البحث.

١٧. يتوجب على المؤلف إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه لوجود خطأ كبير في البحث أو عدم دقة بالمعلومات وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل المؤلفين

١. تستقبل المجلة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها
المبينة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدم للنشر أصيلاً ولم يسبق نشره في مجلة
أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي المؤلف حقوق حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع
الورقي والالكتروني والخبز وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدم للنشر عن عشرين
صفحة.

٥. ترسل البحوث إلى المجلة عبر بريدها الإلكتروني:

[Almubeen.mag@](mailto:Almubeen.mag@inahj.org) و inahj.org@gmail.com
[gmail.com](mailto:Almubeen.mag@gmail.com)

٦. يكتب البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ (word) أو
(LaTeX) وبحجم صفحة (A4) وبهياة عمودين
منفصلين ويكتب متن البحث بنوع خط Simplified
Arabic وبحجم ١٤.

٧. يقدم ملخص للبحث باللغة الإنكليزية وفي صفحة مستقلة
وان لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

• عنوان البحث.

• اسم المؤلف / المؤلفين وجهات الانتساب.

• البريد الالكتروني للمؤلف / المؤلفين.

• الملخص.

• الكلمات المفتاحية

٩. يكتب عنوان البحث متمركزاً في وسط الصفحة وبنوع خط

Simplified Arabic وحجم ١٦ **Bold**.

١٠. يكتب اسم المؤلف / المؤلفين متمركزاً في وسط الصفحة

وتحت العنوان وبنوع خط **Simplified Arabic** وبحجم

Bold 14.

١١. تكتب جهات الانتساب للمؤلفين بنوع خط **Simplified**

Arabic وبحجم **Bold 12**.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط **Simplified**

Arabic وبحجم **Bold 12** ، **Italic**.

١٣. تكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها عن خمسة

كلمات بنوع خط **Simplified Arabic** وبحجم **12**

Italic ، **Justify**

١٤. جهات الإنتساب تثبت كالاتي (القسم، الكلية، الجامعة،

المدينة، البلد) وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخص البحث، تجنب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم المؤلف/ المؤلفين في متن البحث على الاطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق

والاشارة بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أن

تكون مرقمة ترقيماً متسلسلاً وتوضع في نهاية البحث.

١٨. يلتزم المؤلف بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية

من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، كما يجب مراعاة

وضع صور المخطوطات (للنصوص المحققة) في مكانها المناسب في

متن البحث.

١٩. تثبت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة:

.Harvard Reference style

٢٠. جميع الدراسات التي تم الاستشهاد بها خلال متن البحث أو

الجداول أو الصور يجب أن تثبت وبشكل دقيق في قائمة المصادر

وبالعكس.

٢١. يلتزم المؤلف/ المؤلفون إلى بيان فيما إذا كان البحث المقدم

للنشر قد تم في ظل وجود أية علاقات شخصية أو مهنية أو مالية

يمكن تفسيرها على أنها تضارب في المصالح.

دليل المقيمين

إن المهمة الرئيسية للمقيم العلمي للبحوث المرسله للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة وتقييمه وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأي آراء شخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته البنّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقييم، يرجى من المقيم التأكد فيما إذا كان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي، فهل يمتلك المقيم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إن عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز العشرة أيام.

بعد موافقة المقيم على إجراء عملية التقييم وإتمامها خلال الفترة المحددة، يرجى إجراء عملية التقييم وفق المحددات الآتية:

١. هل أن البحث أصيلاً ومهمّاً لدرجة يجب نشره في

المجلة؟

٢. فيما إذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة
وضوابط النشر فيها.

٣. هل أن فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة؟ إذا
كانت نعم، يرجى الإشارة إلى تلك الدراسات .

٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه؟

٥. بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح
مضمون البحث وفكرته.

٦. هل تصف المقدمة في البحث ما يريد المؤلف الوصول
إليه وتوضيحه بشكل دقيق، وهل وضح فيها المؤلف ما هي
المشكلة التي قام بدراستها.

٧. مناقشة المؤلف للنتائج التي توصل إليها خلال بحثه
بشكل علمي ومقنع.

٨. يجب ان تجرى عملية التقييم بشكل سري وعدم
اطلاع المؤلف على أي جانب فيها.

٩. إذا أراد المقيم مناقشة البحث مع مقيم آخر فيجب

ابلاغ رئيس التحرير بذلك

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات

مباشرة بين المقيم والمؤلف فيما يتلق ببحثه المرسل للنشر،

ويجب أن ترسل ملاحظات المقيم إلى المؤلف من خلال مدير

التحرير في المجلة.

١١. إذا رأى المقيم بأن البحث مستلاً من دراسات

سابقة، توجب على المقيم بيان تلك الدراسات لرئيس

التحرير في المجلة.

١٢. إن ملاحظات المقيم العلمية وتوصياته سيعتمد

عليها وبشكل رئيسي في قرار قبول البحث للنشر من عدمه،

كما يرجى من المقيم الإشارة وبشكل دقيق إلى الفقرات التي

تحتاج إلى تعديل بسيط ممكن أن تقوم بها هيئة التحرير

والى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهري يجب أن يقوم بها

المؤلف نفسه.

نموذج تعهد الملكية الفكرية ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلة المبين

أنا / نحن الموقع / الموقعون أدناه نقر بأن البحث الموسوم

والمقدم للنشر في مجلة المبين هو نتاج جهدي / جهدنا الخالص وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمنها البحث هي نتاج عملي / عملنا خلال فترة إنجازها باستثناء ما تمت الإشارة إليه في متن البحث، حيث إن دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم التي استعملت في هذا البحث قد تمت الإشارة إليها في متن البحث ووضعت بدقة ضمن قائمة المصادر، كما أتعهد/ نتعهد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلمي المعتمدة في مجلة المبين وإن العمل الذي أدى إلى إنتاج هذا البحث قد تم وفق أخلاقيات البحث العلمي المعروفة عالمياً، فضلاً عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهد/ نتعهد بأن هذا البحث لم يسبق وأن نشر أو قدم للنشر في مجلة أو أية وسيلة نشر أخرى وأمتلك / نمتلك الحقوق الحصرية الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني لهذا البحث إلى مجلة المبين أو من تخوله هذه المجلة.

ت	اسم المؤلف / المؤلفون	البريد الالكتروني	التوقيع والتاريخ

ملاحظة: يملئ هذا الحقل في حال كون المؤلف مخول من بقية المؤلفين لتوقيع هذا التعهد نيابة عنهم
اني مخول/ مخولة من جميع المؤلفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهد نيابة عنهم وأتعهد بصحة كافة معلوماتي الشخصية التي وردت في هذا التعهد ولأجله وقعت.

التاريخ:
رقم الهاتف:

التوقيع:
البريد الالكتروني:

المحتويات

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
--------	-------------	------------

٢٧	من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية	أ. د. سالم يعقوب يوسف السلمي جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية
٧٣	رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (ﷺ)	أ. د. حسين علي الشرهاني جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية
١١٣	الاستشهاد النحوي بكلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة (دراسة في شواهد الأفعال)	أ. د. رحيم جبر أحمد الحسن اوي م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية
١٤٥	الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام)	أ. م. د. فلاح حسن عباس كلية الآداب - جامعة ذي قار

اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة
الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف الحوزة العلمية - القطيف	التسامح عند الإمام علي (عليه السلام)	١٧٥
بلال كاظم حيدر الجوّادي د. حيدر قاسم مطر التميمي (بيت الحكمة - بغداد)	السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان	٢٢٣
م. حوراء كاظم جواد الخزاعي جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية	التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة	١٨٩
إيثار نصيردواره العباس جامعة المصطفى العالمية / إيران	الإمام علي (عليه السلام) والعدالة الاقتصادية	٣١١

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ

ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ

مَيْدَانَ الرَّسَائِلِ

سَيِّدِ الْبَلَدِ

رَأْسِ الْأَوْلِيَاءِ

زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ

أَبُو زَبَابٍ

بَابُ حِطَّةٍ
مَنْ دَخَلَ
مِنْهُ كَانَ
مُؤْمِنًا

أَنَا وَابْنَتِي فَتِيْمَةُ وَابْنُ حَلَّةٍ وَبَنَاتِي مَنْ شَرِبَ مِنْهُمَا

من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ)
في نهج البلاغة،
دراسة تحليلية

The Place of Prophet Mohammed
(Pbuh) in Nahj Al-Balaghah

أ. د. سالم يعقوب يوسف السلمي
جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الإنسانية

Prof. Dr. Salim Yacoob Yousif Alsulami
University of Basrah
College Of Education For Human Sciences

ملخص البحث

يدرس بحثنا الموسوم ب (من مقامات النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)) في نهج البلاغة، تلك المنزلة والمرتبة العالية في نفس أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، إذ كان (صلى الله عليه وآله) المثل الأعلى الذي يقتدي به أمير المؤمنين (عليه السلام) ويمده في العزيمة على العمل والتصميم، وسيرته في الحياة، بما كان يهون عليه ما ينزل أو يحل به من المصائب والمحن فتصغر في عينه هذه الأهوال والرزايا، وهو يواجه تلك الفتن بنفس صابرة محتسبة ومطمئنة؛ لأنه يرى أن الإسلام هو الشيء الأساس في حياته، فجاءت خطبه ورسائله وأقواله متضمنة ومذكورة بسيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) واصفة له في قيادة الحياة، وامتداد بعثته المطهرة في الزمان والمكان.

عالج البحث تلك المقامات التي كانت مشعة في النص الشريف؛ فجاءت هذه الشخصية العظيمة مؤثرة وموصلة لكلامه في نفس المتلقي، وهي من أعظم وسائل الإقناع وأجلها، وتمتد امتداداً واسعاً في كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، ولا يمكن أن يحيط بها بحث، ولذا اقتصر هذا البحث على بعض من جوانب هذه المنزلة والمقامات التي ازدان بها النص الشريف. وانصبت الدراسة على اتباع التحليل اللغوي في إبراز الدلالة عن طريق رصد القرائن اللغوية في نسيج النص وأنساقها، ومحاولة الوقوف على بعض من بلاغته وبيانه.



Abstract

The current research tackles the high esteem with which The prince of Believers (Pbuh) held prophet Mohammed (Pbuh). Prophet Mohammed was the role model and perfect example for Imam Ali from whom he learnt determination and hard work. Prophet Mohammed used to comfort Imam Ali and console him in the times of hardships and crises. Therefore, Imam Ali faced all the difficulties and troubles with patience and composure, having unshaken faith that Islam was the core of his existence. In his sermons and speeches, Imam Ali kept Prophet Mohammed in constant mention, reminding people of the prophet's life and the temporal and spatial trajectory of his sacred mission.

The present paper discusses the important place Prophet Mohammed occupied in these sermons, a place that is marked by its power and nobility. The readers/ listeners of all times and places are most impressed by the way Imam Ali described Prophet Mohammed whose life and works, as elaborated on in Imam Ali's sermons, inspire admiration and reverence. The research focuses on only a few of the references to Prophet Mohammed in Nahj Al-Balaghah since they are too many to cover in one single study.



المقدمة

وفتحه المبين لعباده المؤمنين، وقد

كان هذا نهجه إلى آخر حياته الشريفة مكافحاً ومجاهداً مما يتعرض له الدين الحنيف من الأمتِ والعوج والزيغ والانحراف مجاهداً بالسيف والكلمة.

كان هدفه الذي يصبو إليه هو إعلاء كلمة الله، وطمس كلمة الشيطان، إذ جاء كلامه الشريف من الخطب والكتب والرسائل في جميع منازلاته، ومواقفه مع الآخر تنبض بأساليب البلاغة والبيان العربي، وبأرقى مراتب النظم والتعبير، لما فيها من الرصف والسبك والرصانة والفصاحة.

لقد طُبِعَ كلامه الشريف بطابع غلب عليه تنزيه الله سبحانه وتمجيده وتوحيده، والخوض بشرح العقيدة الحقّة، والشريعة السمحة، والمعارف العالية الدقيقة فيها، واقترن ذلك بذكر الرسول الكريم (ﷺ)، وبيان مكانته ومنزلته ومقامه الشريف

أمير المؤمنين (ﷺ) الذي لا يزداد يقيناً وإيماناً بالله تعالى حتى ولو كشف له الغطاء، ولا ينقص منه قيد شعرة حتى ولو اشتدت في وجهه الخطوب والمصائب، لأن قلبه امتلأ إيماناً، وفاض به على الوجود، فهو مع رسول الله (ﷺ) حقيقتان لا يعرفهما إلا الله تبارك وتعالى، كما أثر عنه (ﷺ).

وهو يعبد الله تعالى عن بصيرة وكأنه يراه، لذا فقد أفضى ذاته في جنب الله، لا تأخذه فيه لومة لائم، شديد البأس رحيم القلب، عركته المواقف فوقف أمامها جبلاً شامخاً صلباً، تفتت عليه تلك الرزايا والشدائد، فأصبحت رماداً تذرّه الريح، وهو مفرج الكرب عن وجه رسول الله (ﷺ) حتى استقام الإسلام، واشتد عوده في أيام حالكات شديداً حتى جاء نصره



الذي بَوَّاهُ اللهُ سبحانه في الدار الأولى والأخرة.

أردنا عن طريق كلامه الشريف الذي جاء في النهج المبارك أن نقف على تلك المقامات الشريفة للرسول الأعظم (ﷺ)، وإبراز المستوى الرفيع عند الله سبحانه، وكذلك في نفوس الأمة، ودوره في إصلاح الحياة جمعاء، من طريق مستويات الكلام وسبكه وربطه، والدلالات التي يخرج إليها، والتوصيل المتمثل بوسائل الإقناع، وكذلك أردنا أن نحلل الخطاب الشريف في هذه المقامات الرفيعة.

تنزيه الرسول (ﷺ)، وإظهار

منزلته:

كثيراً ما نجد في كلامه الشريف أنه (ﷺ) يتبدى بذكر الله سبحانه من خلال ألفاظ الحمد والثناء، وعبارات التوحيد والتمجيد، والخوض في مسائل العقيدة، ثم يعمد إلى إقران ذلك بتنزيه رسوله

الكريم (ﷺ)، وبيان منزلته ومقامه، وتعدُّ هذه مقامات ومفاتيح للكلام يفتتح بها (ﷺ) خطبه؛ لأنها تنبئ عن حقيقة يظهر فيها تعلق نفس الإنسان بخالقه، وأداء شيء من الاستحقاق تجاه خالقه سبحانه، وتجاه صاحب الرسالة الحقّة، وفيها طمأننة للمتلقّي وتحفيز على إقناعه في الإقبال على ما يقوله وتهياة نفسه إلى ذلك، أو أن هذه المنتجات تعرب عمّا سيأتي من مضمون الكلام الذي سوف يلقاه المتتبع.

ترى الدراسات الحجاجية أن المتكلم يكون على قدر كاف من الإدراك لحال المتلقّي بما عنده من

تصورات وأفكار، وبما يصدر عنهم من ردود أفعال لأفكار المتكلم، فيحرص على تضمين ذلك في مطالع الكلام ومقدماته، كما جاء في خطبة الإمام (علي بن الحسين) زين العابدين (ﷺ) في الجامع الأموي





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

فجعله حبيباً، فجعل ذكره في الشهادة أمراً مفروضاً لا تتم إلا بذكره، ويعلم أمير المؤمنين (ﷺ) مكانة رسول الله (ﷺ)، ومنزلته عند الله، إذ إنه يقرن طاعته ومعصيته بطاعة الله تعالى ومعصيته، وهذا ما نهج عليه القرآن الكريم في مواطن عدّة.

وهذه الشهادة ذات قيمة عليا في العقيدة الإسلامية؛ لأنها عنوان المسلم، وهي التي تميزه من غير المسلم، وهما جملتان أو عبارتان قصيرتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، كما أثر عنه (ﷺ)، قال (ﷺ) بعد الحمد «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة متحنًا إخلاصها، مُعتقداً مُصاحباً... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...»^(٢).

لقد افتتح النص الشريف بهاتين الشهادتين العظيمتين بعد منصرفه من صفيين، وهو يقارع المارقين المتشككين الذين لم يثبت في صدورهم الإيمان، إذ

بدمشق في مجلس يزيد، وهو في حالة المرض والنصب والتعب والرزية التي هو فيها، فقد فاجأهم بمقدمة اهتزت لها مشاعرهم، وغيّرت أفكارهم، وكاد الأمر أن ينقلب على يزيد، إذ بدأ خطبته بحمد الله وتنزيهه، وذكر جدّه النبي (ﷺ) والثناء عليه، وذكر ما خصّ الله به أهل بيته الكرام من منزلة وكرامة، وقربى^(١).

وأما في خطبة أمير المؤمنين (ﷺ) بعد منصرفه من صفيين فبدأ خطبته بحمد الله وهو أرجح ما وزن، كما جاء في النص عطف على ذلك شهادته بالوحدانية، شهادة خالصة وصفها بأوصاف تطمئن إليها نفسه، ولكي تكتمل الشهادة قرنها بالشهادة في الرسالة الحقّة التي بلّغها (ﷺ)، وجهر بها وتحمل من أجلها ما لم يتحمّله الرسل من قبله حتى أظهره على الدين كلّه، وقد آتاه المقام الرفيع، ومنحه الدرجة العالية، وقربّه منه



كان إيمانهم على جرف هارٍ.

الشهادتين، لأن الثانية مكملة للأولى، ويتجلى في هذا الإضمار العلاقة التي تلتقي بين المتكلم والمخاطب في عملية الكلام «ولئن بدا الإضمار في الظاهر عملاً ينجزه المتكلم بمفرده فإن للمخاطب فيه دوراً محورياً يتمثل في سابق معرفته بالشيء المضمّر»^(٣). وفي هذا الضمير المستتر قرينة معنوية تعمل على نشوء قرينة الارتباط بين الجزأين^(٤).

نجد النص الشريف بعد كل شهادة يسهب في بيان عظمة الخالق، ومهمة الرسول الأعظم (ﷺ)، والمسؤولية التي انتدب من أجلها، وبيان حالة الواقع المعاش ما قبل البعثة الشريفة وما بعدها، وقد فصّل في هذا المقام إظهاراً لعظمة الرسالة المنوطة به، وقد أداها على الوجه الأكمل.

أسند فعل الشهادة إلى نفسه الشريفة في الشهادتين، شهادة التوحيد والرسالة إذعانا وإقراراً منه (ﷺ) بهما، لأنها أصل كل عملٍ برٍّ، ومبتغى كل خير، وفيهما ارتباط بما يجيء من كلامه الشريف الذي هو تقديس لله سبحانه وتنزيهه وتبجيل لرسوله وأهل بيته (ﷺ).

لقد اقترنت العبودية والرسالة في موضع الشهادة في قوله (ﷺ) «**واشهد أن محمداً عبده ورسوله**» تشریفاً له (ﷺ)، وتعظيماً لمقامه الكريم؛ لأن الله سبحانه اصطفاه من عباده المكرمين، وأخذ الميثاق من النبيين، واشهدهم على تصديقه، والإيمان برسالته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ

إذ يظهر في ضمير المتكلم لهذا الفعل (أشهد) النسبة القوية الظاهرة والواضحة للعائد على الفعل الذي أقبل على ربه بكل جوارحه، بهاتين





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ
الصَّادِعِ...» (٦).

فالدين المشهور يمثل الرسالة
بكاملها وما يندرج فيها مما هو واقع
ضمنها، فبعدهما ذكر العام انتقل إلى
الجزئيات الداخلة فيه.

لقد كانت المهمة المنوطة به (ﷺ)
عظيمة وكبيرة، لذا جاء الاختيار
للفعل (أرسله) مناسباً لأمر الدين
العظيم، والرسالة الإسلامية الخالدة،
وهو يختلف عن الفعل (بعث)، وقد
ذكر أبو هلال العسكري الفرق بين
البعث والإرسال فالأول أقل شأنًا
يقول «يجوز أن تبعث الرجل إلى
الآخر لحاجة تخصه دونك ودون
المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب
فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأن
الإرسال لا يكون إلا برسالة وما
يجري مجراها» (٧).

نجد النص الشريف مكتنزاً
بالمعاني عن طريق التكثيف للعبارات

أَفَرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكُمْ إِضْرِي
قَالُوا أَفَرَزْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ
مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

والخوض بالعبودية تكريم له
(ﷺ) وقد وصفه القرآن الكريم
بذلك منها ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا
نَزَّلْنَا عَلَيَّ عَبْدَنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ
مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقوله تعالى
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا
مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ
مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
[الإسراء: ١]، وخصت العبودية في
التنزيل العزيز بالمكان والمقام العالي
للأنبياء (ﷺ) وغيرهم (٥).

وبعد ذكر الشهادة الثانية أورد
(ﷺ) الحديث مفصلاً عن مبلغ
الرسالة وصاحبها (ﷺ) مبتدئاً
فيها من العام إلى الخاص في قوله
«أرسله بالدين المشهور، والعلم
المأثور، والكتاب المسطور، والنور



التي حصل بها العطف والترادف للأوصاف المتنوعة، كما هو في قوله: «أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع» يذكر الدكتور فخر الدين قباوة في تحليل الأدوات.

(ال و: واو العطف وعدد من حروف الجر): «إنَّ الأداة تتضمن معنى بالقوة وهي منفردة، وأن هذا المعنى لا يتجلى إلا في التركيب، حيث تبرز حدوده وتعين معالنه، وهذا يعني أن في مقتضى الحال، أي في ظروف إنجاز الكلام، وسياق المقال من المعطيات ما يوجه المحلل إلى تعيين تلك الحدود والمعالم... فمن خصائص الأدوات أيضًا إن كثيرًا منها يدخل في التركيب، لتشكيل منظومات تعبيرية متناسقة، يؤلف بينها المعنى المشترك زيادة على النظم الكلامي»^(٨).

إن تراكم هذه العبارات الواصفة للرسالة وصاحبها (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تظهر مكامن أسرار مقامه الشريف، هي وسيلة إقناع للمتلقي الذي يعد عنصرًا فاعلاً وحاضرًا في عملية إبداع النص، إذ يحاول صاحبه أن ينقله إلى الحالة التي يعيشها، أو إلى التفاعل مع التجربة التي دفعته، ويرى الدارسون أن في هذا أسلوباً يتبعه المبدع كـ «قوة ضاغطة يسلطها المتكلم على المخاطب، بحيث يسلبه حرية التصرف إزاء هذه القوة فكأن الأسلوب أصبح بمثابة قائد لفظي للمتلقي.

هذه القوة الضاغطة تتمثل فيها عملية الإقناع بوسائلها العقلية، التي عبرها يسلم المتلقي قياده للفكرة الموجهة إليه، كما تتمثل فيها عملية الإمتاع التي تلون الكلام بكثير من المواصفات العاطفية الوجدانية، إذ تكون هناك مزاجية بين الجانب



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

الإقناعي والجانب الإمتاعي، كما تتمثل فيها ثالثاً عملية الإثارة التي بها يوقف المبدع المشاعر التي كانت مخزنة عن المتلقي...»^(٩).

يعمد المنشئ إلى توصيل كلامه للمتلقى، ويحرص على بيان مقاصده وغاياته مستفيداً مما يتمتع به من طاقات فكرية، وتجربة في سبر أغوار الحياة، وأداء ذلك بطرق الكلام وأساليبه المتنوعة^(١٠).

جاءت العبارات القصيرة الموجزة محملة بالمعاني العميقة الدالة على مضمون رسالته السمحة، إذ تنبئ هذه الأوصاف المتوالية عن تصعيد للمعنى وتوسعة إشعاعاته، تتخللها فروق في معانيها اللغوية، أراد المتكلم إظهاره وإبرازه، ومن ثم فإن ذلك يعود على صاحب الدعوة والبعثة

المطهرة (ﷺ)، من ذلك ما نلاحظه في قوله «العَلَمُ المَأْثُورُ، وَالكِتَابِ المَسْطُورِ»، فقد فسر في احد قولين إنّه

القرآن الكريم، إذ جعله علماً هادياً، والمأثور هو ما يحكى عنه، واستدل على ذلك بقوله بعده (وَالكِتَابِ المَسْطُورِ)، ويراد به القرآن الكريم، والعبارة التالية مؤكدة للأولى^(١١).

جاءت هذه الأوصاف على درجة عالية من الدقة والانسجام فيما بين الألفاظ، فقد جاء (السطوع) وصفاً للنور، (واللمعان) وصفاً للضياء، لأن هناك فرقاً في التعبيرين وهو أن الضياء أصل والنور متفرع منه وحاصل بسببه، أورد أبو هلال «إن الضياء ما يتخلل الهواء من أجزاء النور فيبيض بذلك، والشاهد أنهم يقولون ضياء النهار، ولا يقولون نور النهار إلا أن يعنوا الشمس، فالنور الجملة التي يتشعب منها...»^(١٢).

ولما كان الضياء بهذا المعنى الكبير وصفه باللمعان، ويراد به البرق^(١٣) وكأن لفظ اللمع يحمل اتساعاً وعموماً، لذا استعمل هنا مع

الضوء، وكذلك فيه شدة وبأس قال أبو هلال «إنّ اللمع أصله في البرقة وهي البرق، ثم الأخرى المرة بعد المرة، واللمع مثل اللمع في ذلك إلا أن اللمع لا يكون إلا من بعيد، هكذا حكاه السكري في تفسير قول امريء القيس^(١٤):

وتخرج منه لامعات كأنها

أكف تلقى الفوز عند المفيض

والبرق أصله فيما يقع به الرعب، ولهذا استعمل في التهديد^(١٥).

وورد النور موصوفاً بالسطوع، ويراد به الارتفاع والعلو لهذا النور «يقال سطع المسك إذا ارتفعت ريجه، وكذلك سطوع الغبار ارتفاعه، وسطوع الصبح كذلك»^(١٦). وجاء

لفظ (الصادع) نعتاً للأمر وهو من معنى قوله ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. والصدع معنى يدل على

تأثير بائن في الشيء وهو «الشق في

الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرها... ورجل صدع ماض في أمره وصدع بالأمر يصدع صدعاً، أصاب به موضعه وجاهر به...»^(١٧).

نجد النص الشريف يقرن هذه

الأوصاف المتعلقة بالرسالة بالأداة (ال) نحو (العلم المأثور، والكتاب

المسطور، النور الساطع، الضياء اللامع، الأمر الصادع) وكأنها

أرادت العهد والمعرفة السابقة بهذه الأشياء العظيمة، وتفيد (ال) معان

عدة ف(مثلاً تفيد الجنس والعهد والموصولة والنيابة ولمح الأصل

والتزيين والتعظيم... ثم غالباً ما تكون في التركيب ذات وجه واحد

من الوجوه)^(١٨)، أراد أنها تعطي معنىً معيناً عبر استعمالها في التركيب.

لعله أراد بوصف الدين بالمشهور، أنه معهود به الذيوع والإظهار

والشهرة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ [الفتح: ٢٨]،
وفي القرآن الكريم إشارات أخرى
إلى هذا المعنى، وكذلك إشارات من
السنة الشريفة، فيما أثار عنه (ﷺ)
في يوم الخندق حينما ضرب بالمعول،
فخرج نور قد أضاء الفضاء حتى
بانت قصور كسرى وقيصر.

نجد الوضوح باديًا، بيّنًا في
التعبير المتعلق بالرسالة الشريفة، عبر
الأوصاف والنعوت التي تجلى فيها
المعنى بأبهى صورته، وتلحظ الدقة
في الاختيار، مما يكسب الكلام قوة
وتوكيدًا، فالمسطور مثلاً لا يكون إلا
للمكتوب أو الكتاب، لذا اجتمعت
في هذا اللفظ (المسطور) الصفة
والتوكيد، فأصبح في العبارة تلازم
بين اللفظين مما جعلها علمًا للقرآن
الكريم، وكأنه (ﷺ) اقتبسها من
قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي
رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ [الطور: ٢-٣].

ومن هذا يظهر التلاؤم الواضح،
والتلازم المناسب في استعمال اللمعان
للضياء، والسطوع للنور؛ لأن الأول
أقوى من الثاني وأشد، وهذا ما
أفصح عنه القرآن بقوله ﴿هُوَ الَّذِي
جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾
[يونس: ٥]، قال الزمخشري «والضياء
أقوى من النور»^(١٩).

نجد النص في غاية من الترابط
والتناسب، فبعدما ساق هذه
العبارات من المنعوتات، ونعوتها، جاء
ما بعده من الكلام تعليلاً وسبباً له،
فالصدع هو الأمر العظيم، وهو أمر
الدين والرسالة، وبعثته (ﷺ)، وهذا
إنما هو «إزاحة للشبهات، واحتجاجاً
بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً
بالمثلات»^(٢٠). إذ إننا نلمح العلة
ظاهرة عبر استعمال المفعول لأجله
في قوله (إزاحة، واحتجاجاً، وتحذيراً
وتخويفاً) وهذه قرينة صريحة وظاهرة
من أجل تقوية العلة؛ لأنه «يدل على

علة حدوث الفعل، وعلى تقيده بها»^(٢١) «وعلاقة السببية إحدى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، ويقتضي سياق الجملة من المتكلم أحيانا أن يلجأ إلى هذه العلاقة لتكون معيناً له على بيان سبب وقوع الحدث... ومن هنا أنشأت العربية علاقة ارتباط بين الفعل والمفعول لأجله المنصوب بطريق علاقة السببية نحو قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] وحرصت على أن يكون المفعول لأجله مصدرًا؛ لأن المصدر دال على الحدث المجرد من أي معنى آخر»^(٢٢) وقوله (عليه السلام) (إزاحة للشبهات)، فقد اكتفى بذكر الإزاحة لأقل الأشياء ليمتنع ويرتدع من الإقدام عن الأكبر والأعظم، لأن الشبهة هي ما اختلط فيها الحق بالباطل، إذ هي ليس بحق محض، ولا بباطل محض، فإذا كانت الإزالة لما هو متذبذب، فما كان أكثر

وأعظم منه فهو مدفوع وصولاً لليقين الذي لا شبهة فيه، وأما قوله (عليه السلام) (واحتجاجاً بالبينات) فهي الواضحات الدالة على الحق والحقيقة، فإنه (عليه السلام) اتخذها حجة ودليلاً وبرهاناً يركز عليها دينه الحنيف. وقوله «وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَحْزِينًا بِالْمَثَلَاتِ» فقد بدأ بأقل درجة من الوعد والوعيد؛ لأن التحذير هو أمر دون التخويف فهو دال على التنبيه والإنذار بآيات الله البينة الواضحة، والتخويف هو الحالة الشديدة والمضطربة التي تعترى المخلوق ولعلها أشد من سابقتها وهو تهديد بالعقوبة، (والمثالات) جمع (مثلة)، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ [الرعد: ٦] ^(٢٣) وفسرت لفظة المثالات أنها «النقمة الواحدة (مثلة)... والمثلة نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلاً يرتدع به غيره



(الساطع، اللامع، الصادع)، وحرف

التاء كما في (الشبهات، البيئات...)

وقد شغل هذا مساحة من النص

الشريف إذ شاعت حروف مثل:

(النون، اللام، الميم، والهاء) وغيرها

من الحروف من جهة شكل الألفاظ

التي تسترعي السمع وتستهويه،

وتجذبه لما فيها من إيقاع مؤثر. يلمح

في هذه العبارات مجيء الأسماء مقترنة

بـ(ال)، مثل الدين، العلم، الكتاب،

النور، الضياء، الشبهات، الأمان،

المثالات، الفجر، الأمر، المخرج...).

و(ال) هذه إنما هي (ال) العهدية لعلم

المتكلم بحال المخاطب إنه على معرفة

باللفظ الداخل عليه؛ ولأنه يدركه ولم

يجهله، وقد عمد إليها ليحيل المتلقي

عليها، ويميل فيها إلى الاختصار

والاختزال في المنظم، فيحرك فكره

ويجعله يجول في تصورها وإدراك

قيمتها، وليجعل منه مشاركاً في نصه

وكلامه وملماً بفكرته.

جاءت الألفاظ التي هي من

لوازم الرسالة وهي (الدين، والعلم،

والكتاب)، واضحة دالة على السمو،

لإتمام معناها بالوصف المشتق (اسم

المفعول) الواقع صفة لها وهو

(المشهور، المأثور، المسطور). أما

الوصف المشتق في ألفاظ (الساطع،

اللامع، الصادع). فقد عاد الحدث

فيها على الاسم السابق لها، وقيامه

بها؛ لأنّ فيها فاعلاً يعود عليها.

جاءت العبارة في هذا النص

الشريف متسقة متناسقة، يصدع

التناغم في موسيقاها، ونلحظ فيها

تقسيمات لألفاظها وعباراتها، إذ إنها

جاءت في أعلى درجات الصياغة

اللفظية التي تجذب النفس، وتطرب

السمع وكأنها تجري في روي ونسق في

أصواتها كحرف الراء الذي انتهت به

عدد من الألفاظ ك(المشهور، المأثور،

المسطور)، وحرف العين كما في



جهد الرسول (ﷺ) في إتمام الدين:
يوازن الإمام (ﷺ) في خطابه الشريف بين حالتين متقابلتين في أمر الناس من حيث الهدى والضلال، الأولى متمثلة في جهاد رسول الله (ﷺ)، في سعيه لإظهار الدين القيم ووضوح الطريق المستقيم، والثانية الكشف عن حال فئة من الناس اتبعوا الشهوات، واضاعوا الصلوات، وغرهم بالله الغرور، فأثروا الأولى على الآخرة، فقد رسم (ﷺ) صورة معتمة مظلمة لهذه الحالة المقابلة للنور المشرق للدين الحنيف، فعبر عن حالة التيه والضلال لهؤلاء الناس بفتنتهم التي أضرت بالدين، ومن ثم أضرت بالحياة من نواحيها المختلفة؛ لأن الدين أصل كل شيء، فهو نظام الحياة وقانونها، وفي هذا التقابل صورة جمالية لترابط الكلام وتوصيله للمتلقي وهاتان الحالتان المتقابلتان وظفهما الإمام (ﷺ)

بعبارات مكثفة متناسقة قائمة على الربط والانسجام، وهذا النوع من التقابل لا يقصد به أن تقف كلمة مقابل أخرى، وإنما هو موازنة بين حالتين مختلفتين، والتقابل بشكل عام مصطلح «ذو صفة شمولية لا تقف عند حدود المقابلة الطباقية أو عند حدود المقابلة للشيء، فهو يتصف بصفة الجمع لأسلوب التوازن أو التماثل أو التفويف أو الازدواج والإرداف والترديد... والتناسب والتناظر... وكلها على صلة كبرى بالعناصر الجمالية»^(٢٥).

ويؤكد الدراسون على جمالية أسلوب التقابل لكونه بنية نسقية مندجة الأجزاء في سياق قائم على التناظر في الشكل ومتفاعل مع الدلالة، فما تكاد تلتقي حتى تفترق على التضاد، أو على التشاكل لتخلق لذة جمالية مفاجئة ومثيرة، وهي تنتقل من أسلوب نسقي إلى آخر





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

لتحدث في النفس قبضاً وبسطاً، هيبة وأنساً، خوفاً ورجاءً و.....

وبهذا كله يغدو أسلوب التقابل في بنيته الجمالية ظاهرة أسلوبية داخلية في نظرية النظم عند الجرجاني، وفي مفهوم التصوير الفني عند القدماء والمحدثين على السواء... فالتضاد التقابلي لا يقوم على مجرد المعاكسة أو التعارض، أو على أساس مفهوم الهدم والبناء... وإنما يستند إلى النسق التقابلي البنيوي فكل نسق يقف مقابل نسق آخر تضاداً وتشاكلاً لينتهي إلى التآلف والتكامل والتناغم في وحدة منسجمة»^(٢٦).

نجد في النص ألفاظاً متقاربة

في معانيها كاستعماله (ﷺ) الأفعال (انجذم، تزعزع) والفعلين (اختلف، تشتت)، فهي وإن كانت ظاهراً تدل على معنى واحد، ولكن يظهر فيها فروق في اللغة، والمعنى الجامع فيها الوهن والضعف، والزوال والاضمحلال، فضلاً عن دقة

جاء النص الشريف مشتملاً على مستوى عال من البلاغة لما فيه من الاستعارات والمجازات، كما في قوله (ﷺ): «وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ انجذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي اليَقِينِ... فِي فِتْنٍ داسَتْهُم بِأَخْفَائِهَا، وَوَطَّئَتْهُم بِأَظْلَافِهَا وَقَامَتْ

الاستعمال في كل جملة وردت فيها. فالجذم ملازم لاستعمال الجبل، وهو انقطاعه، والترزعزع هو التضعع والسقوط وفي قوله (ﷺ): «**وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ وَتَشَّتَ الْأَمْرُ**» والنجر: يعني الأصل في الشيء^(٢٩). ونقل عن أبي عبيدة قوله (وفي حديث علي، واختلف النجر، وتشت الأمر، النجر الطبع والأصل ومن أمثالهم في (المخلط) الذي ليس له رأي يثبت عليه قالوا (كل نجار ابلٍ نجارها) يريدون بذلك فيه من كل لون من الأخلاق^(٣٠) وفي هذا يشير أمير المؤمنين (ﷺ) إلى ضياع هؤلاء المضلين في آرائهم وأصولهم وطباعهم.

ومما جاء على دقة العبارة وتناسبها مع أختها أنه قدم عبارة (اختلف النجر) على عبارة (تشت الأمر)؛ لأن الاختلاف فيما هو أصل وثابت يكون علة لما بعده وسبباً له، فإنه

يقود ويؤدي إلى تشتت الأمر وتبدده، وجاء لفظ (الأمر) في عبارة (وتشتت الأمر) و(الأمر) لفظ يستعمل للشيء المهم والعظيم، وقد عبر القرآن الكريم في عدد من المواضع في هذا اللفظ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...﴾ [آل عمران: ١٥٤] ونحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

«والأمر: الشأن.... وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها»، وجاء وروده في القرآن الكريم بحسب السياق منه قوله تعالى: ﴿وَالِيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣] وكذلك جاء بمعنى الإبداع نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]^(٣١).

ومن غناء النص ما نلاحظه فيه من استعمال المتضادات والتقابلات كما في قوله (ﷺ) «فلهدى خامل، والعمى شامل» و(عصى الرحمن،





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

ونصر الشيطان) و(في خير دار وشر دار).
عن انتهاك الحرمات واتباع الأهواء،
وحبّ الشهوات، فأراد (ﷺ) أن

يعبر في الحالة الثانية عن ذم أصحاب
معاوية، وبيان حالهم هذه؛ لأنها فئة
تنصلت عن دين الله تعالى الذي
أظهره نبيه (ﷺ) فمن خالفه
كانت هذه صفته. ومن تمسك به
كانت منزلته ومقامه يتجه نحو مقام
رسول الله (ﷺ).

ارتباط أهل بيته (ﷺ) به (ﷺ):

بعد المقطع الذي افتتح به خطابه
(ﷺ) وأظهر فيه بعض مناقب
النبي الأكرم (ﷺ)، ثم بعد ذلك
جعله موصولاً بورثته في الدين
وامتداده في الرسالة، وهم الأئمة من
أهل بيته (ﷺ) الذين حفظوا عنه
الإسلام الحق ففتانوا في الدفاع عنه،
وضحوا من أجله، إذ يقول (ﷺ):
«هُم مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْنُهُ
عِلْمُهُ وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ،
وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْجِنَاءَ ظَهْرِهِ،

وفي حديث الدكتور حسين جمعة
عن العلاقة الجمالية بين الشكل الفني
لأسلوب التضاد وبين مضمونه في
القرآن الكريم، بيّن ذلك أنها «علاقة
تقوم على الدقة في اختيار الألفاظ
وإنزالها في مواضعها دون تعقيد أو
غموض، أو زيادة أو نقصان....
وتتمثل في الوضوح والرقّة والانسباب
العذب بين الأنساق المتقابلة... سواء
كانت متناظرة أم متساوية... فهي
تتصف بالبهاء والرونق في اللفظ
المفرد الفصيح، وفي اللفظ المركب
البلّغ في الوقت الذي ترسي مبدأ
الروعة والسمو في معانيها»^(٣٢).

ومن هاتين الصورتين تبرز آلة
العنت والمشاق الذي تحمله رسول
الله (ﷺ) في سبيل إعلاء كلمة الله،
كما يبرز انحطاط الفئة التي تستخف
بأمر الدين ولا يمسكها وازع ولا رادع

على الربط بين عناصر الموجودات في شكل صياغة جمالية تعتمد على التضايق والترابط لا على مجرد الجمع والرصّ» (٣٤).

كل هذه الأمور المهمة والعظيمة المعظمة له (ﷺ) التي أظهر فيها الإمام (عليه السلام) الدرجة العالية له (ﷺ) جعلها مودعة بهم، وراجعة إليهم من هذا يدل على أنهم (عليهم السلام) أصله وبطانته، إذ نجد في هذه العبارات ترابطاً وقوة في الاتساق عبر الإضافات المتكررة، فالإضافة تدل على شدة امتزاج النسبة بين الاسمين.

لقد وصل الكلام أيضاً عبر الإحالات المتمثلة بالضمير العائد على الرسول الأعظم (ﷺ) في الألفاظ الواردة في النص نحو (سرّه، أمره، علمه، حكمه...)، لقد تولدت هذه المنزلة من مقامه الشريف (ﷺ)؛ لأنه لا ينفك موصياً بهم في كل وقت و مكان، قال معبراً عن ذلك (عليه السلام): «ولهم خصائص الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...» (٣٥).

لقد جاءت العبارات مكثفة بواسطة العطف الذي عُدد من أساليب الربط، فقد بين أحد الدارسين ذلك بقوله: «فإن صيغ العطف والشرط تلعب دورها في خلق السياق الأدبي الذي يخرجها من إطارها التراثي المألوف إلى صور تعبيرية، أو منبهات أسلوبية تتجدد مع تجدد السياق تبعاً للعلاقات الكائنة في ذهن المبدع، وتبعاً لقدرته

وبعدما بين الحال التي عليها هؤلاء المنافقون، عرج بالقول على الكفة الراجحة، وهم محمد وآل محمد (ﷺ)؛ لأنهم المحسودون من الجهة الثانية وهي الفئة المنافقة، فأراد من ذلك إظهار المقام الرفيع الذي



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

بوأهم الله فيه، والمحل الذي هيأه لهم؛ لتكون حجة على من ناوأهم، ونصب العداوة والبغضاء لهم، وهذا الكلام لا يستطيع أن ينكره أحد؛ لأنهم قد بذلوا غاية الجهود من أجل تثبيت الدين ورسوخه، والأمة تشهد على ذلك، وقد أشار شارح النهج أن في كلامه (ﷺ) هذا تعريضاً على من ادعى التقدم عليه، لسابقته في الإسلام، وجهاد أعدائه، وكذلك علومه الواسعة الجمّة (٣٦).
عن طريق مقام رسول الله (ﷺ) تنعكس صورتهم لارتباطهم معه.

لقد أشار (ﷺ) إلى أمور ترجع إلى النبي الأعظم (ﷺ) منبهاً الأمة على ذلك، مؤكداً فيها على حقوق أهل البيت (ﷺ)، ورعايتهم، منها قوله: «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة» (٣٧). والأحاديث الماثورة عنه (ﷺ) في حقهم، والوصية في اتباعهم فهي ثابتة عند

المسلمين جميعاً، منها حديث الثقلين عن أبي سعيد، قال رسول الله (ﷺ): «إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإني لئن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (٣٨). وغيره من الأحاديث الشريفة الكثيرة. جاءت هذه الألفاظ (الولاية، الوصية، الوراثة) في كلامه الشريف معرفة بـ (ال)؛ لأنها معهودة عند الأمة من رسول الله (ﷺ) إلى أهل بيته (ﷺ) في موالاتهم؛ ولأنهم أوصياؤه وورثته في دينه.

يقرر في قوله (ﷺ): «إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة» (٣٩)، يبين (ﷺ) أحقيتهم بالموالاة والرعاية والطاعة لأمر رسول الله (ﷺ) لما رأى من مصادرة حقوقهم، وعن طريق ذلك فإنه (ﷺ) يرسم مكانتهم بين

الأمّة عبر ما خطه رسول (ﷺ) لهم، ولما كان الرسول الأعظم (ﷺ) لا ينطق عن الهوى، فهذا حق يقين، ومن صدف عن ذلك فقد خالف رسول الله (ﷺ).

الربط في تشابه الأحداث

بين الإمام (عليه السلام) والنبى (ﷺ):

بيّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن طريق الأحداث التي مرت وعاشها شدة ارتباطه برسول الله (ﷺ) نجد ذلك في قوله: «ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِيْنَةً، وَأَنَا بِهِ زَعِيْمٌ، إِنْ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعَبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقْحُمِ الشُّبُهَاتِ، أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبُنَّ بِلَبْلَةٍ، لَتَغْرُبُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتَسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ...» (٤٠). بدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته بوثوق ويقين نافيًا على من يراوده شك

في قوله، مؤكدًا ذلك بأخذ العهد على نفسه فيما يذهب إليه، ويتحرى القول في قوله مجتنبًا للشبهات، وبعد هذا التمهيد أراد (عليه السلام) أن يقارب في أمرين، وبين حالتين، وهو حال الأمة في عهد البعثة المشرفة، وموقفهم منها بين مؤمن ومنكر، وما تحمله رسول الله (ﷺ) من أجل ذلك، وكذلك الحال في عهده (عليه السلام)، وبيان ما سوف يواجهه من المعاندين والمعارضين، وما يجري من الفتن، فأراد أن يبين المواقف المتشابهة بينه وبين رسول الله (ﷺ)، ويمكن أن يفسر كلامه الشريف إلمامًا منه (عليه السلام) لاندماج الحالتين بينه وبين رسول الله (ﷺ)؛ لأنه ورسول الله (ﷺ) نفس واحدة فهي متحدة معه، وهذا ما فسر في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهْلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿آل عمران: [٦١].

أورد ابن الجوزي آراءً عدة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ نقل الرأي الأول عن الشعبي أن المراد بذلك هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٤١).

والإمام (عليه السلام) على يقين في كلامه؛ لأنه يؤكد ذلك باليمين والقسم، وهو يقسم بمبعث رسول الله (ﷺ)، وذلك قسم كبير في نفسه، وفي نفس الآخرين، ولا شك أن القسم من مؤكدات الكلام وقول الإمام (عليه السلام) وعلمه إنما هو مستنبط من علم رسول الله (ﷺ). وفي هذا المعنى ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يُفْتَحُ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ» (٤٢).

الاحتجاج برسول الله (ﷺ) ردًا على

الخصوم:

يحتج (عليه السلام) في مؤاخذاته على من

نجد النص الشريف مملوءًا بالقوة والتأكيدات، تجليةً للهداية واليقين،

تعالى قرن ذكره بذكر رسوله في الطاعة والتزيه والتمجيد، والتكريم والتشريف، وهذا ما يؤكد القرآن الكريم.

مما يدل على المكانة التي يشهد بها (ﷺ) للنبي الأعظم (ﷺ) وقوله «أم أنزله الله سبحانه دينًا تامًا فقصر رسول الله (ﷺ) عن تبليغه وأدائه»، ففي هذا الكلام استفهام إنكاري؛ لأنه ينكر اشد الإنكار والاستبعاد عن أن يدخر الرسول الكريم (ﷺ) وسعًا إلا ويبدله من أجل تبليغ رسالته، لأن ذلك يناقض ما ذكره الله عن رسوله وإتمام دينه.

إن «استعمال الاسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث،

لم يتحرر الدقة في الحكم، ويسير به برأيه، على ذلك بإتمام هذا الدين الحنيف الذي بعث به رسول الله (ﷺ) بما أنزل عليه من ربه من الآيات البينات الواضحات، فلما عاب على من اختلف مع غيره وحكم برأيه، احتج بوحدانية الله تعالى، وبالمبعوث رحمة للعالمين جميعًا محمد (ﷺ)، وكذلك بالكتاب المنير الهادي إلى سواء السبيل، فعلى الرغم من الموحدات التي تلزمهم بتوحيد كلمتهم، وقوة شوكتهم إلا أن آراءهم أشتات يقول (ﷺ): «ثُمَّ يَجْمَعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيَصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ»^(٤٤). فعبارته (ونبيهم واحد) وردت في سياق أكثر من عامل في التوحيد ابتداه برب العزة تبارك وتعالى، وتلاه بالنبي الأكرم (ﷺ)، ثم الكتاب العزيز؛ لأنه





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون»^(٤٥). نجد هذا الاستفهام قد بدأه (ﷺ) فيما يتعلق بالتنزيه عن الباري الخالق تبارك وتعالى، ثم أردفه بالكلام عن تنزيه رسوله الكريم (ﷺ) للتلازم وشدة الارتباط بين الله تعالى ورسوله (ﷺ).

لقد بين (ﷺ) في قوله «ابْتَعَثَهُ

رَحْمَةً لِلْعِبَادِ...» هذا الابتعاث

وهيأته التي جاءت ملائمة لمعنى

القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]. وقد جاءت

العبارات متناسقة ومتلائمة في

مواضعها، فقدمت عبارة (الرحمة

للعباد) على عبارة (الحياة للبلاد)،

لأجل تقدم العلة على المعلول، فإذا

عمّت الرحمة العباد ببركة الرسالة

الخالدة، ووصلحت الأمة بشرعته

وبعثته المباركة، فسيؤدي ذلك إلى

الحياة الطيبة الكريمة.

ويرتبط هذا الكلام بالكلام

مدح النبي (ﷺ) والثناء عليه:

بعد الحمد لله سبحانه ذكر نبيه

بما هو أهله معللاً بابتعائه وإرساله،

فقال: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،

ابْتَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ ، وَحَيَاةً لِلْبِلَادِ»^(٤٦)،

جاء الفعل (ابتعته) بعد الشهادة

برسالته لتكون الألفاظ نسقاً منسجماً

ومتناسقاً، والفعل (ابتعث) جاء

على صيغة (افتعل)، إذ نلمس فيه

معنى المطاوعة؛ لأنّ المشيئة الإلهية

المطلقة، والقدرة التكوينية تقررت



اللاحق، وهو علة له إذ أشار (عليه السلام) إلى أن الرسالة والبعثة إنما هي هداية لهذا العالم الأرضي بأكمله، وهذا ما يدل عليه قوله «حين امتلأت الأرض فتنه، واضطرب جملها، وعبد الشيطان في أكنافها، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها...»^(٤٨)، نجد في ما تقدم قوة في السبك والحبك بين العبارات، وقد تنبه الدارسون المحدثون إلى الارتباط فينبوا «أن أصل تلك العلاقات جميعاً يرجع إلى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، وهي العلاقات القائمة على عملية تداعي المعاني في العقل البشري... ويذكر براون وميلر أن بعض الباحثين استخدموا مصطلحات أخرى تتعلق بهذا المجال منها مصطلحا النظام والتركيب، ومصطلحا الاختيار والسلسلة، ويقولون إن هذه العلاقات شاملة، إذ يمكن تطبيقها على كل مستويات

الوصف اللغوي، ومن هنا كانت هذه العلاقات متضافرة ومتوافقة، ليس يتكل بعضها على بعض»^(٤٩). وبعد هذه الأحوال الدالة على أهمية البعثة المشرفة، أعقب ذلك بقوله (عليه السلام) «فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إمام الهدى، والنبى المصطفى (عليه السلام)»^(٥٠)، إذ جاء بعد هذا الكلام ذكر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي ذكره أثر بالغ في النفس لما يجمله الاسم الشريف من قوة في وصل الكلام، كوسيلة للإفناع والإنجاز، ويذهب الدارسون المحدثون إلى أن اسم العلم «يحيل على شخص ما في مقام ما أو مقال ما يصبح له محتوى وصفي، هو مجمل صفات ذلك الشخص الذي يحيل عليه الاسم. لذلك ذهب روسل في نقده لميل في مسألة اسم العلم، إلى أنه على الحقيقة وصف لصاحبه لكنه وصف غير معلن. فاسم العلم حسب





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

روسل يمكن أن يجلل على الصفات التي لصاحبه»^(٥١).

يستدل من ذلك أن الاسم العلم المبارك العائد للنبي الأكرم (ﷺ) يتمثل فيه المتلقي كل الصفات المباركة لحامل الرسالة الخاتمة، بما فيه من المعاني العظيمة والمبادئ السامية لرسالة الإسلام.

وبعد ذكر اسمه الشريف اتبعه (ﷺ) بالصفات الحقة التي وصفه الله بها، وهو قوله «**إمام الهدى والنبي المصطفى** (ﷺ)»، وهذا هو

المكان الذي بوأه الله تعالى والمحل الذي ارتضاه له.

تظهر بلاغته (ﷺ) باستعماله الاستعارات والتشبيهات التي

وصف بها الفتنة التي أطفأها الله برسوله الكريم (ﷺ) فقال (ﷺ):

«**الذي أطفأ الله به نيرانها، واخذ به شرارها، ونزع به أوتادها، وأقام به**

ميلها...»^(٥٢) نجد تكرار الضمير

العائد عليه (ﷺ) نحو (به) من العبارات المتقدمة، ولاستعمال الضمير دواع ذكرها الدارسون منها «إن إدراك المتكلم بأن المحال عليه لن يلتبس على المخاطب، قد يجمله إلى الاكتفاء بالتلفظ بالضمير، دون أن يردفه بلفظ يدل على مرجعه... أما في خطاب الملوك فإجلالاً لهم لا يخاطبون بضمير الخطاب لما فيه من المواجهة وإنما يخاطبون بضمير الغيبة، أو بوصف يدل على التعظيم وإعلاء الشأن»^(٥٣).

وأشار (ﷺ) إلى ارتحال رسول الله (ﷺ) وإتمام دينه المبارك وسيرته

العطرة، وإكمال النعمة، وإعظام الرحمة، فعبر (ﷺ) في الخطبة نفسها

بقوله: «**ثم قبضه الله إليه حميداً**»، إذ يشير الفعل (قبض) إلى معنى العناية

والإكرام، ف«القبض تناول الشيء بجمع الكف نحو قبض السيف

وغيره، قال تعالى: ﴿**قبضت قبضة**﴾



«... فِي شَرِّ دَارٍ...» (٥٦).

الموت فيقال قبضه الله» (٥٤). ويسمى ملك الموت بـ (قابض الأرواح) (٥٥)، مما يدلّ على المدح والثناء على النبي (ﷺ)، ما قيّد به هذا الحدث وهو (القبض) بالنعته الحسن وهو لفظ (حميدا) في قوله (قبضا حميدا).

بين (ﷺ) حال البعثة الشريفة، وفيه إشارة إلى ابتداء تكليف ونور، لا اعتدال ما اعوجّج من حياة الإنسان في ذلك الوقت وقبله، وقد اختار (ﷺ) الفعل (ابتعث)؛ لأنها تفيّد بداية الشيء؛ لأنه (ﷺ) أراد أن يفاضل أو يوازن بين حياتين يعيشها الإنسان وكلاهما متقاربة من الأخرى، إذ تبدأ الثانية بانتهاء حياة قبلها، وكذلك نلمح في فعل الابتعث امتداداً للرسالة وأدائها، ويؤكد ذلك الحال التي بينت هياة هذا الابتعث في قوله «نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل».

وجاءت الحال (حميداً) بصيغة المبالغة مبيّناً حياته المباركة، والسيرة العطرة حتى اختتمت له برضوان الله وما أَعَدَّه له من المقام المحمود.

منزلة البعثة الشريفة

نجد الإمام (ﷺ) في أكثر المواضع والخطب يبدأ كلامه الشريف بدور البعثة الشريفة، وذكر الرسول الأعظم (ﷺ) والموازنة بين حال الأمة بعد مجيء الإسلام، وحال الناس قبل الإسلام، كما في قوله (ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ،

والنذير هو وصف له (ﷺ) ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾ [البقرة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

[سبأ: ٢٨] لقد اختار الإمام (عليه السلام) هذا الوصف للنبي (ﷺ)؛ لأنه اسم ووصف فيه قوة وبأس يحتمل الإنذار والوعيد بالعقاب، مما جاء متناسقاً متناسباً مع ما بعده من الكلام في النص، ولما فيه من التقرير والتحقير فيما كانوا عليه من عصبية وبدادة، وسفك دماء، قال (عليه السلام):

التأسي برسول الله (ﷺ):

يجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (ﷺ) أسوته وقدوته ومثله الأعلى في كل موقف شديد يمر فيه، وفي كل كرب ونازلة تواجهه، فيظهر سمو تلك الشخصية العظيمة، وعلو همتها التي يتمتع بها، عبر ما أبان عنه النص الشريف وكشف عنه؛ إذ جاء ذلك حينما أجمعت العرب على قتاله (عليه السلام)، كما أجمعت على حرب رسول الله (ﷺ) ويضفي هذا التأسي طمأننة لنفسه، وإيماناً بهدفه السامي.

«وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيحُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجُشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ» (٥٧).

ونلمح في هذا التعبير العموم والشمول في لفظ العالمين من قوله (عليه السلام) (نذيراً للعالمين؛ لأن النبي (ﷺ) مبعوث لجميع العوالم، وشرعته قائمة للناس كافة على مرّ الأزمان والعصور، وجاءت عبارته

في شكاته من قريش، وعداوتها له (ﷺ) يحتج بقربته من رسول الله (ﷺ) وسابقتها في الإسلام في قوله «وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام»^(٥٨)، فقد جاء التعبير بلفظ الرسول ليتسق مع العبارة التالية له وهي الإسلام؛ لأن الرسول مكلف في تبليغ هذا الدين العظيم وهو انسجام ناجم عن الترابط بين الألفاظ، وهو نوع من الترابط القائم على التكرير، وقد جعل الدارسون هذه الظاهرة من الترابط المعجمي قائمة «على سلم أولى درجاته عودة الوحدة، وبعد هذا الترابط والانسجام بين الألفاظ قيمة مهمة من قيم النص تتمثل باختيار الألفاظ ووضعها بما يناسبها ذكر خمري هذه المسألة بقوله: «إذ يقوم النص بعملية اختيار داخل اللغة ذاتها (محور الاختيار)، ومن

هنا يمكن النظر إلى النص باعتباره عينة من المؤسسة اللغوية، إذ يعرض مستوياتها التعبيرية وصيغ تطورها وبنياتها التركيبية والدلالية، وهذه الوظيفة هي لغوية بحتة، إذ يفتح النص نظامه اللغوي الخاص ويعمل على تحويله وإعادة تشغيله»^(٥٩)، إذ جاء التعبير ليتسق مع العبارة التالية له وهو الإسلام؛ لأنه رسول في تبليغ هذا الدين العظيم، وقدّم عبارة (قرابتي من الرسول) على (سابقتي في الإسلام)؛ لأن القرابة متأصلة وسابقة، وهذا ما جاء في النص الشريف كأنه يريد أن يحتج بذلك بقوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [الشورى: من الآية: ٢٣] وأبرز منزلة الرسول (ﷺ)؛ لأن لهم الشرف في الانتساب إليه، وأكد ذلك بعطف عبارة (وسابقتي في الإسلام) على ما قبلها، ولا تقتصر هذه القرابة





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

على القرابة النسبية بين الإمام (عليه السلام) وبين رسول الله (ﷺ)، بل تتعدى إلى القرابة والترابط والالتزام الروحي والنفسي بينهما.

وفي مقام البعثة وفضلها في الإسلام أظهر كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) صورة العرب وهم يعيشون خبط عشواء بلا هداية، ولا دليل، لا يقرؤون كتاباً ولا يهتدون بنبي، حتى من الله عليهم بالنبي الأعظم (ﷺ) فتبدلت حالهم، وتغيرت أمورهم إلى خير، لذا جاء الكلام مبيناً عزهم، ومكانتهم بعد شروق الإسلام وبزوغ نوره.

يدل الفعل (ساق) في قوله (فساق الناس) على الاندفاع والتسليم للسائق، وهو الرائد الموصل إلى ذلك المكان والمحل الذي بوأهم فيه حتى بلغوه واستقاموا، ويظهر فيه صورة الإذعان والتسليم، ولعل دلالة الفعل (ساق) نلمح فيها العموم

وفي الأفعال الواردة ضمائر تعود على صاحب الرسالة المتقدم ذكره الشريف الذي انقذهم من الجهالة والضلال حتى بلغوا النجاة في الدين، ويؤكد الدارسون المحدثون على أهمية وظيفة الضمير في الجملة العربية لغرض ارتباط وربط أجزاء الكلام وإحالة بعضه على



تعظيم الأحاديث الشريفة

عند الإمام (عليه السلام):

لما أراد الإمام (عليه السلام) أن يخبر عن النبي الأعظم (عليه السلام)، مهد لكلامه الشريف قبل أن يذكر الحديث في قوله «فَلَأَنْ أُخَرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)»، ثم أورد الحديث «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ...»^(٦٢) جاءت هذه المقدمة لتسد الباب أمام المرجفين والأعداء المكذبين المفترين عليه (عليه السلام)، فهو لا يستبعد أن يشك هؤلاء بقوله وهو ينقل حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذا فقد أظهر فيها منزلة صاحب الحديث ومقامه في نفسه، وقد صور فيها الجرأة، والأمر الكبير، والمعصية التي لا تغتفر بحق من يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد جاء بصورة حسية مهولة تكون عنده أهون من غيرها في حال القول عن رسول الله بغير حق،

بعض، فالضمير يعمل على التعالق بين الجملتين ويدفع اللبس عن الكلام^(٦١).

افتتح الإمام (عليه السلام) خطبته بالبعثة الشريفة، مسمياً النبي (عليه السلام) باسمه الشريف من دون ذكر لفظ الرسول أو النبي، لما في ذكر الاسم العَلَم من قيمة إنجازية مشعة، إذ إن في ذكر اسمه الشريف وقع في نفس المتلقي كما تقدم ذكره.

ارتبط مفتتح الكلام الشريف المتمثل بفضل الله على الناس برسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) واستنقاذهم مما هم فيه قبل البعثة المطهرة، ثم تحول الناس الذي أدى إلى حسن حالهم فقد ارتبطت هذه المقدمة بكلامه الشريف عن قريش وما يلاقيه منهم، وكأنه أراد أن يشير إلى العنت والمصاعب التي واجهها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في عهد ابتعائه مع ما يواجهه نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم).





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

وهو في كل ذلك ما يقول إلا الحق، وما ينطق إلا بالصدق، ومن هذا ما روي عنه (عليه السلام) وهو يخطب الخوارج يوم النهروان بقوله «نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، نحن أفق الحجاز...» (١٣).

نجد في هذه المقدمة تكثيفاً للعبارة عبر العطف المتكرر، وهذه الأخبار التي تثبت الحقيقة وهي متصلة ومرتبطة كلها برسول الله (ﷺ)، وإنه (عليه السلام) قد أراد شيئاً ولم يذكره بذاته، وإنما ذكر لوازمه، وهذا فن بلاغي يسمى بالاستعارة المكنية، فالنبوة والرسالة ونزول الملائكة وحلول الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، وأفق الحجاز يرجع إليه (ﷺ)، وهم قد انتسبوا إليها، لأنهم القيمون عليها بعده (ﷺ) والموكلون عليها، فهي أمانة في أعناقهم فأدوها على تمامها، فحاربوا

وهو أن يجرّ أو يهوى من السماء أحب إليه من ذلك، وهذه صورة مهولة مستوحاة من القرآن الكريم حينما يصور المشركين: ﴿... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فهذه صورة الشرك بالله تعالى، فتلك صورة من يجرأ فيكذب على رسول الله (ﷺ) ومن جهة أخرى فإنه أراد أن يدحض الأعداء ويردعهم بحجة دامغة أنبأ فيها رسول الله (ﷺ) عن هؤلاء المارقين عن الدين كما يمرق السهم من الرمية، وهو نص لا يقبل التأويل.

الانتساب إلى رسول الله (ﷺ):

يبدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبه إمّا بحمد الله سبحانه، والثناء على رسول الله (ﷺ)، أو التمجيد بالبعثة والرسالة، أو انتساب إليه (ﷺ)؛ ليكون مفتتحاً يصغي به الأسماع، ويجلب الأنظار، ويهيب به القلوب،

عن رسول الله (ﷺ):

ورد في خطبته الشريفة الإخبار بالمغيبات عن رسول الله (ﷺ)

التي اسرّها له في عهده وقد حدثت في زمانه (ﷺ)، وهذا تصديق لما قاله رسول الله (ﷺ) بعدما شك بعضهم فيما يقوله لهم، قال في ذلك

(ﷺ): «أَتْرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبَ عَلَيْهِ»^(٦٥)، إذ

جاء كلامه مستنكراً على من يذهب به هذا المذهب، وهو طريق من طرق الاستفهام الذي تتجلى فيه دلالة الردع والزجر، وبعد هذا الإنكار

ورد كلامه (ﷺ) محملاً بالحجة والدليل الساطع الثابت عند الجميع

من قوله: «وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبَ عَلَيْهِ» وفي

هذا نقص لما ادعوه عليه، فأسقط ما ذكره عنه في مقدمته، وهذه حجة

منه (ﷺ) موثقة بالمؤكدات كالتوكيد

البغي والظلم والفساد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وضحوا من أجلها.

لقد توفر النصّ على توصيل الكلام وتقوية أوامره عبر تعدد الإضافات؛ لأن ذلك متحقق فيها لشدة الاندماج بين الاسمين المتضايقين؛ لأنّ الإضافة في عرف

النحويين «ضم أسم أول إلى اسم ثانٍ ليس بخبر ولا تابع، ولا حال من غير فاصل بينهما»^(٦٤). ومما تقدم

تظهر فيها النسبة القوية الدالة على التماسك، وقد جاءت ألفاظ (الرحمة، العلم، الحكمة) متأخرة في كلامه (ﷺ) عن ألفاظ (النبوة، الرسالة، وإنزال الوحي، والملائكة)؛ لأن هذه

من أسباب الرسالة الخالدة، إذ ارتبطت الرحمة بالرسالة كما في قوله

تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إخباره (ﷺ) بالمغيبات





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

بالقسم بالله تعالى، وكذلك التوكيد بلام التوكيد الداخلة على الضمير، وكذلك في ضمير المتكلم (أنا)، وكذلك العبارات المتضادة التي تكشف عن النص وتحفز المتلقي في وسيلة الإقناع كما في عبارتي (لأنا أول من صدقه، فلا أكون أول من كذب عليه).

لما كان حال القوم التي يدركها الإمام (ﷺ) من حيث عدم استيعابهم وإدراكهم للسر الذي أودعه الله في رسوله (ﷺ) وأهل بيته (ﷺ) حينما أخبر أمير المؤمنين (ﷺ) بأسرار من مكنونات الغيب التي أطلعها الله بها، فإنه قد عمد إلى توثيق كلامه وتوكيده مراعاة لمقام حالهم، ومعرفته (ﷺ) بسوء طويتهم، وهذا من بلاغة القول عنده، وقد أدرك القدماء أساليب الكلام عند الخطباء والمتكلمين منبهين على مراعاة المتكلم للمخاطب، ينقل الجاحظ

عن أحد الأعلام وهو (إبراهيم بن محمد) قوله: «يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق... ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع»^(٦٦).

لقد درس أحد الباحثين المحدثين هذه القضية مبيِّناً تنبيه القدماء إلى تحقق الفهم عبر ما اشترطوه من توافر وسائل وعوامل تعد واسطة ومعيناً إلى ذلك في النص مراعاة للمخاطب^(٦٧). فإذا كان المخاطب خالي الذهن وكان شاكاً في الأمر فيؤتى بوسائل تفيد الإقناع وتوصل إلى اليقين من ذلك المؤكدات الكلامية كما هو محقق في النص الشريف.

أما المنجز الكلامي الآخر في خطابه (ﷺ) فهو الاستفهام المصحوب بالهمزة والفعل المضارع (أتراني) المتعدي إلى ياء المتكلم، الذي نلمح فيه التعجب والاستغراب لما في الأمر من أهمية بالغة على نفس

المتكلم، وهو الكذب على رسول الله (ﷺ) وهو الذي أول من صدقه، وقدم نفسه فداء لرسالته وبعثته الشريفة، ويمكن أن يخرج الاستفهام هنا إلى الإنكار على أولئك الشاكين الطاعنين، وكذلك يمكن أن يعطي معنى التقرير؛ لأن المستفهم واثق ومتيقن بذلك، وكذلك يكون الاستفهام هنا مفيدا للتقرير من جهة الأعداء، إذا أردنا أن نفسر أنهم يعلمون ويطمئنون بهذه الشخصية العظيمة التي لا تأخذها في الله وفي الحق لومة لائم، ولكن مكابرتهم تقودهم وتمنعهم من أن يسلموا له.

استنهاض أصحابه بتذكيرهم برسول

الله (ﷻ):

يُظهر أمير المؤمنين (عليه السلام) الإيمان الراسخ بالرسالة الحقة في تذكير أعدائه مع رسول الله (ﷺ) وشدة بأسه، يقول «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷻ) نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، لَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيَّانَا وَتَسْلِيمًا...» (٦٩).

إن أمام الإيمان بالله تسقط كل الاعتبارات من القرابة وغيرها؛ إذا كانوا كافرين بالدين الحنيف. وفي هذه الموازنة بين الموقفين موقف رسول الله (ﷻ) وصحابته، وموقف

لقد ورد التعبير بصيغة الاستفهام للفعل (رأى) في القرآن الكريم كما هو في قوله تعالى في سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِينِ﴾ [الماعون: ١] وقد المح الدارسون إلى دلالات هذا التعبير في السياق القرآني من الاستفهام، إذ هو يثير





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

نفسه، وهذا مما لا يقبله عقل، وفي هذا النص الشريف نراه يتحول خطابه من الكلام مع نفسه الشريفة وإيانه وجهاده مع رسول الله (ﷺ) إلى مواجهتهم ومباشرتهم بالخطاب عبر الأمر الصريح بضمير الخطاب يقول «فَأَبَوْا شَرَّ مَا بٍ وَارْجِعُوا عَلَيَّ أَثَرِ الْأَعْقَابِ»^(٧١)، ليتخذ من ذلك رادعاً على سوء فعلتهم، وخسيس

أفعالهم، وفي عبارته هذه تحذير وخيم، ووعيد شديد، لما سيؤول إليه حالهم، فهو ينبئهم بشرى يؤول اليهم، وهو رجوعهم على الأعقاب، أي إنهم يرجعون إلى ما كانوا عليه هم وآباؤهم.

لقد جاءت الألفاظ فيها منسجمة موائمة، فقد اشتق المصدر (مآب) ويعني العودة والرجعة من الفعل الأمر المتقدم (فأبوا) وقد اكتسبت هذه الحالة السيئة شدة وقوة من الاسم المضاف وهو أفعل التفضيل

بعض صحابة أمير المؤمنين (عليه السلام) يتجلى إثارة الآخر واستنهاض همته، وليقينه بطلان ما يدعون، وكذب ما يفترون عليه جاء كلامه الشريف حجة تدمغهم، وهو قوله (عليه السلام):

«أَبْعَدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ»^(٧٠).

وهذا استفهام إنكاري، وهو يحتاج بإيانه الراسخ بالله سبحانه، الذي بدأ فيه بالإيمان بالله؛ لأنه أول من صدقه وغمر قلبه به، وقد قدم لأجل هذا الإيمان كل ما يملك في هذه الدنيا حتى استقام الإسلام بسيفه، إذ إنه بذل مهجته بذات الله بعدما كشف الهموم والغموم عن وجه رسول الله (ﷺ) في حياته كلها، مما حدا به أن ينكر عليهم ما تقولوه عليه، وهو الإمام المنصوص عليه، والسابق المقدم، وهم يريدون أن يشهد على



(شر) الذي أسندت إضافته إلى المصدر، فهو أقصى غاية لهذا الرجوع أو المال، وكذلك عطف العبارة الثانية (وأرجعوا على أثر الأعقاب) لتوكيد الكلام السابق لها وتقويته، فألفاظها تدل على الانتكاس والرجوع والقهقري إلى الخلف والوراء، مما يدل على العمى والعمتة والتهيه والضلال وهي أشياء تقف مجتمعة أمام القوم فتمنعهم التقدم نحو الإمام والمستقبل والانفتاح على الحياة، وإعمام الخير والنفع، وقد جاءت الإضافة في قوله (عليه السلام) (أثر الأعقاب) شديدة قوية مؤثرة في نفوسهم راجعة بهم إلى العهد الأول، محققة معنى بالغاً في الدقة؛ لأن اللفظين (الأثر والعقب) يعني كلاهما الرجوع إلى الشيء، عن طريق ذلك. فقد اتحد المعنى وقوي بإضافة أحدهما إلى الآخر، فاندمج الاسمان بهذا المعنى الدقيق، ولشدة

ارتباطه مع الله وذوبانه في ذاته واقترانه وارتباطه الشديد برسول الله (ﷺ) الذي لا ينفك عنه في أي حال من الأحوال، وهو في كل هذه الأمور يُفترى عليه، نجده يضمن خطابه ذلك على القوم لسوء فعلهم، كما جاء في قوله (عليه السلام): «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آبِرٌ، أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ وَجَهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ». فحينما يعلم متيقناً وقاطعاً في الأمر بما انطوت عليه نفوس القوم تجاهه، يدعو عليهم بالزوال والفناء بقوله: «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آبِرٌ». والحاصب هو «الريح الشديد التي تثير الحصباء»^(٧٢)، وجاء تعبيره (عليه السلام) في قوله: «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ» داعياً عليهم بالهلاك والفناء والإبادة؛ لأنه قد انقطع رجاءه منهم، ومن رجوعهم إلى طريق



الهدى،

وقد جاء الدعاء بصيغة الفعل الماضي، وإن كان الدعاء يفيد الاستقبال، لكنه (ﷺ) عبّر بالماضي، لأن صورة الهلاك قد حلت ووقعت بهم، وانقطع أمرهم، وصار فيهم متحققًا، وكأن في هاتين العبارتين يلمح فيهما التمني باستئصالهم إذ بلغ هذا الدعاء عليهم مبلغًا قويًا فجاء بأشد وطأة عليهم، أي أراد ألا يبقى منهم باقية، وقد روي لفظ (آبر) في قوله (ﷺ) «ولا بقي منكم آبر» أو (آبر)، والآثر هو من قولهم «رجل آبر للذي يأبر النخل، أي يصلحه»، ورواية (آثر) الذي رجحها ابن أبي الحديد فيراد به الذي يآثر الحديث، أي يرويه ويحكيه (٧٣)، وتقدمت عبارة (أصابكم حاصب) على عبارة (ولا بقي منكم آبر)؛ لأن الأولى سبب في الثانية؛ ولأن الفناء الواقع عليهم هو بسبب الريح العاصف التي تثير الحصباء، إذ إنها تحدث ثم يقع

من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

الهدى، وقد جاء الدعاء بصيغة الفعل الماضي، وإن كان الدعاء يفيد الاستقبال، لكنه (ﷺ) عبّر بالماضي، لأن صورة الهلاك قد حلت ووقعت بهم، وانقطع أمرهم، وصار فيهم متحققًا، وكأن في هاتين العبارتين يلمح فيهما التمني باستئصالهم إذ بلغ هذا الدعاء عليهم مبلغًا قويًا فجاء بأشد وطأة عليهم، أي أراد ألا يبقى منهم باقية، وقد روي لفظ (آبر) في قوله (ﷺ) «ولا بقي منكم آبر» أو (آبر)، والآثر هو من قولهم «رجل آبر للذي يأبر النخل، أي يصلحه»، ورواية (آثر) الذي رجحها ابن أبي الحديد فيراد به الذي يآثر الحديث، أي يرويه ويحكيه (٧٣)، وتقدمت عبارة (أصابكم حاصب) على عبارة (ولا بقي منكم آبر)؛ لأن الأولى سبب في الثانية؛ ولأن الفناء الواقع عليهم هو بسبب الريح العاصف التي تثير الحصباء، إذ إنها تحدث ثم يقع

الارتباط الوثيق برسول الله (ﷺ):

في خطابه (ﷺ) الموجه إلى أصحابه بَيَّنَّ قرابته من رسول الله (ﷺ) وانتسابه إليه، يقول (ﷺ): «اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعِيْنِ اللّٰهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُوْلِ اللّٰهِ» (٧٤)، يريد بذلك تثبيت قلوب الجند الذين يواجهون العدو، فيجلب عليهم الطمأنة والسكينة، والثبات ويعلمهم بموضعهم من الحق؛ لأنهم يدافعون عن إعلاء كلمة الله فيذكرهم بالقرابة النسبية والروحية من رسول الله (ﷺ) في قوله: «وَمَعَ ابْنِ عَمِّ

رَسُولِ اللَّهِ» لما هو وارد في ذلك من الأحاديث الشريفة في حقه كحديث المنزلة.

إبراز مواقف أمير المؤمنين (عليه السلام) عبر

مواقفه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله):

قال (عليه السلام): «ألا وإن من أعجب العجائب أن معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن العاص السمي أصبحا يخرضان الناس على طلب الدين بزعمهما، ولقد علمتم أني لم أخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله) قط بنجدة، أكرمني الله سبحانه بها، وله الحمد، ولقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وان رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي، تقبله الملائكة المقربون معي، أيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله».

الخاتمة

أراد الإمام في كلامه الشريف أن يبين مكانته ومنزلته ومقامه الحقيقي

وبسبب ما وقع على أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته من حيف ومشقة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنهم يشعرون بالوحشة فهو يتوجه برسول الله (صلى الله عليه وآله) في الدعاء، فيقول «اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو غَيْبَةَ نَبِيِّنَا»^(٧٥)، إذ يريد بقوله هذا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان أماناً بينهم وبين المسلمين، حيث يقولون «كنا إذا اشتدت الحرب نلوذ برسول الله».

فحضوره (صلى الله عليه وآله) بينهم كان يمدهم العزيمة والقوة مع الصحابة المصطفين ولا شك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حاضر في نفس أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل هو نفسه التي بين جنبيه؛ لأنهما نفس واحدة كما عبر القرآن الكريم ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

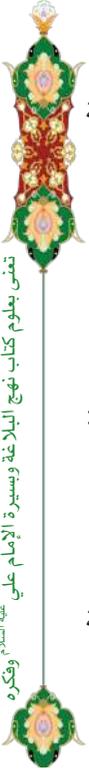
إذ قال: «أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص»، وقد جعل مواقف هذه شرفاً ومكرمة من الله قد منَّ الله بها عليه وهو يقدم لرسول الله (ﷺ) هذه النجدة وهذا الفداء، حيث يقول «بَنَجْدَةٍ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَ». ثمَّ أراد أن يبين قربه الروحي والنسبي منه (ﷺ) فهو لم يغادره، بل هو ملازم له، وهذا ما أكدته كتب السير والحديث في ملازمته له. ما دونته وأثبتته في هذا البحث إنَّما هو الشيء القليل من كلام أمير المؤمنين (ﷺ) في بيان المنزلة والمقام الرفيع، الذي أردنا أن نشير عن طريقه إلى المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة في النهج المبارك عن طريق اللغة وعلاقتها وترابط أجزائه.

الذي لا لبس فيه عبر مواقفه طوال حياته مع رسول الله (ﷺ) وهو في هذه المفاضلة بينه وبين أعدائه المدعين الدين والإسلام يؤكد هذه الحقيقة بمخاطبتهم بهذه المؤكدات اليقينية في قوله «ولقد علمتم أني لم أخالف رسول الله (ﷺ) قط ولم أعصه»، لقد اشتملت عبارته المتقدمة على نفي المخالفة والمعصية لرسول الله (ﷺ) ولعل جملة «لم أخالفه» المتقدمة على جملة (ولم أعصه) لما فيها من الشمول والعموم، إذ قد تكون المخالفة عامة تشمل الشيء اليسير والبسيط، والشيء الكبير، أما المعصية فهي لا تصدق إلا على الشيء الكبير، ثم ربط كلامه بما بعده، لتكون الطاعة سبباً في بذل نفسه عنه، وهو يقيه في المواقف الشديدة العصبية،



الهوامش:

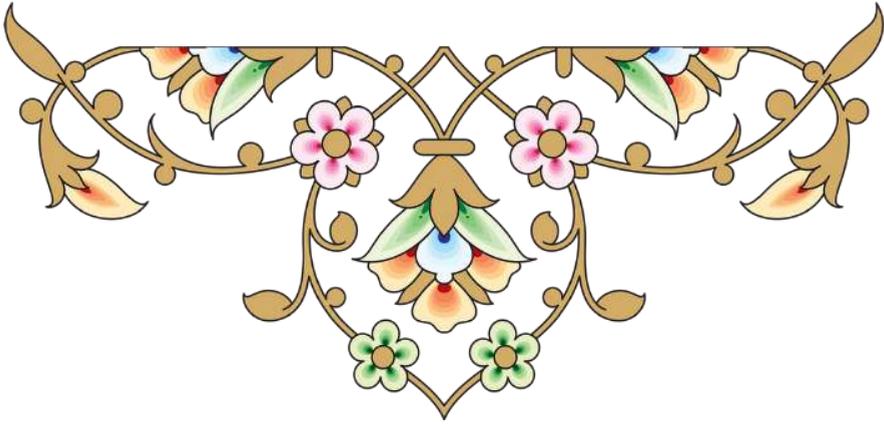
- ١٤٢ .
- (٢١) بناء الجملة العربية: ٦١ .
- (٢٢) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٧٦ - ١٧٧ .
- (٢٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٣٩ - ١٤٢ .
- ١٤٢ .
- (٢٤) عمدة الحفاظ: ٤ / ٧٠ (مثل).
- (٢٥) التقابل الجمالي في النص القرآني- دراسة جمالية فكرية وأسلوبية: ١٤٣ .
- (٢٦) المصدر السابق: ١٥٣ - ١٥٤ .
- (٢٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٢ .
- (٢٨) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٨٤ .
- (٢٩) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٢ .
- (٣٠) اللسان: ٥ / ١٩٣ (نجر).
- (٣١) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٨ .
- (٣٢) التقابل الجمالي في النص القرآني- دراسة جمالية فكرية وأسلوبية: ١٦٦ .
- (٣٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٣ .
- (٣٤) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم: ١٧٩ .
- (٣٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٤ .
- (٣٦) ينظر: المصدر نفسه ١ / ١٤٦ .
- (٣٧) المصدر نفسه: ١ / ١٤٤ .
- (٣٨) مسند أحمد بن حنبل: ٣ / ١٤؛ وينظر:
- (١) الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) في كتاب الاحتجاج- دراسة تداولية ٤٢ .
- (٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٣٩ - ١٤٢ .
- (٣) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): ٢ / ١١٠٩ .
- (٤) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٥٥ .
- (٥) راجع الآيات في: الكهف: ١، مريم: ٢، البقرة: ٢٢١، ق: ٨ .
- (٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٢ .
- (٧) الفروق اللغوية: ٢٩٩ .
- (٨) التحليل النحوي أصوله وأدلته: ٢٥٩ .
- (٩) البلاغة والأسلوبية: ٢٣٥ .
- (١٠) ينظر: نظرات في قضايا اللغة العربية: ٥٨ - ٥٩ .
- (١١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ١٤٢ .
- (١٢) الفروق اللغوية: ٣٤٨ .
- (١٣) ديوان الأدب (فعل يفعل): ٣٦٤، وينظر: اللسان (لمع): ٨ / ٣٢٤، الفروق اللغوية: ٣٥٠ .
- (١٤) ديوان امرئ القيس: ٧٢ .
- (١٥) الفروق اللغوية: ٣٥٠ .
- (١٦) ديوان الأدب (فعل - يفعل): ٣٦٣ .
- (١٧) اللسان (صدع): ٨ / ١٩٤ - ١٩٦ .
- (١٨) التحليل النحوي، أصوله وأدلته: ٢١١ .
- (١٩) الكشف: ٢ / ٣١٤ .
- (٢٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ /



- صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢-١٢٣؛ ونيل الأوطار: ٢٨٤.
- ٣٢٨ / ٢ (٥٣) المشيرات المقامية في القرآن: ٥٦-٥٧.
- (٣٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / (٥٤) مفردات ألفاظ القرآن (قبض): ٦٥٢، وينظر: اللسان (قبض): ٧/ ٢١٣-٢١٤.
- ٢٨٣ (٤٠) المصدر نفسه: ١/ ٢٥٣.
- (٤١) ينظر: زاد المسير: ١٩٩.
- (٤٢) نظم درر السمطين: ١١٣؛ وينظر: فتح الباري: ٥ / ٢٧٠؛ وكنز العمال: ١٣ / ١١٤-١١٥.
- (٤٣) الضمير بنيته ودوره في الجملة: ٩١ عن كتاب المشيرات المقامية في القرآن: ١٢٧.
- (٤٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / (٦٠) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٣٦ (سوق) واللسان: ١ / ١١٦ (سوق).
- ٢٦٦ (٦١) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٥٢-١٥٣.
- (٤٥) استراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية: ٣٥٢.
- (٤٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / (٦٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / ٢١٢.
- ٢٨٤ (٦٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢٢٣.
- (٤٧) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١١٦.
- (٤٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / (٦٤) توجيه اللمع: ٢٥٠-٢٥١.
- ٢٨٤ (٤٩) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٠٤-١٠٥.
- (٦٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / (٦٦) البيان والتبيين: ١ / ٨٧.
- (٦٧) ينظر: السياق والمعنى- دراسة في أساليب النحو العربي: ١٣٦.
- (٦٨) ينظر: تفسير سورة الماعون: ٢٩-٣٠، ومقاصد التعبير القرآني- دراسة في قصار السور: ٤٤-٤٦.
- (٥١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ١٧٥-١٧٦.
- (٥٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / (٦٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / ١٩٠.



-أ. د. سالم يعقوب السلمي
- (٧٠) المصدر نفسه: ٩٨ / ٤ .
- (٧١) المصدر نفسه: ٩٨ / ٤ .
- (٧٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩٨ / ٤ .
- (٧٣) المصدر نفسه: ٩٨ / ٤ .
- (٧٤) المصدر نفسه: ١٣٦ / ٥ .
- (٧٥) المصدر نفسه: ١٤٩ / ٥ .



(ط ٢) ٢٠٠٦.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد- بيروت (ط ١) ٢٠٠٤ م.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، المؤسس العربية- تونس (ط ١) ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.
- البلاغة والأسلوبية- محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان- القاهرة (ط ٣) ١٩٩٤ م.
- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب- القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي- بالقاهرة (ط ٧) ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨ م.
- التحليل النحوي- أصوله وأدلته، د. فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان- القاهرة (ط ١) ٢٠٠٢ م.
- تفسير سورة الماعون- السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات- بيروت (ط ١) ١٩٩٩- ١٤١٩ هـ. ق.
- التقابل الجمالي في النص القرآني- دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، د. حسين نعمة- دار النمير- دمشق (ط ١) ٢٠٠٥ م.
- توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، تحقيق فايز زكي محمد، دار السلام- القاهرة

- جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان- القاهرة (ط ٣) ٢٠١٠ م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي- بيروت (ط ٢) ٢٠٠٧ م.
- الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليهم السلام) في كتاب الاحتجاج- دراسة تداولية، عبد الحسن علي حبيب الناصر، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة البصرة ١٤٣٨ هـ- ٢٠١٧ م.
- ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (٣٥٠ هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، الشركة المصرية العالمية (ط ١) ٢٠٠٣ م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- بمصر (ط ٢) ١٩٦٤ م.
- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي- دار ابن حزم- بيروت (ط ١) ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.
- السياق والمعنى- دراسة في أساليب النحو العربي، د. عرفات فيصل مناع، مؤسسة السيّاب- لندن (ط ١) ٢٠١٣ م.
- شرح نهج البلاغة، لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الكتاب العربي- بغداد (ط ١) ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.
- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر-



- بيروت، د. ت.
- الضمير بنيته ودوره في الجملة- الشاذلي الهيشري، رسالة دكتوراه، تونس- كلية الآداب منوبة ١٩٩٨م، عين المشيرات المقامية في القرآن- منى الجابري، الانتشار العربي- بيروت (١ط) ٢٠١٣م.
- علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- بالقاهرة (١ط) ١٩٩٧م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ- معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلي (٧٥٦هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت (١ط) ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٤٠٠هـ) تعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت (٤ط) ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة- بيروت، د. ت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت (٢ط) ١٤٢١م- ٢٠٠١م.
- كنز العمال، المتقي الهندي، ضبط الشيخ بكر حيّاني- مؤسسة الرسالة- بيروت، د. ت.
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور- دار صادر- بيروت (٦ط) ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- مسند أحمد بن حنبل، دار صادر- بيروت، د. ت.
- المشيرات المقامية في القرآن، منى الجابري، دار الانتشار العربي- بيروت (١ط) ٢٠١٣م.
- مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، انتشارت ذوي القربى، قم (٣ط) ١٤٢٤هـ.
- مقاصد التبجير القرآني- دراسة في بعض قصار السور القرآنية، د. فاخر هاشم الياسري، دار الحامد- الأردن- عمّان (١ط) ٢٠١٦م- ١٤٣٧هـ.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية- د. مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- القاهرة (١ط) ١٩٩٧م.
- نظرات في قضايا اللغة العربية، د. فاخر هاشم الياسري، دار الحامد- الأردن- عمّان (١ط) ٢٠١٦- ١٤٣٧هـ.
- نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم- ناشرون، منشورات الاختلاف (١ط) ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- نيل الأوطار، الشوكاني، دار صادر- بيروت، د. ت.
- نظم السمطين- الزرندي الحنفي، القسم العام (١ط) ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.



رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام)

بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

Ahmed bin Hanbal perspective in Imam

Ali (pbuh) priority to believe in the prophet

(peace be upon him and his family).

أ. د. حسين علي الشرهاني

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Prof. Dr. Hussein Ali Al- Sharhani

University of Dhi Qar

College Of Education For Human Sciences

ملخص البحث

يتناول هذا البحث رؤية أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي لأسبقية الإمام علي (عليه السلام) إلى الإسلام، وإلى ما تتمتع به هذه الشخصية العظيمة الفذة من فضائل وخصال تفرد بها دون سواه، عن طريق ما صنف ابن حنبل من كتب في الحدي، التي تُعدُّ مصدرًا مهماً لدراسة التاريخ الإسلامي في عهده الأول، ويسلط البحث الضوء على بعض الإشكاليات التي تداولها المسلمون في قضية السبق إلى الإسلام، ويحاول أن يحل تلك المناقضات وذلك بالنظر إلى الدواعي المذهبية والأسباب السياسية التي وضعت تلك الجدلية لإرباك الذهنية الإسلامية، ولتغيب الحقائق التاريخية، لاسيما تلك التي تتعلق بالإمام علي (عليه السلام) بوصفه صاحب الحق الشرعي في خلافة الأمة الإسلامية.



Abstract

The research addresses Ahmed bin Hanbel perspective (Imam of Hanbel doctrine) in Imam Ali priority to Islam and a recognition of his great personal qualities for no party other than him through Ibn Hanbal books in the hadith which considered important source to study Islamic history in it's early ear. The research highlights some problems that have been circulated by Muslims on priority to Islam issue and try to solve contradictions through the consideration of doctrinal necessity and political reasons which made this controversy to confuse Islamic mentality and hide historical facts in particular those Which relate to Imam Ali as the holder of legal right to succession of Islamic nation.



تمهيد

فكتب وحفظ آلاف الأحاديث، على الرغم من فقره وقله حيلته متحملاً معاناة السفر وقله المال والغربة، فنال من سفراته هذه علماً كثيراً، ثم عاد ليستقر في بغداد بعد أن بلغ الأربعين من عمره، فتصدى للفتوى والحديث لأنه لم يكن محدثاً فحسب بل كان فقيهاً أيضاً^(٢)، ويمكن أن نلمس مكانته في قول الشافعي: «خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أزهّد ولا أروع ولا أعلم من أحمد بن حنبل»^(٣)، ويبدو أنه كان يحظى باحترام كبير في الأوساط العلمية، فاصبح له طلبة ومريدون، وزادت مكانته في بغداد حتى أصبح أشهر فقهاءها ومحدثيها.

ولم تكن حياته هادئة بل كانت مليئة بالأحداث التي وثقتها مصادر المسلمين، وتلقفها الكتاب والرواة وأودعوها كتبهم، لكنها لم تخل من مبالغات خرجت عن السياق

أحمد بن حنبل الفقيه المحدث الذي اشتهر بحفظ الحديث وروايته، وذاع صيته في العالم الإسلامي، وأصبح فيما بعد إماماً للمذهب الحنبلي أحد المذاهب التي انتشرت في بغداد وبقية الأمصار الإسلامية، ولد أحمد بن محمد بن حنبل في مدينة مرو سنة ١٦٤هـ^(١)، ثم انتقلت أسرته إلى بغداد واستقرت بها، بعد أن بلغ ثلاث سنين من عمره، توفي أبوه وهو صغير فتكفلت به أمه، واهتمت بتربيته وتعليمه، فأرسلته إلى الكتاب لتعلم القراءة والكتابة، عندها ظهرت عليه علامات الفطنة والنبوغ المبكر، فلما بلغ سن الشباب بدأ يكتب الحديث عن الشيوخ المحدثين في بغداد، ثم رحل لطلب العلم وهو شاب، فسافر إلى البصرة والكوفة ومكة والمدينة والشام واليمن وعبادان وغيرها،



الطبيعي، لاسيما أنه أصبح فيما بعد إماماً للمذهب الحنبلي، ذلك المذهب الذي كثر اتباعه في بغداد^(٤)، حتى عصر المتوكل الذي خالف أسلافه في مسألة خلق القرآن ورفع هذا الأمر^(٧).

وسيطروا عليها مدة من الزمن بدعم من السلطة، فخلق هؤلاء مبالغت كبيرة في شخصيته وتطرفوا إلى حد كبير، وقمعوا من يخالفهم الرأي^(٥)، والنقطة الأساسية التي ارتكزوا عليها في تضخيم شخصية ابن حنبل، هي معارضته المأمون العباسي في مسألة خلق القرآن الكريم، على عكس كثير من الفقهاء الذين أيدوا المأمون في رؤيته لهذه المسألة، فتعرض ابن حنبل للامتحان من قبل المأمون فأبى أن يقول القرآن مخلوق، فأودع السجن على إثر ذلك^(٦)، واستمر على هذه الحال في عهد المعتصم العباسي، وفي كل ذلك كان مصرّاً على قوله في أن القرآن غير مخلوق، وقد حبس وعذب لكنه ثبت على قوله، ولم يجبهم إلى شيء، وعلى الرغم من أن سرد حياة ابن حنبل هو خارج سياق البحث، لكن لا بد لنا أن نتعرف على جزء بسيط من حياته لنستطيع معرفة رؤيته بصورة متكاملة، لاسيما أن بيئة الإنسان لها أثر كبير في تكوين شخصيته وآرائه، ويبدو أن البيئة الفكرية التي شهدها ابن حنبل في عصره أسهمت في تطور مستواه الفكري، وانعكست على تقبله للأحاديث وروايتها، فجاءت في مسنده أحاديث متعددة تبين أفضلية الإمام علي (عليه السلام) على غيره، وتبين مكانته في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما قدمه للرسالة وغيرها، وكما يبدو أن المزاج العام للسلطة أثر فيه وفي روايته للأحاديث، فروى أحاديث واقعية في فضل الإمام (عليه السلام)، على





رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).....

عكس بقية المحدثين والرواة الذين عاصروا الدولة الأموية وحكام بني العباس الأوائل الذين تشددوا في الروايات والأحاديث الخاصة بفضائل آل البيت (عليهم السلام)، ومن المعروف أن المأمون العباسي كان يدافع عن أحقية الإمام (عليه السلام) في الخلافة، وتقدمه على غيره من الصحابة ويعقد مجالس خاصة بهذا الشأن، ولا بد أن يؤثر هذا التوجه في رواة الأحاديث بعد أن رفعت عنهم رقابة السلطة.

وهذا التوجه في الجو الفكري العام أثر في ابن حنبل بشكل كبير، ويمكن أن نلمس هذا عبر معرفة عدد شيوخ ابن حنبل من أتباع مدرسة آل البيت (عليهم السلام)، إذ تتبع الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء^(٨)

هؤلاء الشيوخ فوجدهم قد وصلوا إلى العشرين شيخاً، لكن هذا الأمر لم يرق للمحيطين بابن حنبل، وعلى الرغم من آرائه التي ثبتها في كتبه عبر نقله للأحاديث الخاصة بمكانة الإمام (عليه السلام)، لكن أتباعه لم

أولئك الذين عاشوا في بيئة مشبعة بالعداء لأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، حتى أن بعضهم عاب عليه تقرب أحد المحدثين المواليين لأهل البيت (عليهم السلام) إليه وهو عبد الرحمن بن صالح^(٩)، كما جاء في رواية الخطيب البغدادي^(١٠): كان يغشى أحمد بن حنبل فيقربه ويدينه، ف قيل له: «يا أبا عبد الله، عبد الرحمن رافضي؟ رد عليهم قائلاً: سبحان الله! رجل أحب قوماً من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نقول له لا تحبهم، هو ثقة».

وهذا النص يؤشر حجم التضليل الفكري الذي مورس على الأمة، ومدى معاناة أتباع مدرسة آل البيت (عليهم السلام)، كما يجلنا إلى المستوى الذي كان عليه ابن حنبل ورؤيته المتوازنة للأمر.

وعلى الرغم من آرائه التي ثبتها في كتبه عبر نقله للأحاديث الخاصة بمكانة الإمام (عليه السلام)، لكن أتباعه لم

يلتزموا بما التزم به، فأغفلت بعض آرائه، وضعفت بعض أحاديثه من قبل أتباعه، لاسيما بعد التحول الكبير الذي حصل في عهد المتوكل العباسي، الذي اتسم عهده بالعداء المطلق لآل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، وتقريب الفقهاء الذين أنكروا مكانتهم، كما أزال فكر الاعتزال وقال إن القرآن غير مخلوق، فسطع نجم أحمد بن حنبل عقب انفراج محنة خلق القرآن^(١١)، فأدى ذلك إلى الغلو والمبالغات في شخصه^(١٢)، وتبع ذلك أن انتهى عهد الفكر وانتشرت الأساطير والخرافات، واستعملت القوة والبطش في فرض الأفكار، فراجع العقل الإسلامي إلى الوراء كثيراً، وتزايدت الفتن الطائفية بين المسلمين^(١٣)، وعلى الرغم من هذه السيطرة للحنابلة على مقاليد الأمور في بغداد، إلا أن التشدد الذي ميزهم أدى إلى عدم انتشار

مذهبهم، والعزوف عن اعتناقه مقارنة مع باقي المذاهب الإسلامية الأخرى^(١٤).

وخلاصة القول إن ابن حنبل راعى في منهجه الذي تبناه في تتبع الأحاديث الخاصة بفضائل الإمام (عليه السلام) ومكانته، أنه لم يُخفِ هذه الأحاديث أو يجتزئها أو يغير معناها، بل ذكرها كاملة على عكس كثير من المحدثين الذين أخفوها تحت تأثير عوامل عدة، ويمكن أن نقتبس ما قاله محقق كتاب فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أحمد بن حنبل لأنه يعبر عما قدمناه: «وبهذا يكون للإمام أحمد على الأمة الإسلامية وحواضرها - التي اتسمت بالنزعة الأموية - الفضل الكبير في الكشف عن بعض جوانب الفضيلة في شخصية هذا الإمام العظيم والقُدوة المثلّي للأنام علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة



والسلام»^(١٥). عن بقية المحدثين، إذ امتاز بالجرأة

ويمكن تقسيم رؤية ابن حنبل في فضل الإمام (عليه السلام) ومكانته وفقاً لآتي:

أولاً: مكانة الإمام

يعد كتاب المسند أشهر مصنفات ابن حنبل، إذ جمع فيه كثيراً من الأحاديث الخاصة بالإمام (عليه السلام)، كذلك كتابه فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) المتجزأ من كتاب فضائل الصحابة، وأحاديثه لا تختلف كثيراً عن أحاديث المسند سوى تخصصه في فضائل الإمام (عليه السلام).

وقد روى في الكتابين المذكورين مجموعة من الأحاديث التي تؤكد مكانة الإمام علي (عليه السلام)، وتبين دوره البارز في عصر التأسيس (مدة التكوين الأولى للإسلام)، وما اختص به من فضائل وخصال، وقد كان منهجه في طرح هذا الأمر يختلف

أحاديث المسند الخاصة بالإمام (عليه السلام) بذرائع شتى منها إن في سلسلة السند رافضي، أو أن الحديث يتعارض مع حديث آخر، غير ذلك من الحجج الواهية، وكما سبق القول إن الجو الفكري السائد في عصره أسهم في أن تكون توجهاته بهذه الكيفية، ويمكن أن نستدل على ما قدمناه عبر نقل بعض النصوص التي رواها ابن حنبل في حق الإمام علي (عليه السلام)، وعلى سبيل المثال لا الحصر قوله: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب [عليه السلام]»^(١٦)، لكن يبدو أن هذا القول لم يرق للمحدثين الذين اعقبوه، فغيروا معناه إلى معنى



بحق الإمام، فهو لم يكن ينظر إليه على أنه من الصحابة، بل هو من آل البيت (عليهم السلام) الذين لا يرقى إلى مكانتهم أحد، وهذا ما أجاب به ابنه عبد الله حين سأله عن صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنهم الإمام علي (عليه السلام): «يا بني هذا من أهل بيت لا يقاس بهم غيرهم»^(١٨).

وقد كان له مواقف إيجابية متعددة من منزلة الإمام (عليه السلام) عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومكانته الحقيقية في الإسلام، وحاول بيان يبين هذه المكانة عبر إجاباته المتعددة عن الأسئلة التي وجهت إليه، وقد بينا فيما سبق أن العصر الذي عاشه لم يكن فيه قيوداً على ذكر فضائل الإمام (عليه السلام)، لذلك كان يرد على الذين أنكروا على الإمام خلافته للمسلمين بالقول: «من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله، ونهى عن مناكحته»^(١٩)، وهذا يؤشر إلى حجم

آخر، ليحرفوا كلام ابن حنبل، حتى يدل على معنى آخر مختلف تماماً، فنسبوا إليه القول: «ما روى لأحد من الفضائل أكثر مما روي لعلي بن أبي طالب»^(١٧)، والسبب الذي حدى بنا إلى الاعتقاد أن القول الأول هو ما قاله ابن حنبل، إن المعنى الأول يعبر عن رؤية محدث تبخر في علم الحديث، وعمل إحصاءات لفضائل الصحابة فعرف أكثرهم فضيلة ومكانة فأطلق هذا القول، أما الثاني فلا يستقيم مع رؤية عالم حديث، لأن نقل الرواة للفضائل ليس دليلاً على صحتها، إنما هو مجرد نقل تحكمت فيه مجموعة من العوامل السياسية والمذهبية وغيرها، وابن حنبل كعالم حديث كان لديه المقدرة على التمييز بين ما هو فضيلة وبين ما هو ادعاء، لذلك فما تحدث عنه كان فضائل للإمام (عليه السلام) وليس نقل رواية، ويؤيد هذا أقواله الأخرى



المنار

رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).....

التضليل والتشويه الذي مورس بحق مكانة الإمام (عليه السلام)، والمستوى الذي وصلت إليه الأمة من غياب وتغييب للوعي في العهدين الأموي والعباسي.

ونتيجة لذلك جمع ابن حنبل فضائل آل البيت (عليهم السلام) في مسند خاص سماه (مسند أهل البيت)، وتتبع فضائلهم عكس ما جرت عليه عادة المحدثين من إخفاء هذه الفضائل أو تشويهها أو اجترائها، بل إنه اعتمد على فهم صحيح في تفسير الأحاديث، ففسر الحديث الذي روي عن الإمام (عليه السلام): «أنا قسيم النار»^(٢٠)، تفسيراً يدل على تقييمه الدقيق لمكانة الإمام ومعرفته الموضوعية لمنزلته، فقال لأصحابه: وما تنكرون من ذا؟ أليس رويناه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. قلنا: بلى قال: فأين المؤمن؟ قلنا في الجنة.

قال: فأين المنافق؟، قلنا في النار. قال: فعلي قسيم النار^(٢١).

وخلاصة القول فيما تقدم إن وجود ابن حنبل في عهد المأمون الذي رفع الحظر على الأحاديث الخاصة بمكانة الإمام (عليه السلام) أثر فيه كثيراً، زيادة على أن هذا العهد شهد نشاطاً كبيراً للإمام علي بن موسى الرضا (ت: ٢٠٣هـ / ٨١٨م)، بعد أن اختير ولياً للعهد، ويبدو أن ابن حنبل نهل من علمه وتأثر به، لذلك عدّه الشيخ الطوسي^(٢٢) من تلاميذه (عليه السلام).

ثانياً: أحاديث ابن حنبل في أسبقية الإمام:

أورد ابن حنبل في كتابه المسند وكتابه الفضائل عدداً من الأحاديث التي تؤكد أسبقية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى التصديق بدعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه الأحاديث ماثورة في مسنده في أماكن متفرقة، منها ما

يدل على أسبقية الإمام علي (عليه السلام) إلى الإسلام، ومنها ما يشير إلى أنه (عليه السلام) أول من صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أم المؤمنين خديجة (عليها السلام) وهي:

١. عن حبة العرني قال: سمعت

علياً (عليه السلام) يقول: «أنا أول رجل صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)» (٢٣).

٢. عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال: «كنت امرأة تاجراً فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب، لابتاع منه بعض التجارة، وكان امرأة تاجراً فوالله إني لعنده بمنى، إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت قام يصلي، قال: ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء، فقام معه يصلي، قال: فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟»

قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قال: فقلت: من هذه المرأة؟، قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد، قال: قلت: من هذا الفتى؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه، فقلت: فما هذا الذي يصنع؟، قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، قال: فكان عفيف يقول: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ فأكون ثالثاً مع علي بن أبي طالب» (٢٤).

٣. عن ابن عباس قال: «وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، علي...» (٢٥).

٤. عن ابن عباس قال: «أول من صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله) بعد خديجة علي، وقال مرة أول من أسلم» (٢٦).

٥. حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى



رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وسلم).....

الأنصار عن زيد بن أرقم قال: «أول من أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي (عليه السلام)» (٢٧). وقال أبو بكر (٣٠).

ومن باب الموضوعية يجب أن نذكر أن أحمد بن حنبل بعد أن ذكر حديث زيد بن أرقم حول أسبقية الإمام علي (عليه السلام)، أورد الحديث نفسه مكرراً مع بعض الإضافات التي أضافها الرواة التي تنكر أسبقية الإمام علي (عليه السلام)، وهي كالآتي:

أ. حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا حمزة يحدث عن زيد بن أرقم قال: «أول من أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي (عليه السلام)»، قال عمرو بن مرة: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي (٢٨) فأنكر ذلك، وقال أبو بكر (٢٩).

ب. حدثنا حسين بن محمد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا حمزة رجلاً من الأنصار، قال: سمعت زيد بن أرقم يقول:

ج. حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: «أول من أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب». فذكرت ذلك للنخعي فأنكره، وقال: أبو بكر أول من أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٣١). إن المتبع لأحاديث ابن حنبل في المسند يجد أن هناك تعارضاً كبيراً بينها، هذه الأحاديث التي جمعها في رحلاته إلى الأقطار والأمصار، وهذا التعارض ناتج عن جملة من الأسباب، أهمها؛ إن منهجه كان قائماً على مبدأ الموازنة، فكان يقدم في مسنده مجموعة من الروايات الصحيحة والثابتة تاريخياً، ثم يضع إلى جانبها روايات تجانب الحقيقة، لأنها روايات موجودة ومتداولة في

أوساط أهل الحديث، ولم يلزم ابن حنبل نفسه في أن يصدر أحكاماً نقدية على أحاديث المسند سواء كانت لسندها أو متنها، وبذلك وفر للقارئ الاعتيادي عدداً من الروايات المتناقضة في كثير من الأحيان، وترك له حق اختيار ما يعتقد بأنه الصواب والواقع، ونتيجة لذلك أوجد المختصون في علم الحديث له العذر بإلقاء اللائمة على الرواة من حيث التوثيق أو التضعيف وبما يناسب أذواقهم ومعتقداتهم، وبذلك المبدأ- مبدأ الموازنة- نجا ابن حنبل من حكم الأطراف المتخاصمة.

كما أن اختلاف عقائد شيوخ أحمد بن حنبل الذين روى عنهم الحديث في مسنده، كان من الأسباب المهمة في إيراد تلك الأحاديث المتناقضة في المسند، حيث إن كل راوٍ حاول أن يبرز ما يعتقد به عن طريق إيراد

الأحاديث التي ترفع من شأنه، ولما كان ابن حنبل جامعاً لتلك الأحاديث من شيوخه، وتعمد إغفال نقد الأحاديث، فقد عصب صحة الحديث المروي في مسنده وضعفه برأس راوي الحديث من شيوخه.

ولا يمكن أن نغفل سياسية الأمويين ومن بعدهم العباسيين الذين وضعوا آلاف الأحاديث المتعارضة من أجل تغييب الحقائق، لإضفاء الشرعية على حكمهم وإخفاء فضائل خصومهم لاسيما آل البيت (عليهم السلام)، وقد تابعهم في تزوير الأحاديث وترويجها كثير من المحدثين، وذلك محاباةً للسلطة السياسية لكسب رضاها، كما حصل في محنة خلق القرآن، أو خوفاً من بطشها كما في الإضافة التي أوردها أحمد بن حنبل على حديث زيد ابن أرقم في مسألة السبق إلى الإسلام،



الأنبياء

رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (ﷺ).....

لما في متن الحديث من تعارض (٣٢).
وقد اعتمد المحدثون والمؤرخون
في مسألة السبق إلى الإسلام على
حديث عمرو بن عبسة (٣٣)، بعد
أن أيقنوا بأن حديث زيد بن أرقم
قد أدخلت عليه إضافة ليست
من أصله، وقد روى له ابن حنبل
أربعة أحاديث في مسألة الأسبقية إلى
الإسلام:

١. عن عمرو بن عبسة قال:
«أتيت رسول الله (ﷺ) فقلت:
يا رسول الله من أسلم؟- يعني
معك-، فقال: حر وعبد- يعني أبا
بكر وبلالا-» (٣٤).

٢. حدثنا شداد بن عبد الله
الدمشقي وكان قد أدرك نفرا من
أصحاب النبي (ﷺ) قال: قال أبو
إمامة: يا عمرو بن عبسة صاحب
العقل عقل الصدقة رجل من بني
سليم بأي شيء تدعي أنك ربع
الإسلام قال: (إني كنت في الجاهلية

التي تظهر أن إبراهيم النخعي قد
أنكر سبق الإمام علي (عليه السلام) إلى
الإسلام، وجعل الأسبقية لأبي بكر،
وعند دراستنا لسيرة إبراهيم النخعي
نجد أنه مات متخفياً من بطش
الحجاج الثقفي، لأنه كان من المواليين
لأهل البيت (عليهم السلام) ومن البديهي أنه
يجيب بالإنكار حين يسأله بعض
المحدثين حول حديث الأسبقية
المروى عن زيد بن أرقم، لأنه
يعرف أن أصل الحديث صحيح،
أما إنكاره فكان تقية، ولعل سؤال
راوي الحديث للنخعي عن السبق إلى
الإسلام أضيف فيما بعد للتشكيك
بصحة الحديث لجعل الأسبقية
لأبي بكر، أو أنه تعمداً لأنه كان
يعرف الإجابة مقدماً، ومن الأمور
التي ساعدت على وجود التناقض
بين الأحاديث هو منهج المحدثين
المتقدمين القائم على محاكمة الحديث
إلى سند رجاله دون النظر والتدقيق

أرى الناس على ضلالة، ولا أرى الأوثان شيئاً، ثم سمعت عن رجل يخبر أخبار مكة، ويحدث أحاديث، فركبت راحلتي حتى قدمت مكة، فإذا أنا برسول الله (ﷺ) مستخف، وإذا قومه عليه جراء، فتلطفت له فدخلت عليه، فقلت ما أنت؟، قال: أنا نبي الله، فقلت وما نبي الله؟، قال: رسول الله، فقلت الله أرسلك؟، قال: نعم قلت بأي شيء أرسلك؟، قال: بأن يوحد الله ولا يشرك به شيء، وكسر الأوثان وصلة الرحم، فقلت: له من معك على هذا؟ قال: حر وعبد أو عبد وحر، وإذا معه أبو بكر بن أبي قحافة وبلال مولى أبي بكر، قلت: إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فالحق بي، قال: فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت فخرج (ﷺ) مهاجراً

إلى المدينة فجعلت أتخبر الأخبار حتى جاءت راكبة من يثرب، فقلت: ما هذا المكي الذي أتاكم؟، قالوا: أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك وحيل بينهم وبينه وتركنا الناس سراعا، قال: عمرو بن عبسة فركبت راحلتي حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟، قال: نعم الست أنت الذي أتيتني بمكة؟، فقلت: بلى، فقلت يا رسول الله علمني مما علمك الله وأجهل...» (٣٥).

٣. عن عمرو بن عبسة قال: «أتيت رسول الله (ﷺ) قلت: يا رسول الله من أسلم؟، قال: حر وعبد» (٣٦).

٤. عن عمرو بن عبسة قال: «قلت: يا رسول الله من معك على هذا الأمر؟، قال: حر وعبد، ومعه أبو بكر وبلال، ثم قال لي:





رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).....

ارجع إلى قومك حتى يمكن الله عز وجل لرسوله، قال: وكان عمرو بن عبسة يقول لقد رأيتني وأني لربع الإسلام^(٣٧).

على الرغم من أن الحديث المتقدم الذي روي بطرق متعددة وألفاظ مختلفة لكنه حديث يحمل معنى واحد وفكرة واحدة، هدفه الأساس إزاحة الإمام عن الأسبقية في الإسلام ونسبتها لأبي بكر، فاختير عمرو بن عبسة لهذا الأمر لأنه لم يكن قرشيًا حتى يشيع الأمر ويكون معروفًا، لأن الذين اسلموا في مكة في بداية الدعوة معروفون للجميع، لكن شخصية عمرو بن عبسة الذي جاء من خارج مكة بناءً على قول كاهن مناسبة لأداء هذا الدور، والحديث المزعوم الذي دار بينه وبين رسول الله لم يسمعه أحد، ولم يرد على لسان أحد غيره، فهو إخبار شخص عن نفسه، والمشكلة التي يعاني منها أصحاب

الحديث، أنهم كانوا ينظرون إلى كل من عاصر الرسول على أنه من الصحابة الذين لا يجوز الشك في أي قول صدر عنهم، حتى إن كان هذا (الصحابي) قد نسب أشياء إلى نفسه ليس لها وجود، بل حتى وإن كان في الحديث إساءة للرسول. عمرو بن عبسة بن عامر صاحب الحديث ينتسب إلى قبيلة سليم أسلم في المدينة ويعد من الشاميين لأنه سكن الشام ومات فيها في عهد عثمان بن عفان^(٣٨)، وهذا الأمر محل لنا لغز اختياره لطرح موضوعه أسبقية أبي بكر إلى الإسلام.

أما متن الرواية فيمكن أن نؤشر عليه مجموعة من الأمور:

الأمر الأول: تصف روايات أحمد بن حنبل عمرو بن عبسة السلمي بأنه كان مجرد سائل عن أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن سمع خبره من أحد الكهان، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمره

على الرغم من أن الحديث المتقدم الذي روي بطرق متعددة وألفاظ مختلفة لكنه حديث يحمل معنى واحد وفكرة واحدة، هدفه الأساس إزاحة الإمام عن الأسبقية في الإسلام ونسبتها لأبي بكر، فاختير عمرو بن عبسة لهذا الأمر لأنه لم يكن قرشيًا حتى يشيع الأمر ويكون معروفًا، لأن الذين اسلموا في مكة في بداية الدعوة معروفون للجميع، لكن شخصية عمرو بن عبسة الذي جاء من خارج مكة بناءً على قول كاهن مناسبة لأداء هذا الدور، والحديث المزعوم الذي دار بينه وبين رسول الله لم يسمعه أحد، ولم يرد على لسان أحد غيره، فهو إخبار شخص عن نفسه، والمشكلة التي يعاني منها أصحاب

بالرجوع إلى أهله حتى يمكنه الله تعالى من نشر دينه؛ لأنه لا يستطيع الدخول إلى الإسلام وزعمه هذا باطل؛ لأن رسول الله (ﷺ) لم يرجع أحدًا قدم لاعتناق الإسلام، حتى في المرحلة الاختيارية التي سبقت الجهر بالدعوة: ﴿فَاُصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣٩)، ثم إنه جاء النبي (ﷺ) بعد هجرته إلى يثرب، فأين كان وهو المدعي بأنه رابع من دخل الإسلام طيلة ثلاث عشرة سنة قضاها النبي (ﷺ) وصحبه يعانون الاضطهاد والحصار في مكة؟!، يبدو من سياق الأحاديث أن عمرو بن عبسة ادعى تلك الأحاديث ليثبت أسبقية أبي بكر، وأنه أراد أن يجعل نفسه من أوائل الذين دخلوا الإسلام.

الأمر الثاني: إن سلمنا بصحة رواية عمرو بن عبسة وعدم تعرضها للتحريف، فإن عمرو بن

عبسة لم يسأل النبي (ﷺ) عن أسماء من أسلموا معه، بل أراد معرفة عدد أتباعه، والرواية الأولى خالية تمامًا من أي اسم، الأمر الذي يقودنا إلى القول إن التصريح بالأسماء في بقية الروايات جاء من أجل إثبات الأسبقية لأبي بكر، ويؤكد هذا الرأي الرواية التي أوردها أبو جعفر الإسكافي^(٤٠): «عن عمرو بن عبسة، قال: أتيت النبي (ﷺ)، فقلت: من بايعك على هذا الأمر؟، قال: بايعني حر وعبد، فلقد رأيتني يومئذ وأنا رابع الإسلام»، ثم علق الإسكافي على الرواية قائلاً: «لقد أبان الله علي بن أبي طالب عنه وعن جميع المؤمنين في عقله، فجعله أول الناس بلوغاً بعد النبي (ﷺ)، وأقدمهم إسلاماً، وكان في سن الأطفال وعقول البالغين، فإن عقله وتقدم في إسلامه وتكليفه».

كما يؤكد ما قدمناه ما جاء



رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (عليه السلام) (٤٩).

في رواية اليعقوبي^(٤١) التي ساقها بطريقة مختلفة عن الروايات الواردة عند ابن حنبل: «عن عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أول ما بعث وبلغني أمره، فوصف لي أمره وما بعثه الله به، فقلت هل اتبعك على هذا أحد؟، قال: نعم امرأة وصبي وعبد، يريد خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثه».

الأمر الثالث: إن أرجحية التواتر في الرواية اعتمدها المحدثون في الأخذ بالرواية المتواترة، وترك الرواية المفردة المتعارضة مع التواتر من الروايات^(٤٢)، ومسألة أسبقية الإمام علي (عليه السلام) كانت متواترة وراجحة على غيرها، إذ ذكرها من المحدثين ابن أبي شيبه^(٤٣)، والحاكم النيسابوري^(٤٤)، وأبو نعيم الاصبهاني^(٤٥)، والبيهقي^(٤٦)، والهيثمي^(٤٧)، وذكرها من المؤرخين

ابن أبي عاصم^(٤٨)، والطبري^(٤٩).
 ثالثاً: أسبقية الإمام (عليه السلام) في المصادر الإسلامية
 إن الروايات المعارضة لأسبقية الإمام (عليه السلام) التي وردت في مسند أحمد بن حنبل، لا تنهض أمام الروايات الوافرة التي صرحت بتقدم الإمام علي (عليه السلام) على كل من اعتنق دين الإسلام، سواء التي وردت في المسند أو في غيره من المصنفات الحديثة والتاريخية، وقد نقل الأميني^(٥٠) أكثر من مائة شاهد وناقل من الصحابة والتابعين القائلين بأسبقية الإمام (عليه السلام) من كتب المحدثين والمؤرخين من الطرفين، فضلاً عن الإجماع التام على أن الإمام علي (عليه السلام) لم يسجد لصنم قط، لذلك شاع إضافة لفظة (كرم الله وجهه) إليه للإشارة إلى تلك الفضيلة التي امتاز بها.
 على الرغم من أننا لسنا بصدد إثبات أسبقية الإمام (عليه السلام) إلى

الإسلام، وموضوعنا يتعلق بمنهج ابن حنبل في التعامل مع هذا الموضوع، إلا أن الضرورة تقتضي أن نتطرق لأسبقية الإمام كما وردت في مصادر المسلمين، وبما ينسجم مع مقتضيات العقل من دون الالتفات إلى الأطر المقدسة التي وضعها المحدثون على رجال السند.

لم يكن الإمام علي (عليه السلام) بعيداً عن البيت النبوي بل كان أحد أفراده منذ أن ضمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه واتخذَه ابناً له ورباه في حجره في بيت جمعه مع السيدة خديجة (ع)، وقد عبر الإمام (عليه السلام) عن هذا الأمر بالقول: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمُنْزَلَةِ الْخُصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ وَيَمْسُنِي جَسَدُهُ وَيُشَمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الطَّعَامَ ثُمَّ يَلْقَمُنِيهِ... وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُنِي كُلَّ

سَنَةٍ بِحَرَآءَ فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَخَدِجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُّ رِيحَ النَّبُوَّةِ...» (٥٢).

وبناءً على هذا النص المعاصر لأحداث عصر الرسالة يكون الإمام علي (عليه السلام) أول من أسلم من الناس كافة، وكل ما روي غير ذلك ما هو إلا تشويه للحقائق، فما تقدم من كلامه (عليه السلام) يدل على أنه كان مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في غار حراء أثناء تبعده، لكن أقلام المؤرخين أبت إلا أن تخرج هذا الأمر من الإمام علي (عليه السلام) وتنسبه لغيره، وهناك أحاديث كثيرة جداً تثبت هذا الأمر لا مجال لحصرها هنا، منها على سبيل المثال، ما روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه من أقوال: «أَقْدَمَ أُمَّتِي سَلْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا» (٥٣)، وقوله وهو آخذ بيد علي (عليه السلام): «هَذَا أَوَّلُ



رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (ﷺ).....
 مَنْ آمَنَ بِي وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذَا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ
 وَهَذَا فَارُوقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُفَرِّقُ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَهَذَا يَعْسُوبُ
 الْمُؤْمِنِينَ»^(٥٤)، وقوله: «أَوْلَكُمْ وَإِرْدَا
 عَلَى الْحَوْضِ أَوْلَكُمْ إِسْلَامًا عَلِيُّ بْنُ
 أَبِي طَالِبٍ»^(٥٥).

ولو تركنا تعداد الأحاديث النبوية
 الخاصة بأسبقية الإمام إلى الإسلام،
 وأتينا إلى واقع السيرة النبوية وبدايات
 نزول الوحي، وجدنا الواقع الروائي
 يذكر أن الرسول الأعظم (ﷺ) كان
 يذهب للعبادة في غار حراء بصحبة
 الإمام علي (عليه السلام): «وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ
 فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرَاءَ فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ
 غَيْرِي»^(٥٦)، ولو قرنا قول الإمام
 المتقدم بالرواية التي نقلت عن ابن
 عباس والتي تحدثت عن مقدمات
 نزول الوحي: «أقام النبي [ﷺ]
 بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين
 يرى الضوء ويسمع الصوت وثمان

سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة
 عشر سنين»^(٥٧)، لوجدنا أن هذا
 النص يؤشر لموضوع مهم جدا،
 فهو يبين لنا زمانية مراحل نزول
 الوحي، فالبداية القريبة من الوحي
 المباشر كانت مرحلة الضوء وسماع
 الأصوات كما جاء في النص المتقدم،
 وهي مرحلة التهيئة المباشرة التي
 مهدت للقاء النبي (ﷺ) مع الملك
 جبرائيل، ويعزز هذا النص قول
 الإمام الذي قدمناه: «وَلَقَدْ كُنْتُ
 أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ اثْرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي
 فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَمًا، وَيَأْمُرُنِي
 بِالْأَقْبَادِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ بَحْرَاءَ فَأَرَاهُ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ
 يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ
 غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا
 ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ،
 وَأَشْمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ
 رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ
 (ﷺ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ

الرَّئِيَّةُ؟، فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ، قَدْ
 آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا
 أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ
 بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى
 خَيْرٍ»^(٥٨)، وهذا النص يؤكد نص
 ابن عباس إن هناك مرحلة مهمة
 من المراحل التي مرت بها الحياة
 الروحية للنبي (ﷺ) وهي مرحلة
 الإعداد المباشر لاستقبال الوحي،
 وقد استمرت لمدة سبع سنين يرى
 النبي (ﷺ) الضوء ويسمع الصوت
 ومعه الإمام علي (عليه السلام)، ويلاحظ في
 النصين المتقدمين أنهما كانا يؤديان
 نوعاً من أنواع الصلاة في تلك المدة.
 ولو قرنا ما تقدم بما روي عن
 الإمام علي (عليه السلام) من أقوال في أنه
 سبق الناس إلى الصلاة والإيمان
 قبل أن ينزل الوحي في المدة التي
 كانت مقدمة للرسالة، فكان يقول:
 «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولِ اللَّهِ،
 وَأَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ لَا يَقُولُهَا بَعْدِي

إِلَّا كَاذِبٌ آمَنَتْ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ
 سِنِينَ»^(٥٩)، وأوردت المصادر المختلفة
 هذا الحديث بصيغ مختلفة منها ما
 أورده ابن أبي الحديد^(٦٠): «عن حكيم
 مولى زاذان قال: سمعت علياً يقول:
 صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ، وَكُنَّا
 نَسْجُدُ وَلَا نَرْكَعُ، وَأَوَّلُ صَلَاةٍ رَكَعْنَا
 فِيهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ»، وأورد عبد البر
 بسنده عن حبة العرنبي قال: «سمعت
 علياً [عليه السلام] يقول: لقد عبدت الله قبل
 أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس
 سنين»^(٦١)، وروى النسائي^(٦٢) أن
 الإمام علي قال: «مَا أَعْرِفُ أَحَدًا
 مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَبَدَ اللَّهَ بَعْدَ نَبِيِّنَا
 غَيْرِي عَبَدْتُ اللَّهَ قَبْلَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَحَدٌ
 مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ تِسْعَ سِنِينَ».

سنكتفي بهذه النماذج البسيطة
 التي تؤكد تقدم الإمام علي (عليه السلام)
 على غيره في الدخول إلى الإسلام،
 ونضيف إليها قول المقرئزي^(٦٣) في
 أن الإمام علي (عليه السلام) لم يكن مشركاً



رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وسلم).....

حتى يسلم: «وأما علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي فلم يشرك بالله قط، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد [صلى الله عليه وسلم] فعندما أتى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] الوحي وأخبر خديجة [عليها السلام] وصدقت، كانت هي وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة.. فلم يحتج علي [صلى الله عليه وسلم] أن يدعى ولا كان مشركا حتى يوحد فيقال: أسلم، بل كان عندما أوحى الله إلى رسوله [صلى الله عليه وسلم] عمره ثمان سنين وقيل: سبع، وقيل: إحدى عشرة وكان مع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] في منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه في جميع أحواله...».

أما الروايات التي ذكرت أن أبا بكر بن أبي قحافة كان أول المسلمين فهي ضعيفة بمجملها ولا يؤيدها واقع الرسالة، فقد روي عن محمد بن سعد بن أبي وقاص أنه قال لأبيه سعدًا: «كان أبو بكر أولكم إسلاما قال: لا ولكن أسلم قبله أكثر من خمس...»^(٦٤)، وفي رواية أخرى أنه أسلم بعد خمسين رجلاً^(٦٥)، كذلك فإن هناك دلائل كثيرة تشير إلى انه لم يكن متقدما على الإمام علي (عليه السلام) منها أن أصحاب السقيفة الذين انقلبوا على وصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يذكروا أن أبا بكر كان أول المسلمين مع أن هذه الميزة ترفع صاحبها ويمكنه أن يحتج بها على غيره، مع حاجتهم الشديدة لهذا الأمر فاكتفوا بالقول إنه كبير السن وصاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الغار، وكفيينا في هذا الأمر ما ذكره أبو جعفر الإسكافي المعتزلي في معرض رده على الجاحظ الذي ادعى أن أبا بكر أحق بالخلافة من الإمام علي (عليه السلام) كونه أول المسلمين فقال: «ولو كان هذا احتجاجا صحيحا لما قال عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها،

ولو كان احتجاجا صحيحا لادعى واحد من الناس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام، وما عرفنا أحدا من الناس ادعى له ذلك على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال، منهم علي ابن أبي طالب وجعفر أخوه وزيد بن حارثة وأبو ذر الغفاري وعمرو بن عبسة السلمي وخالد بن سعيد بن العاص وخباب بن الأرت، وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية والوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن عليا (عليه السلام) أول من أسلم، فأما الرواية عن ابن عباس إن أبا بكر أولهم إسلامًا فقد روي عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما روي وأشهر، فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد عن أبي عوانة وسعيد بن عيسى عن أبي داود الطيالسي عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال: أول

من صلى من الرجال علي (عليه السلام) (٦٦). لقد رام بعض مناوئي الإمام سلب فضيلة أسبقية الإمام إلى الإسلام ونسبها إلى غيره (٦٧)، لأن أمر السبق فيه فضيلة عظمى مدحها القرآن الكريم بآيات عدة كقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ (٦٨)، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٦٩)، فاعتمدوا روايات مفردة شاذة، مثل رواية الشعبي (٧٠)، التي لم يوردها ابن حنبل: «وقيل أول من أسلم أبو بكر، سألت ابن عباس عن أول من أسلم؟، فقال: أما سمعت قول حسان بن ثابت: إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبي بكر بما فعلا خير البرية انتقاها وأعدلها بعد النبي وساوقاها بما فعلا والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدما صدق الرسالا» (٧١).



رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).....

وهذه الرواية متهافئة جداً لان الشعبي نفسه روى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): «هذا أول من آمن بي وصدقتني وصلى معي»^(٧٢)، وكذلك الحال بالنسبة لابن عباس الذي روى عنه ابن حنبل وغيره من المحدثين^(٧٣) قوله: «أول من صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد خديجة، علي بن أبي طالب».

وعلى الرغم من معرفة أصحاب الحديث اليقينية بأن أحاديث أسبقية الإمام إلى الإسلام أرجح من بقية الأحاديث من حيث التواتر وقوة السند وصلاح المتن، إلا أن الظروف السياسية التي أعقبت السقيفة وما بعدها أوجدت أحاديث مناقضة لاستبعاد الإمام علي (عليه السلام) عن مكانته، ولو أتينا لبعض الروايات الواردة في كتب السنن لوجدنا أنها تؤيد ما قدمناه من تقدم الإمام، فحددت يوم إسلام الإمام علي (عليه السلام)

بأنه كان يوم الثلاثاء، بعد مضي ليلة واحدة على نبوة الرسول^(٧٤)، إذ روى الترمذي^(٧٥) عن أنس بن مالك قوله: «نبى النبي يوم الاثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء»، وعلى الرغم من أننا لا نتفق مع هذه الروايات من حيث تأخر إسلام الإمام بهذه الكيفية، لكننا نريد إثبات أن تقدم الإمام لا يمكن إنكاره، لذلك لجأ من يريد إبعاد فضيلة تقدم الإمام إلى التقليل من أهمية سبقه إلى الإسلام، عبر طرح بعض الأمور؛ منها أنهم وصفوا إسلام الإمام علي (عليه السلام) بأنه مصادفة، وأنه (عليه السلام) فوجئ حين شاهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجه خديجة يصليان، فتردد حين دعاه النبي إلى الإسلام، وطلب الإمهال حتى يحدث أباه أبا طالب، لأنه لم يسمع بهكذا أمر من قبل، وقد طلب منه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكتم أمره، ولا يفشي سره إن لم يسلم، ولكن الإمام مكث

ليه ثم إن الله تعالى هداه إلى الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول الله، فأسلم على يديه^(٧٦)، أو جعلوا إسلامه لحظة نزول الوحي على الرسول (ﷺ)، في الوقت الذي آمنت به السيدة خديجة^(٧٧)، متناسين أنه تربى في حجر الرسول، وتربى على يديه ورافقه في تعبده وخلوته وحله وترحاله ولم يفترق عنه: «وَلَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرَ أُمَّهِ...»، فيما حاول آخرون إيجاد تبريرات غير منطقية لإزاحة الإمام عن مكانته، ومن الأمثلة على ذلك ابن عبد البر^(٧٨) الذي أحس بتناقض الروايتين الواردين عن ابن عباس الأولى حين ترجم لأبي بكر ذكر رواية الشعبي التي فيها أبيات حسان بن ثابت، ثم الرواية الأخرى المنقولة عن ابن عباس في ترجمته للإمام علي (ﷺ) التي ذكرت أنه أول القوم إسلاما، فبرر ذلك بطريقة غريبة فقال إن

المقصود إن أبا بكر لم يكن أسبق إلى الإسلام في الحقيقة والواقع، بل أسبق من حيث أنه أول من أظهر إسلامه، في حين أخفى الإمام (ﷺ) إسلامه، وهذا تبرير لا يستقيم مع الروايات الصريحة التي أوردها ابن حنبل^(٧٩)، فضلا عن روايات المحدثين^(٨٠)، والمؤرخين^(٨١)، التي نصت على أن الإمام علي (ﷺ) كان يصلي مع النبي (ﷺ) قبل الجهر بالدعوة عند الكعبة أمام أعين قريش غير آبه بهم وكان عمره يومئذٍ عشر سنوات أو أكثر بقليل، ثم حاول بعض المؤرخين المتأخرين التوفيق بين الآراء فقالوا: «أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن العبيد بلال»^(٨٣)، وقالوا أيضا: «أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال»^(٨٤)،



النبي

رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وسلم).....

وتنافى مع ما أراده بعضهم من أنه كان صبيًا حينما أسلم. لكن كل هذه الدلائل لم تكن بعض الناس عن النيل من الإمام علي (عليه السلام) وذلك بعقد مقارنات شاذة، ومثال ذلك المقارنة غير المنصفة التي عقدها الجاحظ بين إسلام الإمام علي (عليه السلام) وإسلام أبي بكر إذ قال: «إنه أسلم وهو حدث غرير وطفل صغير، فلم نكذب الناقلين، ولم نستطع أن نلحق إسلامه بإسلام البالغين، لأن المقلل زعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين والمكثر زعم أنه أسلم وهو ابن تسع سنين...»^(٨٦)، وقال في إسلام أبي بكر بالمقارنة مع إسلام الإمام علي (عليه السلام): «ما دعوت أحدا - أي النبي - إلى الإسلام إلا وكان عنده تردد ونبوة، إلا ما كان من أبي بكر، فإنه لم يتلعثم حتى هجم به اليقين إلى المعرفة والإسلام، فأين هذا وإسلام من خلى عقله وألجى إلى نظره مع

وهذه المحاولة لا تنسجم مع الواقع لأن الداخلين للإسلام دخلوا تباعا ولا حاجة إلى هذا التكلف غير المبرر، الذي قصد منه سلب فضيلة من الإمام علي (عليه السلام) ونسبتها إلى غيره، كذلك فإن التركيز على أن الإمام علي (عليه السلام) أسلم وهو صبي يراد منه الطعن المبطن لأولويته في الإسلام، وهذا أمر يناقض ما جاء في القرآن الكريم إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَدَأَ اللَّهُ فِيهِ نَسَبَكُمْ وَأُخْرَكُمْ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٨٤)، وقال تعالى وهو يتحدث عن عيسى (عليه السلام): ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٨٥)، كذلك أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أن الإمام علي (عليه السلام) أول من أسلم لم يكن فيه أنه كان صبيًا، وما قدمناه من أقوال الإمام في أنه أول من أسلم وأول من صلى مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو الصديق الأكبر

صغر سنه، واختلاج الخواطر على قلبه ونشأته في ضد من دخل فيه، والغالب أمثاله وأقرانه حب اللعب واللهو...»^(٨٧).

إن هذه النصوص المتقدمة تخالف الواقع فلو لم يكن الإمام (عليه السلام) بالغاً وبمستوى الإسلام والإيمان لما دعاه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإسلام، ولا حاجة إلى كل هذا التكلف من جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - حاشاه - وهو القائل إن الإمام علي (عليه السلام) كان أول من أسلم من دون النظر إلى سنه، لقد كان إسلامه عن تعقل وتدبر دعاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يعلم أنه بالغ كامل العقل، فأسلم بعد أن شاهد المعجزة الإلهية، وكان قد صلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن ينزل الوحي عليه، يتحنث معه ويعتزل الناس كالتابع التلميذ، فلما بلغ الإمام علي (عليه السلام) الحلم وجاءت الملائكة لتبشر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة دعاه فأجابه

عن نظر ومعرفة^(٨٨)، لكن أصحاب العقول المريضة الذين حاولوا إبعاد كل فضيلة عن الإمام عناداً وكرهاً لم يستطيعوا أن يتحرروا من أسر النصوص الموضوعية، بل زادوا عليها بتفسيرات لا يدعمها واقع ولا يؤيدها عقل، فركزوا على أن الإمام علي (عليه السلام) أسلم وهو صغير السن، ولا يقاس إسلامه بإسلام غيره ممن أسلم وهو كبير السن كامل التجارب، والتركيز هنا على أبي بكر، فجعلوا إسلامه إسلام شيخ محنك ومجرب ذي عقل وبصيرة أفضل من إسلام طفل لم يبلغ الحلم!، فتجادل في هذا الجاحظ والإسكافي، فقال الجاحظ^(٨٩): «إن أبا بكر أفضل من علي علي هذه الناحية، لأن أبا بكر أسلم وهو رجل ناضج العقل، أما علي فأسلم وهو صبي لم يبلغ الحلم، وإسلام المتقدم في السن أفضل لأنه يعاني مؤونة الرؤية واضطراب





رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وسلم).....

النفس ومشقة الانتقال قد طال الفهم له» فرد عليه الإسكافي^(٩٠): «إن إسلام علي في صباه أفضل، فالغالب على أمثاله اللعب واللهو، ولكنه آمن بما ظهر له من دلائل الدعوة، فقهر شهوته، وغالب خواطره، وخرج من عاداته وحمى نفسه عنه، وكسر شره حدائته بالتقوى»، ولو زاد الإسكافي على هذا بأن احتج بآيات قرآنية لكان أبلغ في الحجة، وقد قدمنا كلام الله في يحيى وعيسى (عليهما السلام)، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقول للإمام علي (عليه السلام): «يا عليُّ، مَثُلَكَ فِي أُمَّتِي مَثَلُ الْمَسِيحِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ...»^(٩١).

وهذه الإشكالية الأخيرة لم ترد عند المتقدمين بل وردت بعدما شاع علم الكلام ودخلت الفلسفة إلى الفكر الإسلامي، فوظفوها للطعن بأسبقية الإمام كما فعل الجاحظ، ويبدو أن هذه الإشكالية

سبقت عصر الجاحظ واستمرت حتى يومنا، لأنها كانت بمثابة مخرج مناسب لهؤلاء الذين أرادوا أن يرفعوا مكانة أبي بكر، ويتحقق عن طريقها هدفين؛ الأول سلب هذه الفضيلة من الإمام، والثاني إيجاد معالجة للنصوص الصريحة المتواترة التي تحدثت عن أسبقية الإمام، وقد أثرت هذه المسألة في عهد المأمون العباسي، فجمع أربعين عالما ممن يفقه ما يقال إليه ويحسن الجواب من أجل مناظرتهم، فأجابوه إلى ذلك، وكان من جملة ما ذهب إليه المأمون إعلانه أفضيلة الإمام علي (عليه السلام)، وأنه خير خلفاء الله بعد رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وأولى الناس بالخلافة^(٩٢).

فقال أحد العلماء: يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين؟، فقال المأمون: يا إسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله

رسوله؟، فقال إسحاق: الإخلاص بالشهادة. قال المأمون: أليس سبق إلى الإسلام؟، قال: نعم، فقال المأمون: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى، يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٩٣)، إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحدا سبق عليا إلى الإسلام؟.

قال إسحاق: يا أمير المؤمنين إن عليا أسلم وهو حديث السن، لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم، قال المأمون: أخبرني أيهما أسلم قبل؟، ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال، قال إسحاق: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة، قال المأمون: نعم، فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول الله (ﷺ) دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاما من الله، فأطرق إسحاق رأسه، فقال المأمون:

يا إسحاق لا تقل إلهاما فتقدمه على رسول الله (ﷺ)؛ لأن رسول الله (ﷺ) لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله، قال إسحاق: أجل دعاه رسول الله (ﷺ) إلى الإسلام، قال المأمون: يا إسحاق فهو لا يخلو رسول الله (ﷺ) حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله، أو تكلف ذلك من نفسه؟، فأطرق إسحاق، فقال المأمون: يا إسحاق لا تنسب إلى رسول الله (ﷺ) التكلف، فإن الله يقول: ﴿وَمَا آتَا مِنْ التَّكْلِيفِينَ﴾^(٩٤)، قال إسحاق: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله، قال المأمون: فهل من صفة الجبار جل جلاله أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟، قال إسحاق: أعوذ بالله، قال المأمون: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق أن عليا أسلم صبيبا لا يجوز عليه الحكم؟، قد كلف رسول الله (ﷺ)

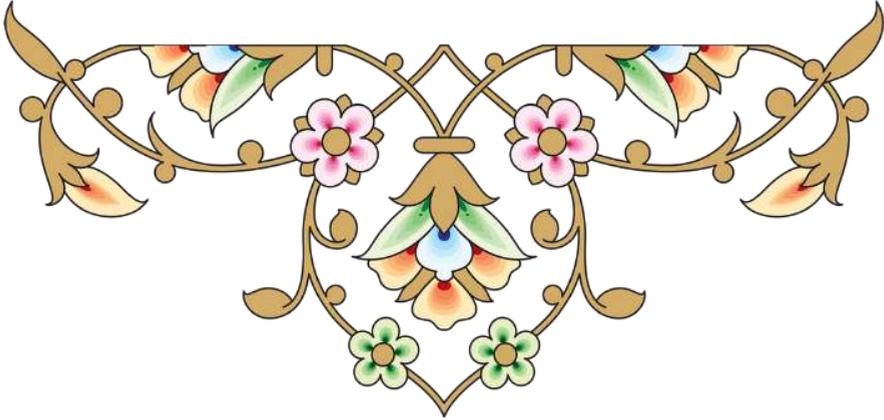


رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).....

من دعاء الصبيان ما لا يطيقون؟، لقد تعمدنا ذكر هذا النص فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء؟، ولا يجوز عليهم حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أجازتُ عندك أن تنسبه إلى رسول الله؟، قال إسحاق: أعوذ بالله، قال المأمون: يا إسحاق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا على هذا الخلق، أبانه بها منهم يُعرف مكانه وفضله، ولو كان الله أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا، قال إسحاق: بلى، قال المأمون: فهل بلغك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا أحدا من الصبيان من أهله وقرابته لثلاثا تقول إن عليا ابن عمه؟، قال إسحاق: لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل، قال المأمون: يا إسحاق أرايت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه؟، قال إسحاق: لا، فقال المأمون: فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك^(٩٥).

وفي الختام يمكن أن نجمل ما قدمناه من رؤية ابن حنبل لأسبقية الإمام (عليه السلام) على غيره، بالقول إنه كان منصفاً في جمعه للأحاديث الصحيحة التي ذكرت ذلك، ولم يخفها أو يشوهها بأي تأويل خارج عن المنطق، وكان منصفاً أيضاً في تبيان مكانة الإمام الحقيقية في مجالسه التي كان يعقدها، وفي ردوده على من اعترض على تقدم الإمام ومكانته المتميزة، وفي الوقت نفسه ذكر الأحاديث المناقضة لأسبقية الإمام ووضعها في كتبه ولم ينكرها أو ينقدها أو يعلق عليها،

أ. د. حسين علي الشرماني وذلك ربما يعود إلى منهج المحدثين
 بأسبقية الإمام التي تدعمها الأحاديث
 الذي ارتكز على تقديس السند حتى
 الصحيحة المتواترة، وواقع عصر
 وإن كان متن الحديث متهافتاً أو غير
 الرسالة وقرب الإمام (عليه السلام) الشديد
 منطقي، مع أرجحية أن يكون معتقداً
 من النبي (صلى الله عليه وآله).



الهوامش

١. الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ٧٠.
٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٦٤.
٣. الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ٧٠.
٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/ ١٣٤.
٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/ ٣٠٧.
٦. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٤٧٢.
٧. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/ ٣٥٤-٣٥٥.
٨. صبري، معجم شيوخ الإمام أحمد في المسند، ص ٤٦.
٩. وهو عبد الرحمن بن صالح، أبو محمد الأزدي، قال عنه يحيى بن معين: محدث ثقة صدوق شيعي، لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يكذب في نصف حرف، توفي سنة ٢٣٠ هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٢٦٠.
١٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٢٦٠.
١١. باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ٩٥.
١٢. الشوكاني، القول المفيد، ص ٧٠.
١٣. الطرابيشي، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (النشأة المستأنفة)، ص ٢١٠.
١٤. أبو زهرة، ابن حنبل، ص ١٨٥.
١٥. ابن حنبل، فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مقدمة التحقيق، ص ٥.
١٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٢/ ٤١٨،
- الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣/ ٦٨٣.
١٧. أبو يعلى، طبقات الحنابلة، ١/ ٣١٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/ ٢٩٧.
١٨. المصدر نفسه: ص ٥.
١٩. ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٥٩؛ الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، ص ٨٢.
٢٠. الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٥٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٧٨.
٢١. ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٢٣٢؛ الكوراني، الإمام الهادي (عليه السلام)، ص ١٨٧.
٢٢. الطوسي، رجال الطوسي، ص ٣٥١.
٢٣. ابن حنبل، مسند، الحديث (١١٩١)، ص ١٣٣.
٢٤. المصدر نفسه، الحديث (١٧٨٧)، ص ١٨٤.
٢٥. المصدر نفسه، الحديث (٣٠٦٢)، ص ٢٧٢.
٢٦. المصدر نفسه، الحديث (٣٥٤٢)، ص ٣٠٤.
٢٧. المصدر نفسه، الحديث (١٩٤٩٦)، ص ١٤١١.
٢٨. هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، من قبيلة مذحج، عده الطوسي من أصحاب الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، وممن روى عنه إبان بن تغلب، مات سنة ٩٦ هـ متخفياً من الحجاج الثقفي والي الكوفة من الأمويين. ينظر: ابن سعد الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ١٨٨؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ١١٠.
٢٩. أحمد بن حنبل، مسند، الحديث (١٩٤٩٩)، ص ١٤١١.

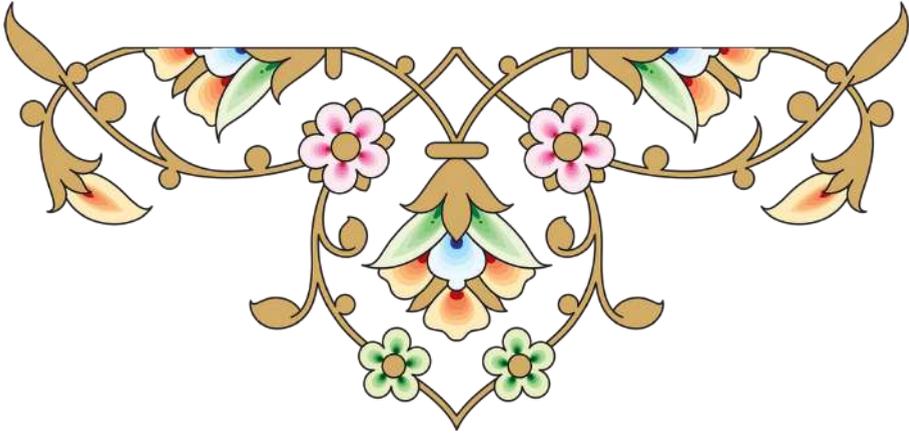


- أ. د. حسين علي الشرهاني
٣٠. المصدر نفسه، الحديث (١٩٥١٨)، ص ١٤١٢.
٣١. المصدر نفسه، الحديث (١٩٥٢١)، ص ١٤١٢.
٣٢. محمد، المستشرقون والحديث النبوي، ص ١١٠.
٣٣. مختلف في نسبه، فيقال إنه، عمرو بن عبسه بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتاب بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، وقيل إنه: عمرو بن عبسه بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خالد بن مازن بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمي، يكنى أبا نجيح، وقيل: أبا شعيب، يسكن حمص، أسلم قديماً، ثم رجع إلى دياره فأقام بها إلى أن هاجر بعد خيبر، فشهد فتح مكة، توفي أواخر خلافة عثمان. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٣٩.
٣٤. ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧١٤٣)، ص ١٢٢٣.
٣٥. المصدر نفسه، الحديث (١٧١٤٤)، ص ١٢٢٤.
٣٦. ابن حنبل، مسند، الحديث (١٧١٥١)، ص ١٢٢٥.
٣٧. المصدر نفسه، الحديث (١٧١٥٣)، ص ١٢٢٥.
٣٨. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٩٤.
٣٩. سورة الحجر، الآية (٩٤).
٤٠. المعيار والموازنة، ص ٧٠-٧١.
٤١. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٧.
٤٢. ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ٢٥٧-٢٥٨.
٤٣. المصنف، ج ٢، ص ٧٤.
٤٤. المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٣٤.
٤٥. ذکر أخبار اصبهان، ج ٢، ص ١٥٠.
٤٦. السنن الكبرى، ج ٦، ص ٢٠٦.
٤٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩، ص ١٠٣.
٤٨. الأوتال، ص ٧٠.
٤٩. تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣١٠.
٥٠. الغدير، ج ٣، ص ٢٢٤-٣٣٥.
٥١. ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٢٢٩.
٥٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/ ١٩٧.
٥٣. ابن أبي شيبه، المصنف، ٧/ ٥٠٥، الضحاک، الأحاد والمثاني، ١/ ١٤٢، الطبراني، المعجم الكبير، ٢٠/ ٢٣٠، الهيثمي، مجمع الفوائد، ٩/ ١٠١.
٥٤. الطبراني، المعجم الكبير، ٦/ ٢٦٩، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٧٤٤، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/ ٢٢٨.
٥٥. الحاكم النيسابوري، المستدرک، ٣/ ١٣٦، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١٠٩١، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ٧٩.
٥٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/ ١٩٧.
٥٧. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ٢٢٤، ابن حنبل، العلل، ٢/ ٢٢٣.
٥٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،



- رؤية ابن حنبل في أسبقية الإمام علي (عليه السلام) بتصديق النبي (صلى الله عليه وسلم) (ص ١١٣ / ٢٠٠).
- ١٣ / ٢٠٠. ص ٢٧٢؛ وينظر: الصنعاني، المصنف، ج ١١، ص ٥٩. النسائي، خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام)، ص ٤٦، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣ / ٢٢٨، المتقي الهندي، كنز العمال، ١٣ / ١٢٢. ٦٠. شرح نهج البلاغة، ١٣ / ٢٢٩.
٦١. الاستيعاب، ٣ / ١٠٩٥.
٦٢. خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام)، ص ٤٧.
٦٣. إمتاع الأسماع، ١ / ٣٣.
٦٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٠ / ٤٥.
٦٥. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢ / ٦٠.
٦٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣ / ٢٢٥.
٦٧. ينظر: النصر الله، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) المنسوبة لغيره، ص ٥٧.
٦٨. سورة التوبة، الآية (١٠٠).
٦٩. سورة الواقعة، الآية (١٠، ١١).
٧٠. هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري الشعبي، يكنى أبا عمرو الكوفي، راوية للحديث، يعد من التابعين، كان من بطانة بني أمية، إذ اتخذ عبد الملك بن مروان نديماً وسميراً مقرباً له، وكثيراً ما كان يبعثه كسفير له إلى الروم، وولاه عمر بن عبد العزيز القضاء، توفي الشعبي على أشهر الروايات سنة ١٠٣ هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٢٧.
٧١. الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٢.
٧٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٥٦.
٧٣. أحمد بن حنبل، مسند، الحديث (٣٠٦٢)، ص ١١٣ / ٢٧٢؛ وينظر: الصنعاني، المصنف، ج ١١، ص ٩٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٣٤؛ البيهقي، سنن، ج ٦، ص ٢٠٦.
٧٤. ابن قتيبة، المعارف، ص ١٦٨؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٢١.
٧٥. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٤٠.
٧٦. ابن دحلان، السيرة النبوية، ص ١٠٤.
٧٧. ينظر: الشرهاني، أضواء على السيرة النبوية، ص ٨٦.
٧٨. الاستيعاب، ص ٥٢٤.
٧٩. مسند، الحديث (١٧٨٧)، ص ١٨٤.
٨٠. الصنعاني، المصنف، ج ١١، ص ٢٢٦؛ النسائي، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ج ٣، ص ١٨؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج ١، ص ٩٥؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ١٣٤؛ البيهقي، سنن البيهقي، ج ٦، ص ٢٠٦؛ الكنجي، كفاية الطالب، ص ٣٩٨.
٨١. ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٦٣؛ البلاذري، أنساب الإشراف، ج ١، ص ١٢٢؛ يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣١٣.
٨٢. عبد الله بن قدامة المغني، ١٠ / ٨٩، محيي الدين النووي، المجموع، ١٩ / ٢٢٤.
٨٣. الثعلبي، تفسير الثعلبي، ٥ / ٨٥، القرطبي، تفسير القرطبي، ٨ / ٢٣٧، الزرندي الحنفي،

- نظم درر السمطين، ص ٨٤، ابن حجر، الإصابة، ٨٩. العثمانية، ص ١٩.
- ٨٤ / ١ .
٨٤. سورة مريم، الآية ١٢ .
٨٥. سورة مريم، الآية ٢٩ - ٣٠ .
٨٦. العثمانية، ص ٥ .
٨٧. العثمانية، ص ٣٠٧ .
٨٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩٥. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٨٦ .
٩٠. المعيار والموازنة، ص ٤٣ .
٩١. الخوارزمي، المناقب، ص ٢٣٧ .
٩٢. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٨٥ .
٩٣. سورة الواقعة، الآية (١٠ - ١١) .
٩٤. سورة ص، الآية (٨٦) .
٩٥. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٨٦ .
- ٢٤٨ / ١٣



المصادر والمراجع

٨. العثمانية، تحقيق عبد السلام هارون، ط ١، دار الجبل، بيروت د. ت.
٩. معرفة علوم الحديث، ط ٤، منشورات دار الآفاق الحديثة، بيروت ١٩٨٠.
١٠. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ).
١١. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ.
١٢. تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت ١٩٨٤.
١٣. ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد المدائني (ت ٦٥٦ هـ).
١٤. شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، قم ١٤٠٤ هـ.
١٥. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).
١٦. مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت د. ت.
١٧. فضائل الصحابة (فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)).
١٨. العلل، تحقيق وصي الله بن محمود عباس، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ.
١٩. الخطيب البغدادي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ).
٢٠. تاريخ بغداد، تحقيق محمد عبد القادر عطا

١. القرآن الكريم
٢. المصادر
٣. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ).
٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت د. ت.
٥. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٦.
٦. الإسكافي، محمد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٢٠ هـ).
٧. المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط ١، مكتبة الإسكندرية، مصر، ١٩٨١.
٨. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩ هـ).
٩. أنساب الإشراف، تحقيق سهيل زكار، ورياض زركلي، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦ م.
١٠. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ).
١١. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ م.
١٢. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ).
١٣. سنن الترمذي، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩.
١٤. الثعلبي، (ت ٤٢٧ هـ).
١٥. تفسير الثعلبي الكشف والتبيان عن تفسير القرآن، تحقيق أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٢.
١٦. الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ).



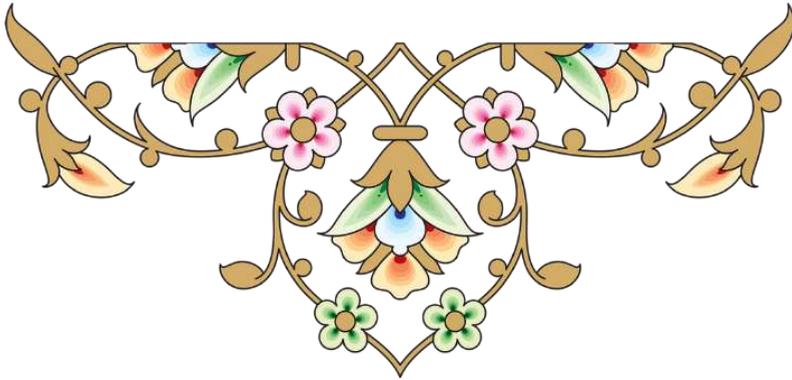
- ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.
١٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان د. ت.
١٨. الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ).
١٩. المناقب، تحقيق مالك المحمودي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١هـ.
٢٠. ابن دحلان، أحمد بن زيني (ت ٧٠٣هـ).
٢١. السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٢٢. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).
٢٣. تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧.
٢٤. الزرندي الحنفي، محمد بن الحسن بن محمد (ت ٧٥٠هـ).
٢٥. نظم درر السمطين، مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) العامة، د. ت ١٩٥٨.
٢٦. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ).
٢٧. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت د. ت.
٢٨. ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ).
٢٩. المصنف في الحديث والآثار، تحقيق عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، بومباي، ١٩٧٩م.
٣٠. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت ٢١١هـ).
٣١. المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٢. الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).
٣٣. المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، د. م ١٩٨٣.
٣٤. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (٣١٠هـ).
٣٥. تاريخ الرسل والملوك، ط ٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣.
٣٦. الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).
٣٧. رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٥هـ.
٣٨. ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧هـ).
٣٩. الأوائل، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب، (الكويت، د. ت).
٤٠. الأحاد والمثاني، تحقيق فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية، الرياض ١٩٩١.
٤١. ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ).
٤٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجليل، بيروت ١٩٩٢.
٤٣. ابن عبد ربه، أبو عمر بن محمد (ت ٣٢٨هـ).
٤٤. العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، د. ت.
٤٥. عبد الله بن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ).
٤٦. المغني، دار الكتاب العربي، بيروت د. ت.
٤٧. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت



- ٥٧١هـ). (هـ).
٣٣. تاريخ دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.
٤٠. ذكر أخبار أصبهان، مطبعة برييل، (ليدن، ١٩٣٤م).
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).
٣٤. المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط ٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩.
٤١. المجموع، دار الفكر، بيروت د. ت.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ).
٣٥. تفسير القرطبي، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥.
٤٢. السيرة النبوية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد بن علي بن صبيح، القاهرة ١٩٦٣.
- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ).
٤٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
٣٦. كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، ضبط بكرى حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد ٢٨٤هـ).
٤٤. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت د. ت.
- أبو يعلى، محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢١هـ).
٤٥. طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت د. ت.
- ب. المراجع
٣٨. إمتاع الأسع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الله النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩.
٤٦. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٩٩٤م).
٣٩. خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة، طهران د. ت.
٤٧. أحمد بن حنبل والمحنة، ترجمه وعلق عليه وأبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ).



- دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨. ٤٨. ابن حنبل حياته وعصره - وآراؤه الفقهية، أبو زهرة، محمد.
٥١. من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (النشأة المستأنفة)، دار الساقى، بيروت، ٢٠١٠ م. الكثيري، محمد.
٥٢. السلفية بين أهل السنة والإمامية، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧. الشرهاني، حسين علي.
- ٤٩.. أضواء على السنة النبوية (دراسة حياة الرسول ﷺ) مع السيدة خديجة (رضي الله عنها)، تموز للطباعة والنشر، دمشق ٢٠١٣. صبري، عامر حسن.
٥٣. الإمام الهادي (عليه السلام) (عمر حافل بالجهاد والمعجزات)، قم، ٢٠١٣. النصر الله، جواد كاظم.
٥٤. فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) المنسوبة لغيره، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الأشرف، ١٤٢٩ هـ. معجم شيوخ الإمام أحمد في المسند، دار البشائر الإسلامية، د. م، د. ت. الطرايشي، جورج.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
وَعَجِّزْ عَنْهُمْ مَرَدًّا

عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
وَعَجِّزْ عَنْهُمْ
مَرَدًّا

الشيخ فاضل



الاستشهاد النحوي بكلام الإمام علي (عليه السلام)
في نهج البلاغة
(دراسة في شواهد الأفعال)

The grammatical martyrdom in talk of the
Imam Ali (pbuh)
In Nahj Albalagha
(Study in witnesses the acts)

أ. د. رحيم جبر أحمد الحسناوي
م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Prof. Dr. Rahim Jabr Ahmed Al Hasnawi
Dr. Haider Hadi Khalkhal Al- Shaibani
University of Babylon
College Of Education For Human Sciences



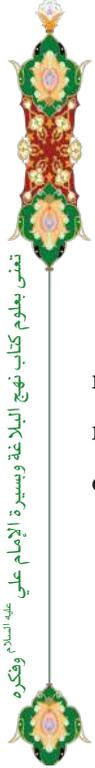
ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى رصد نماذج من مسائل نحوية قد منعها النحويون في باب الأفعال؛ إما نتيجة احتكامهم فيها إلى القياس وحده، أو بسبب عدم الاستقراء الدقيق لشواهد العربية، وقد اتضح جوازها لورودها في كلام الإمام علي (عليه السلام) بوصفه الأفصح والتممي لعصر الاستشهاد؛ بل هو لب عصر الاستشهاد اللغوي.



Abstract

This research seeks to monitor models of grammatical issues that grammarians have prevented in the works; either as a result of their resorting to the measurement alone, or because of the lack of accurate extrapolation of the evidence of Arabic, it became permissible to say in the words of Imam Ali (pbuh).



المقدمة

وفوق كلام المخلوقين»^(١).

يسعى هذا البحث الموسوم بد(الاستشهاد النحوي بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة في شواهد الأفعال) إلى نقد القواعد النحوية التي بُنيت على استقراء ناقص، وتصحيح بعض ما تقرر من أحكام نحوية مستنداً بذلك إلى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، فهو نصٌّ عربيٌّ فصيحٌ فريدٌ في لغته وتراكيبه، قد جاء على وفق معايير علماء العربية فيما يصح الاستشهاد به، لكن شواهد لم تنل استحقاتها في الدرس النحوي لأسباب مختلفة. وقد تناولت فيه ثلاث مسائل هي:

المسألة الأولى: جواز وقوع الفعل الماضي خبراً لـ (كان).

المسألة الثانية: جواز إجراء الفعل (عدَّ) مجرى الظن.

المسألة الثالثة: جواز وقوع الفعل

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على النبيِّ العربيِّ الأمين، سيِّدنا محمدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خاتم المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصَحْبِهِ الغرِّ الميامين، ومن دعا بدعوته بصدق وإحسان إلى يوم الدين. أمَّا بعدُ:

فلا يَخْفَى على أولي الدراية والنهَى، وعلى أرباب الفكر والمعرفة، أنَّ كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عامة والمجموع في (نهج البلاغة) خاصة بحرٌّ لا يُدرك قرائه، ولا تُسبرُ أغوارُه، فهو ذروة الكلام العربي الفصيح بعد كلام الباري عز وجل، وكلام نبيِّه المصطفى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقد ضمَّ نَفَحَاتٍ

من كلام العزيز الجبار، وقبسات من بدائع النبيِّ المختار، وحوى من الأساليب النحوية أرقاها، وتضمن من جواهر المعاني أعلاها، ولا شك في ذلك فهو «كلام دون كلام الخالق



الماضي المثبت المجرد من (قد) حالاً. مكنونها وعنه أخذت قوانينها»^(٢)، وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقتُ في عملي هذا، فإن أكنُ أصبتُ فذلك من كرمِ الله تعالى وحُسنِ توفيقه، وإن كانت الأخرى فمن قصور يديّ وخطئها وجل من لا يُخطئ، والكمال لله وحده. وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلواته وسلامه على نبينا مُحَمَّدٍ الأمين (ﷺ) وآله الطيبين الطاهرين (عليه السلام).

التمهيد:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية كلام الإمام علي (عليه السلام) في معالجة نقص الاستقراء النحوي:

لا أبدو مغالياً إذا قلت: إن كلام الإمام علي (عليه السلام) لا تحيط بأسراره الكلمات، أو تفي بسبر مكنوناته الصفحات، فأمر المؤمنين (عليه السلام) «مَشْرَع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه (عليه السلام) ظهر

من ذلك مثلاً ما حكم به الصَّيمري (من نحاة القرن الرابع الهجري) على أن حذف (قد) قبل الفعل الماضي والاستغناء عنها بـ(اللام) في جواب القسم الضرورة الشعرية، وهذا صريح كلامه: «ولا تدخل هذه "اللام" على الفعل الماضي إلا مع "قد" ولا يحسن حذف "قد" معها إلا في الشعر»^(٣،٤)، وحكمه هذا منتقض بنصِّ نهج البلاغة؛ إذ قال الإمام (عليه السلام) في الشجرة وهي إحدى معجزات النبيِّ محمدٍ (ﷺ): «فَوَ



"قَرَدَدَ"، و"مَهْدَدَ" ولا نعلمه جاء
وصفًا^(٧)، غير أن الاستقراء أثبت
وجود هذا البناء وصفًا في عدد من
المواضع، منها «أَرْضٌ هَجَّجٌ: جَدْبَةٌ
لَا نَبَتْ فِيهَا»^(٨)، وموضعٌ فَدَدَ: فيه
غلظ وارتفاع^(٩)، ومنه قول الإمام
أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة:
«هَذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشُحُ»^(١٠)،
و(شحشح) بوزن (فَعَلَل)، وهو
صفة ل(الخطيب).

ومن الألفاظ التي لم تصل إليها
أسماع اللغويين كلمة (خَصِيصَة)
بوزن (فَعِيلَة) وجمعها (خِصَائِص)
وهي جمع (فَعِيلَة) على (فَعَائِل)
وهو جمع قياسي، فلم تنص على
ذكرها معجماتنا اللغوية، لكن اللغة
أوسع مما أثبتته تلك المعجمات؛ فقد
وردت هذه اللفظة في قول الإمام
علي (عليه السلام): «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيْبَةِ وَ
الْمُنْزَلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعْنِي فِي حَجْرِهِ وَ

الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْتَقَلَعَتْ بِعُرْوَقِهَا
وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ»^(٥)، فجاء
جواب القسم (لانتقلعت) وهو فعل
ماضٍ مقترن بـ(اللام) فقط من دون
(قد)، في دلالة على جواز ورود هذا
النمط النحوي في النثر أيضًا وليس
وقفًا على لغة الشعر^(٦).

ومن ذلك أيضًا جزمٌ بعض
النحويين واللغويين بعدم ورود
بعض التراكيب أو الألفاظ في كلام
العرب، فكثروا عبارات من قبيل
(لم تتكلم به العرب)، أو (لم يُسمع)
ونحو ذلك مما يحتاج إلى استقراء
تام وهو ما يتعدّر كما تقدّم، وربما
يجعلون الأمر غفلاً من دون ذكر
لفظ أو التركيب وهو أحسن
من القطع أو الجزم بعدم الوجود،
من ذلك ما ذكره سييويه في وزن
(فَعَلَل) قائلاً: «فإذا زدت من
موضع "اللام" فإن الحرف يكون
على "فعلل" في الاسم، وذلك نحو:

أسراره البلاغية والإعجازية، فضلاً

عن حفظ نصوصه من اللحن والتحريف، كل ذلك صرفهم إلى الاهتمام بقراءاته وتفاسيره وتاريخه، فحملهم ذلك على ضبط اللغة وإحكام قواعدها عبر التوسل بعدد من الأسس أو الأحكام التي تحفظ اللسان وتبعده من الوقوع في اللحن أو الخطأ^(١٣).

فبعد أن دُوِّن النحو عبر مراحل من تقصي المسموع وإحصاء مظاهره وجد النحويون أنفسهم أمام جملة من التراكيب والاستعمالات اللغوية المختلفة، التي تحتاج إلى وضع معايير للتقويم والبناء، منها ما يتعلق بالجودة والرداءة ومنها ما يتعلق بالصواب والخطأ، وهذا يعني أن الفصاحة في عُرف النحويين لم تعد المعيار الوحيد لقبول بعض التراكيب أو رفضها كما كانت قبل اكتمال أبواب النحو، بل زادوا عليها معياراً

ومن الأبنية التي فانت اللغويين أيضاً المصدرُ (تَهَام) بوزن (تَفْعَال) على الرغم من وروده في كلام الإمام علي (عليه السلام) وفي شعر امرئ القيس أيضاً^(١٢).

لما تقدم يمكن القول إن كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) متن لغوي زاخر بالاستعمالات الفريدة، ومدونة معرفية متكاملة لو امتدت إليها أيدي النحويين واللغويين لأصابوا من ذلك بسهم وافر من الشواهد النحوية التي تحل كثيراً من المشكل الذي وقعوا فيه.

المطلب الثاني: في مفهوم المنع النحوي: من المقرر المستحكم لدى علماء العربية ودارسيها أن الباعث الديني هو السبب الرئيس وراء نشأة علوم اللغة العربية، فالعناية بالقرآن الكريم، وفهم آياته ومعانيه، والكشف عن أنماط بناء جملة وتراكيبه، وتبيين



مصطلحاً لمفهوم المنع بوصفه أحد الأحكام التقويمية التي شاعت في كتب النحو قديماً وحديثاً، وقد يكون سبب ذلك أنهم يسعون في الأساس إلى جمع القواعد النحوية وتبويبها وتفسيرها، أما توجيه تلك القواعد بالجواز أو المنع أو الضعف ونحو ذلك من الأحكام فإن ذلك: «لا يرد ذكرها إلا لماماً؛ لأن النحاة لم يُعنوا بجمعها وتصنيفها، وإنما كانوا يشيرون إليها كلما سنحت الفرصة لمثل هذه الإشارة، إمّا في معرض الشرح أو في معرض النقاش والمحاجة»^(١٨)، ونتيجة لهذا فقد حاول قسم من الباحثين المحدثين تعريفه في ضوء الدراسة التي يعقدها، فقد بينته الدكتورة خديجة الحديشي بأنه: «حكم لعدم جواز وجه من أوجه الإعراب أو وجه من أوجه التعبير»^(١٩)، وعرفه تلميذها الباحث مازن عبد الرسول الزبيدي

آخر للصواب والخطأ، استخرجه من الكلام الفصيح، ذلك هو القواعد النحوية التي ربما رفضت بعض الفصيح فدمغته^(١٤)، وفي ضوء هذا المبدأ دأب النحويون «على وضع قواعد نحوية شكلية يتوكلوا عليها من ضعفت ملكته أو شاب لسانه خليطاً من كلام الأعاجم»^(١٥)، ومن بين تلك الأحكام التقويمية التي شاعت في كتب التراث النحوي حكم المنع، الذي يدور إجمالاً حول مخالفة الوجه النحوي ضوابط الصناعة النحوية والمعنى الذي يفرزه التركيب النحوي.

والمنع كما تذكره معجمات اللغة هو مصدر للفعل (منع)، قال الخليل: «منعته أمنعه منعاً فامتنع، أي: حلت بينه وبين إرادته. ورجل منيع: لا يُخلصُ إليه»^(١٦)، وهو ضد الإعطاء^(١٧).

ولم يضع قدامى النحويين حدًا أو



.....أ. د. رحيم جبر أحمد الحسنواوي/ م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني
بأنه «حکم نحويّ يراد به رفضُ كلِّ ما يُجَلُّ بمقتضيات الصحة وقواعدها لعلّة مانعة من ذلك حالتَ بينه وبين الصواب»^(٢٠).

ومن الشواهد المهمة التي تدل على عناية علماء العربية بمصطلحات النقد النحوي لا سيما المنع أن نجد لها حضوراً واسعاً فيما كتبه من مصنفات نحوية ولغوية، وأوضح مصداق على ذلك ما عقده سيوييه في باب ابتدأ فيه كتابه كشف فيه مستويات الكلام العربي وحكم على كل مستوى وأحواله، فقال: «هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محالٌ كذب»^(٢١).

فسويويه على وفق هذا النص حصر مستويات الكلام بالمستقيم والمحال، ولا شك في أنهما المستويان اللذان لا يخرج التركيب النحوي في العربية

وبسبب غياب التحديد الدقيق لمفهوم المنع في الدرس النحوي تعددت المصطلحات التي عبر بها النحويون في الدلالة على ما يمتنع من التراكيب النحوية، منها تعبيرات تدل على المنع بلا احتمال لحكم آخر، ومنها (المحال، ولا يجوز، لا يستقيم، ومردود، باطل، وخطأ، وفساد، وغير صحيح)، ومنها تعبيرات مرادفة للمنع ومنها (أبى، وتعذر، وحظر)^(٢٣)، هذا زيادة على ألفاظ اختلطت دلالتها بدلالة المنع منها (الشاذ، والضعيف، والقبيح، والرديء)^(٢٤).

ويمكن تقسم المنع في النحو العربي على أقسام من أهمها^(٢٥):
١. منع العرب: وهو النوع الذي



الاستشهاد النحوي بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة (دراسة في شواهد الأفعال).....

يستند فيه النحويون إلى كلام العرب في الحكم على منع التراكيب النحوية أو الاستعمالات اللغوية بالمنع، ولهذا قيل: إن النحو هو علم منتزع من استقرار لغة العرب نظماً ونثراً، على أن ما يمتنع لدى العرب وإن لم يوافق القياس، وهذا ما عقده ابن جني في باب «امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس»^(٢٦).

٢. منع النحويين: وهو المنع الذي يُحتكم فيه إلى أقيسة النحويين واجتهاداتهم في إصدار الحكم، فالنحويون أصدروا كثيراً من القواعد النحوية لم تُسمع عن العرب بناءً على ما وضعوه من أقيسة وأصول، قال ابن السراج: «فإذا لم يصح سماع الشيء عن العرب لجئ

فيه إلى القياس»^(٢٧) ولهذا نجدهم يُكثرون من قولهم إنَّه «القياس وإن لم يسمع»^(٢٨)، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما صرح به سيويه

قائلاً: «فإن بدأ بالمخاطب قبل نفسه فقال: أعطاكني، أو بدأ بالغائب قبل نفسه فقال: قد أعطاهوني، فهو قبيح لا تكلم به العرب، ولكن النحويين قاسوه»^(٢٩)، ومثل هذا جاء على لسان المبرد فقال: «هذا باب من "الذي"، و"التي" ألفه النحويون فأدخلوا "الذي" في صلة "الذي" وأكثروا في ذلك»^(٣٠)، وهو الباب الذي بشأنه قال أبو حيان الأندلسي: «هذه التراكيب كلها من وضع النحويين، ولا يوجد نظائرها في لسان العرب»^(٣١).

٣. منع العرب والنحويين: وهو النوع الذي تكون فيه المسألة ممتنعة لدى النحويين بسبب امتناعها في كلام العرب.

وقد قسمته على المباحث الآتية:

المسألة الأولى: جواز وقوع الفعل الماضي خبر ال (كان):

الأصل في الخبر الأفراد^(٣٢)، وقد

يقع جملة^(٣٣)، والجملة الواقعة خبراً هي «الجملة المتممة لمبتدأ الجملة الاسمية ويكثر أن تُتمم الجملة الفعلية مبتدأ الكلام في الجملة الاسمية نحو» زيد حضر^(٣٤)، وتكون خبراً للمبتدأ، أو لفعل ناقص، أو لحرفٍ مشبّه بالفعل^(٣٥)، «وإنما جاز أن يكون جملة لتضمنها للحكم المطلوب من الخبر، كتضمن المفرد له^(٣٦)، وموضعها رفعٌ في بايٍ المبتدأ أو (إن)، ونصبٌ في بايٍ (كان)، و(كاد).

وقد اختلف النحويون في وقوع الجملة المصدرية بالفعل الماضي خبراً لـ(كان وأخواتها)، فالكوفيون يشترطون (قد) ظاهرة أو مقدره، وفي هذا يقول الفرّاء: «وقولك للرجل: أصبحتَ كَثْرَ مَأْلِكَ، لا يجوز إلاّ وأنتَ تريدُ: قد كَثُرَ مَأْلُكَ»^(٣٧)، وأكدَّ مذهبه هذا في موضع آخر^(٣٨)، وهو مذهب عامة الكوفيين^(٣٩)، وقد

نسب الرضي إلى ابن درستويه القول

بمنع وقوع الماضي خبراً لـ(كان) مطلقاً، وهو ما لم يرتضيه الرضي^(٤٠). وقد علّل أصحاب هذا المذهب اشتراطهم هذا التقدير «بأنّ الفعل الذي يقع خبراً إذا كان ماضياً لم يحتج معه إلى "كان وأخواتها"؛ لأنها إنما دخلت على الجملة لتدل على الزمان، فإذا كان الخبر يعطي الزمان لم يحتج إليها وكان ذكرها فضلاً»^(٤١)، فاشتراط (قد) قبل الماضي إنما جاء من وجهة نظرهم ليكتسب الفعل دلالة التقريب من الحال، فيفترق بذلك عن زمن الماضي الذي تفيده (كان) وتصبح جملة: كان زيد قام، المرفوضة لديهم بعد دخول (قد) أو تقديرها بمعنى: كان زيد يقوم^(٤٢)، وهو رأي غير دقيق؛ فلو صحّ لما جاز القول: يكون زيد يقوم، إذ إنّ دلالة الاستقبال مفهومة من الفعل وخبره^(٤٣).

ويرى النحويون البصريون جواز



وقوع الماضي خبراً لـ (كان وأخواتها) دونها من (قد) ظاهرة أو مقدره، لورود ذلك في الشعر والنثر^(٤٤)، والكثرة تُجيز القياس^(٤٥)، ومن أجل هذا ذهب ابن مالك إلى جوازه إلا في (صار) و(ليس)، وكذلك فيما تصدّره النفي (مادام) وأخواتها، فاشترط وقوع الماضي خبراً لـ (ليس) أن يكون اسمها ضمير شأن^(٤٦)، ولم يرتض أبو حيان ذلك^(٤٧)، وهو على حق؛ لأن مجيء خبر (ليس) فعلاً ماضياً مجرداً من (قد) ثابت في لغة العرب شعرها ونثرها، ومنه في نصوص نهج البلاغة، إذ قال الإمام (عليه السلام): «لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ»^(٤٨).

ونجد القول بالجواز أيضاً عند أبي حيان في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ (سورة النساء من الآية: ٤٣): «في قوله: أو جاء، أو لامستم دليل على جواز وقوع الماضي خبراً لـ "كان" من غير (قد) وادعاء إضمارها تكلف خلافاً للكوفيين لعطفها على خبر "كان" وَالْمُعْطُوفُ عَلَى الْخَبَرِ خَبَرٌ»^(٥٠)، ونحا هذا المنحى جملة من العلماء والمفسرين منهم السمين الحلبي وابن عادل الدمشقي^(٥١).

يتضح مما تقدم ذكره رجحان مذهب البصريين وابن مالك، إذ الشواهد التي جاءت مجردة من (قد) كثيرة في القرآن الكريم والشعر، وبهذا نستدل على أن مذهب المانعين محجوج بالسماع، ومما يعضده ويقويه القياس أيضاً، إذ بالإمكان حمله على الماضي بعد (كان) في صيغة (ما

وَأَكَّدَ هَذَا الرُّضِي الأَسْتَرَابَادِي مَعْلَلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ دَلَالَةِ كَانٍ عَلَى الْمَاضِي وَخَبَرِهَا كَذَلِكَ فَقَالَ: «إِذْ لَا مَانِعَ مِنْ قِيَامِ شَيْئَيْنِ يَفِيدَانِ مَعْنَىٰ وَاحِدًا»^(٤٩).



أفعله) الدالة على التعجب، في نحو: جرت في الماضي ولهذا لم يأت بـ (قد)؛ ما كان أحسن زيداً، والقول بزيادتها لأنها تقرب الحدث من الحال، هذا في هذا الموضوع لا يُبطل الاستدلال به (٥٢).

والشواهد على هذه المسألة في نهج البلاغة كثيرة، منها ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عمّاله: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ وَأَخْرَيْتَ أَمَانَتَكَ» (٥٣).

الشاهد فيه قوله: (إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ)، فد(كان) واسمه ضمير الرفع (التاء) والجملة الفعلية المصدرية بالفعل الماضي المجرد من (قد) لفظاً وتقديراً في محل نصب خبر، وإنما حكمت بعدم تقديرها هنا استناداً إلى المعنى الذي تؤديه وهو تقريب الفعل الماضي من الحال وهذا متعذر في النص، إذ الإمام (عليه السلام) في معرض سوق اتهامات بخيانة الأمانة وصلته عن هذا العامل، فالكلام عن وقائع

ويتفق وسياق النص، فالإمام يريد التحقق من اتهام قد يصدق وقد لا يصدق، فكيف يؤكد ما لم يثبت؟. ولعل ما يؤكد ما ذهبت إليه هو مضي الشرط في هذا النص على حين أن الجمهور ينكرون ذلك ويمنعونه (٥٥)، فأداة الشرط عندهم تُحيل زمن الماضي بعدها إلى المستقبل، غير أن هذا الحكم لا ينسجم والمعنى المتحصّل من ظروف القول في هذا النص وسواه، فمعنى المضي ثابت فيه لا يمكن تأويله أو تقديره، على أن المبرد أجاز ذلك بشرط مجيء (كان) بعد الأداة؛ إذ إنّها تبقى على مُضِيِّهَا لفظاً ومعنى مستندا بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ (سورة المائدة من الآية: ١١٦) (٥٦)،





مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ
حَلَالِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ
الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ»^(٦١).

ومن الشواهد على هذه المسألة
أيضاً قوله (عليه السلام): «وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ
دُونِي فَمَا الطَّلَبَةُ إِلَّا قَبْلَهُمْ»^(٦٢) وقوله
(عليه السلام): «وَلَيْسَ بَقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا
قَصَّرُوا، وَلَيْقَصَّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا
سَبَّقُوا»^(٦٣).

وبهذا يتضح لنا أن السياق هو
الحاكم في مسألة اقتران الفعل الماضي
الواقع خبراً لـ (كان وأخواتها) بـ
(قد) من عدمه، واشترط ذلك
لفظاً أو تقديرًا مما لا تؤيده الشواهد
الكثيرة الواردة في النهج - فضلاً عن
الشواهد القرآنية والشعرية - وهذه
الشواهد لا تُرد ما دامت من عصر
الاحتجاج، ثم إنَّ الذهاب إلى تقدير
كلِّ هذه الشواهد مما لا يمكن قبوله
بحال، زيادة على أنه يبدو متكلفاً
ومتعذراً أحياناً، فضلاً عن الأصل

وبهذا يكون هذا النص دليلاً على
جواز مُضي الشرط لفظاً ومعنى،
فالزمن الشرطي لا تفرضه الأداة ولا
فعل الشرط، بل الفيصل في ذلك
السياق والقرائن المحيطة بالنص^(٥٧).
ومن الشواهد أيضاً قوله (عليه السلام)
خَوْفَا أَهْلِ النَّهْرَوَانِ: «قَدْ طَوَّحَتْ
بِكُمْ الدَّارُ وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ وَقَدْ
كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ
فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ»^(٥٨).

محل الشاهد (كنت نهيتكم)،
والفعل الماضي لا يحتاج هنا إلى (قد)
مضمرة، إذ الإمام في معرض إنذار
الخوارج في النهروان وتحذيرهم، بعد
أن نهاهم عن قبول التحكيم في صفين
لكنهم رفضوا قوله^(٥٩)، فالمعنى قائم
على بيان حدثٍ في الماضي وهو ما
وقع في صفين سنة (٣٧هـ).

ومن الشواهد أيضاً قوله (عليه السلام)
لشريح القاضي^(٦٠): «فَانظُرْ يَا شَرِيحُ
لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ



عدم التقدير.

النحويون في حمله على معنى الظن.

واستناداً إلى كل ما تقدم يجب

فقد أنكر ابن عصفور إجراءه

تعديل القاعدة النحوية بالآتي: يجوز

مجري الظن^(٦٥)، وتابعه على ذلك أبو

وقوع الماضي خبر لـ (كان) بلا (قد)

حيان^(٦٦)، ونسب السيوطي هذا المنع

ظاهرة أو مقدرة لوروده كثيراً في

إلى أكثر النحويين^(٦٧).

القرآن الكريم ونهج البلاغة، وفي

ويرى ابن مالك أن إجراء

كلام العرب شعراً ونثراً، كما يجوز

الفعل (عدّ) مجري الظن كثيراً في

ذلك في (ليس) خلافاً لتقييد ابن

لغة العرب لكنّ النحويين أغفلوا

مالك.

التصريح به، فقال: «وإجراء "عدّ"

المسألة الثانية: جواز إجراء الفعل (عدّ)

مجري "ظن" معنى وعملاً مما أغفله

مجري الظن:

أكثر النحويين وهو كثير في كلام

قرر النحويون أن من النواسخ

العرب^(٦٨)، محتجاً لذلك بشواهد

الفعلية التي تباشر الجملة الاسمية

من الحديث النبوي الشريف ومن

(ظن وأخواتها)، وهي مجموعة من

الشعر العربي، فمن الحديث ما روي

الأفعال تدخل على المبتدأ والخبر

عن بعض الصحابة: «جاء جبريلُ

فتنصبها مفعولين لها، وتنقسم على

(إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) فَقَالَ: مَا

قسمين: أفعال القلوب وأفعال

تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟، قَالَ: مِنْ

التحويل^(٦٤)، ولمشابهة بعض الأفعال

أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ»^(٦٩).

أفعال الظن معنى وعملاً حُمِلت

وأما الشواهد الشعرية فمنها قول

عليها في نصب المفعولين، ومن ذلك

النعمان بن بشير^(٧٠): (من الطويل):

الفعل (عدّ)، وهو فعل قد اختلف

فلا تُعَدُّ المولى شريكك في الغنى



ومن شواهد هذه المسألة في

الكلام العلوي المبارك قوله (عليه السلام) في وصف الزمان: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا»^(٨١).

كلامه (عليه السلام) في وصف جور زمانه وما حلَّ فيه من المفاسد والشُرور فضلاً عن سوء الظن الذي يستولي على عقول الناس وسلوكهم وطبائعهم؛ لذا هم يعتقدون بأنَّ الباعث على كلِّ عمل حسن هو الرياء أو السُّمعة أو الخوف ونحو ذلك من الأمور الناشئة من سوء الظن^(٨٢)؛ لذا فاستعمال الفعل (عدَّ) جاء منسجماً مع ما يعتقد هؤلاء الناس في ذلك الزمان، ولا مجال لرفض معنى الظن في هذا الفعل أو إنكاره.

فيما تقدم من نصوص تبين أنَّ الفعل (عدَّ) من الأفعال التي

ولكنَّ المولى شريكك في العدم

ومثله قول الشاعر أبي دؤاد الأيادي^(٧١): (من الخفيف):

لَا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ

فَقَدْ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الإِعْدَامُ

لهذا فلا حجة لمن منع ورود

(عد) بمعنى الظن، ومن هنا ذهب الكوفيون وبعض البصريين إلى إجازته^(٧٢)، ومن أيدها المذهب ابن هشام اللخمي^(٧٣)، كما صرح به الرضي^(٧٤)، وابن أبي الربيع^(٧٥)، وابن هشام^(٧٦) وابن عقيل^(٧٧)، واختاره آخرون^(٧٨).

وقد تأوَّل المانعون هذه الشواهد على إرادة الحال، فقد ذهب ابنُ عصفور إلى أنَّه لا وجه لمعنى الظن في (عدَّ) في مثل قولهم: عددت زيداً عالماً؛ لأنَّ (عالماً) حالٌ؛ لأنَّ التنكير لازمٌ فيها فلا يقال: عددتُ زيداً العالم^(٧٩)، وهو تأويل بعيد يرفضه المعنى أو يُضعفه^(٨٠).



تنصب مفعولين كغيره من أفعال القلوب استناداً إلى النصوص اللغوية الفصيحة المؤيدة لهذا، لذا بوسعنا تقديم تعديل على القاعدة بالآتي: يجوز إجراء الفعل (عدّ) مجرى الظن احتكاماً إلى الموروث اللغوي الفصيح المحتج به. ومنه نهج البلاغة.

المسألة الثالثة: جواز وقوع الفعل

الماضي المثبت المجرد من (قد) حالاً: يُقسّم علماء العربية الحال أقساماً كثيرة باعتبارات متعددة، من ذلك تقسيمها بحسب الأفراد وعدمه، فهي بموجب هذه الضابطة تنقسم على الحال المفردة والحال الجملة وشبه الجملة.

أما إذا كانت الحال جملة فهي إما اسمية أو فعلية، وقد ذكر النحويون شروطها في كل حالة، وقد أجازوا مجيء الحال جملة فعلية فعلها ماضٍ غير أنهم اختلفوا في مسألة اقترانها بـ (قد)، فمنهم من أوجب اقترانها بها

في حال الإثبات ومنهم من أجاز. فاشتراط جماعة من النحويين في الجملة الماضية الواقعة حالاً أن تقترب بـ (قد)، مظهرة أو مضمرة، ولعلّ الفراء يقف في مقدمتهم، فأعرب عن رأيه وهو محلّل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ

أَمْوَاتًا﴾ (سورة البقرة من الآية: ٢٨)، فقال: «المعنى - والله أعلم - وقد كنتم، ولولا إضمار "قد" لم يجوز مثله في الكلام. ألا ترى أنه قد قال في سورة يوسف: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ﴾ المعنى - والله أعلم - فقد كذبت. وقولك للرجل: أصبحت كثر مالك، لا يجوز إلا وأنت تريد: قد كثر مالك؛ لأنها جميعاً قد كانا، فالثاني حال للأول، والحال لا تكون إلا بإضمار "قد" أو بإظهارها»^(٨٣)، وأكد مذهبه هذا في موضع آخر^(٨٤).

وقد سار على هذا المذهب



جمعٌ من النحويين منهم المبرد^(٨٥) أو مضمرة^(٩٥)، وأن رأيي الأخفش والزجاج^(٨٦)، وابن السراج^(٨٧)، وابن جنّي^(٨٨)، والزمخشري^(٨٩)، وآخرون^(٩٠).

وقد احتج المانعون لمذهبهم بأنّ الحال وصفٌ للهياة الحاضرة، والماضي يدلُّ على ما انقطع ومضى فلا يتناسب وقوعه في الدلالة على الحال؛ لذا اشترطوا (قد) ظاهرة أو مقدرة؛ لأنها تقرب الفعل الماضي من الحال^(٩١).

وذهب الطبري أيضاً إلى ضرورة التقدير ولهذا فسّر الآية نفسها بقوله: «وذلك أن معناه: أو جاؤوكم قد حصرت صدورهم، فترك ذكر "قد"؛ لأنّ من شأن العرب فعل مثل ذلك، تقول: أتاني فلان ذهب عقله، بمعنى: قد ذهب عقله؛ ومسموع منهم: أصبحت نظرت إلى ذات التنابير، بمعنى: قد نظرت»^(٩٧)، وهو قول ابن الأنباري أيضاً^(٩٨).

وقد نُسب إلى الأخفش القول بجواز عدم الاقتران^(٩٢)، كما نُسب ذلك القول إلى عامة الكوفيين عدا الفراء^(٩٣)، وهذا ما سوغ لأبي البركات الأنباري دراستها كمسألة خلافية بين المدرستين^(٩٤).

وقد حقّق أحدُ الباحثين في صحة تلك النسبة فخلص إلى أنّ الكوفيين لا يختلفون عما رآه البصريون في هذه المسألة، فهم يُوجبون (قد) ظاهرة

وقد نقل الأزهري عن ثعلب رأيه في الآية مدار الخلاف، فقال: «وقال أحمد بن يحيى: إذا أضمرت "قد" قربت من الحال وصارت كالاسم، وبها قرأ من قرأ: (حصرة



صدورهم)»^(٩٩) وليس في كلام ثعلب

ما يشير إلى الجواز، على أن ما نقله ابن خالويه عن الكسائي يشير إلى إجازته التجرد عن (قد) بقله، فقد قال: «ولا يكون الماضي حالاً إلا مع (قد) إلا ما حدثني أبو عمر عن ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي قال: قد يكون الماضي حالاً بغير "قد"»^(١٠٠).

يظهر مما تقدم أن تلك المسألة من المسائل التي يكاد يُجمع البصريون وأغلب الكوفيين على ضرورة تقدير (قد)، وهذا مخالف أتم المخالفة للنقل والقياس، أما النقل فالشواهد القرآنية التي جاءت مجردة من (قد) كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ (سورة النساء من الآية: ٩٠)، ف (حصرت صدورهم) حال من الضمير في (جاءوكم)^(١٠١).

ومنه قول امرئ القيس^(١٠٢): (من

الطويل):

لَهُ كَفَلٌ كَالدَّعْصِ لَبْدُهُ النَّدَى

إلى حَارِكٍ مِثْلِ الْغَبِيطِ الْمَذَّابِ

والشاهد فيه وقوع جملة (لبده الندى) حالاً من دون اقترانها ب (قد)، ومنه قول العرب في المثل: «أَفْعَلٌ كَذَا وَخَلَاكَ دَمٌ»^(١٠٣)، فالفعل (خلا) ومعمولاه في محل نصب حال وهو مجرد من (قد)^(١٠٤)، ولهذه الشواهد نظائر أخرى يطول المقام بذكرها كلها^(١٠٥).

وأما القياس فقد استند المؤيدون إلى أن الماضي مما يصح أن يكون نعتاً للنكرة، فيجوز وقوعه حالاً من المعرفة كالفعل المضارع، نحو (مررت بالرجل قعد، وبالغلام قام)^(١٠٦)، هذا فضلاً عن جواز قيام الماضي مقام المستقبل، وإذا جاز هذا جاز أن يقوم مقام الحال^(١٠٧)، ولأن الأصل عدم التقدير.

وعلى الرغم من كثرة الشواهد



يفهم به إذا لم توجد. وحق المحذوف المقدر ثبوته أن يدل على معنى لا يدرك بدونه»^(١٠٩)، واختار هذا أبو حيان أيضاً فقال: «والصحيح جواز ذلك؛ لكثرة ما ورد منه بغير "قد"، وتأويل الكثير ضعيف جداً لأنها بنى المقاييس العربية على وجود الكثرة»^(١١٠)، وأيد ذلك المرادي^(١١١)، والسمين الحلبي^(١١٢)، وابن عقيل^(١١٣)، والاشموني^(١١٤)، والأستاذ عباس حسن والدكتور أحمد مكّي الأنصاري والدكتور خليل بنان الحسون من المحدثين^(١١٥).

وأما المانعون فلم يرتضوا ذلك وعلّلوا مذهبهم بأن «الماضي لا يدل على الحال، فينبغي ألا يقوم مقامه»^(١١٦) فهو لا يدل على الحال إلا بقريئة^(١١٧)، ولهذا سعوا إلى تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ على إضمار (قد)، أو أن يكون الفعل (حصرت) صفة للفظ

المؤيدة لعدم الاقتران - فضلاً عن القياس - نرى أن الذين ذكروا هذا الخلاف أو صوّروه قد ركزوا في حديثهم على شواهد قليلة ولعل من أبرزها قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ وكأنه «الشاهد الفرد الذي لا نظير له من القرآن الكريم لمجيء الفعل الماضي حالاً»^(١٠٨).

والحق أن الشواهد كثيرة وقد احتج ببعضها جمع من النحويين المتأخرين في الرد على من أوجب هذا الاقتران وتعديل ما قعدوا له، وهذا ما أشار إليه ابن مالك بعد أن استعرض جملة منها، فكشف عن رأيه قائلاً: «وزعم قوم أن الفعل الماضي لفظاً لا يقع حالاً وليس قبله (قد) ظاهرة إلا وهي قبله مقدّرة، وهذه دعوى لا تقوم عليها حجة، لأن الأصل عدم التقدير، ولأن وجود (قد) مع الفعل المشار إليه لا يزيد معنى على ما



(القوم) المجرور في أول الآية! أو لقوم مقدر، والتقدير (أو جاؤوكم قوما حصرت...) ومن «العجب أن يكون "حصرت" صفة لقوم مقدر ولا يكون حالا من الضمير المجاور في "جاؤوكم"»^(١١٨) وهذا تكلف واضح، ثم إنَّ في استدلال المبرد ما يدفع لزوم تقدير (قد)، فإنه قد احتج بقراءة (حصرة صدورهم) وفي هذا تعضيد لمعنى الحال في الفعل (حصرت) بلا (قد)، إذ دأب النحويون على الاستدلال بالقراءة الصحيحة لتوجيه حكم نحوي مناظر^(١١٩)، هذا فضلا عن أنهم يؤولون الحال الجملة بالمفرد، والتأويل حاصل بين القراءتين وهذا دليل كاف على إرادة معنى الحال. ولعلَّ الراجح الذي نطمئن له أن القول بجواز عدم الاقتران لا يمكن دفعه أو تأويله لكثرة الشواهد المؤيدة له، فهي ليست قليلة كما

نقل عن الكسائي^(١٢٠)، وكما صرح بذلك الدكتور الأنصاري^(١٢١)، زيادة على أن الأصل عدم التقدير لا سيما أن التقدير في أغلبه ضعيف واضح التكلف.

ومن الشواهد النهجية قول الإمام (عليه السلام) في بيان حاله: «وَمَصَّيْتُ بُنُورَ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا وَأَعْلَاهُمْ قَوْتًا»^(١٢٢).

يذكر الإمام (عليه السلام) بعض مفاخره ردًّا على من اتهمه بما لا يليق به^(١٢٣)، فمن سماته (عليه السلام) أنه من سلك سبيل الله تعالى في زمن سلك الناس سبيل الشيطان فأصبحوا حيارى تائهين ضلُّوا سواء السبيل فالإمام هو الأعلم بوحي النبوة بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، وتلك المراتب وسواها قد زادتْه خشيَّةً وتواضعًا، فهو والمراتب تلك كان أخفض صوتًا بحضرة النبي (صلى الله عليه وآله) تأدبًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ





ومثله قوله (عليه السلام) في ذكر حال الناس قبل البعثة: «وَاللَّهِ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهْلُوهُ وَلَا أُصْفِيْتُمْ بِهِ وَحُرْمُوهُ» (١٢٧).

ومثله قوله (عليه السلام) في بيان إحدى معجزات النبي (ﷺ): «فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوَتِهَا وَجَاءَتْ وَهَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مُرْفَرَفَةً وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَبِعَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ» (١٢٨).

وبهذا نصل إلى ثمرة هذا النقاش والتحليل بتعديل القاعدة النحوية ونقول: يجوز تجرد الفعل الماضي الواقع حالاً من (قد) لوروده كثيراً في القرآن الكريم والموروث العربي من نهج البلاغة وكلام العرب نظماً ونثراً.

الخاتمة

تبين في ضوء الشواهد العلوية وما

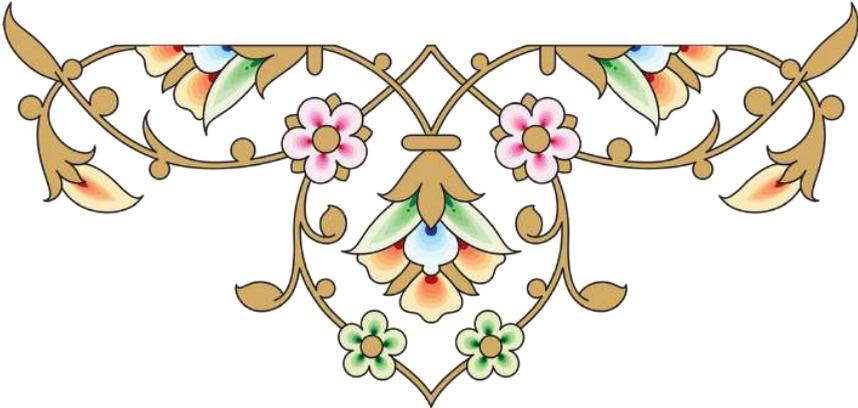
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلِيكَ الَّذِينَ ائْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» (سورة الحجرات الآية: ٣)، وكان أشدَّ ثباتاً وأربطاً جأشاً (١٢٤)،

وهذا ما أفصحت عنه الجملة الحالية المصدرية بالفعل الماضي: (وكنت...) وصاحب الحال هو (تاء) الضمير الفاعل في الفعل (مضيت) العائد على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبهذا تكون الجملة الحالية من دون اللجوء إلى تقدير (قد) كما اشترط ذلك جمهور النحويين البصريين.

ومن الشواهد أيضاً قوله (عليه السلام) يصفُ النبيَّ محمداً (ﷺ): «وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلِّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصْبَةٍ» (١٢٥)، فالجملة الفعلية المصدرية بالفعل الماضي (خاض) حال اسم إنَّ (محمداً) الذي أصله مبتدأ على رأي سيبويه الذي أجاز وقوع الحال من المبتدأ (١٢٦)، وهي كما ترى مجردة من (قد).



يعضدها من الشواهد الأخرى مدى على أن اللجوء إلى التقدير لا يصمد
نقص استقراء النحويين في جملة من مع كثرة الشواهد المخالفة لما قرروه،
القواعد النحوية، لذا كثر التأويل لاسيما الواردة في نهج البلاغة الذي
والتقدير في منهج النحويين من أجل هو نص ثرّ لو اتخذ علماء العربية
الخروج من تعارض السماع والقياس. مصدرًا للاستشهاد النحوي لأفادوا
والحال أن التأويل والتقدير خلاف منه كثيرًا.
الظاهر، فالأصل عدم التقدير، زيادة



الهوامش

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، تح: علي محمد البجاوي: ٢ / ٧١٧. و(الشحشح) من غريب كلام الإمام (عليه السلام) الذي ذكره الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) مبيّنًا معناه بقوله: «الماهر بالخطبة، الماضي فيها، وكلُّ ماضٍ في كلامٍ أو سيرٍ فهو شحشَح، والشحشَح في غير هذا الموضع: البخيل المُمسِك». نهج البلاغة: ٦٨١.
- (١١) نهج البلاغة: ٣٩٥، وينظر: شرح (المعتزلي): ١٣ / ١٩٧، ولي على هذا الشاهد مسألة أخرى، ينظر: الصحيفة (٢٣٣-٢٣٧) من هذا البحث.
- (١٢) يُنظر: نهج البلاغة: ٧١، وشرح (المعتزلي): ٢ / ٧٤، ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٧٨، وأبنية المبالغة وأنماطها: ٢٦٦.
- (١٣) ينظر: فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب: ١٠٨، وفي أصول النحو: ١٠٠.
- (١٤) ينظر: الأصول: ٩٦.
- (١٥) نظرية المعنى في الدراسات النحوية، د. كريم حسين ناصح: ١٩.
- (١٦) العين: ٢ / ١٦٣ (منع)، وينظر: تهذيب اللغة: ٣ / ١٤ (منع).
- (١٧) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار: ٣ / ١٢٨٧ (منع)، ومعجم مقاييس اللغة: ٥ / ٢٧٨ (منع).
- (١٨) الأصول: ١٩٠.
- (١٩) الشاهد وأصول النحو: ٢٨٩.
- (٢٠) ظاهرة المنع في النحو العربيّ (رسالة

- (١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٢٣.
- (٢) شرح (المعتزلي): ١ / ٤٥، مقدمة الشريف الرضي.
- (٤) التبصرة والتذكرة، تح: د. فتحي أحمد مصطفى: ١ / ٤٥٢.
- (٥) نهج البلاغة: ٣٩٦، وينظر: شرح (المعتزلي): ١٣ / ٣١٣.
- (٦) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة، د. علي عبد الفتاح محيي: ٣٦٠، والأساليب الإنشائية غير الطلبية في نهج البلاغة، حسين علي محمد (رسالة ماجستير مخطوطة): ٢٥.
- (٧) الكتاب: ٤ / ٢٧٧.
- (٨) تهذيب اللغة، الأزهري، تح: محمد عوض مرعب: ٥ / ٢٢٧ (هج)، ويُنظر: لسان العرب: ٢ / ٣٨٧ (هجج).
- (٩) يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي: ٣ / ٤٢٠ (فدقد).
- (١٠) نهج البلاغة: ٦٨١، وينظر: شرح (المعتزلي): ١٩ / ١٠٦، ويُنظر: أبنية المبالغة وأنماطها في نهج البلاغة، دراسة صرفية نحوية دلالية، حيدر هادي خلخال: ٨٨، والخطيب هو صعصعة بن صوحان العبدي أبو عمر، أو أبو طلحة، من أهل الكوفة، كان مسلمًا في عهد النبي محمد (ﷺ)، ولم يرّه، وشهد مع الإمام علي (عليه السلام) صفين وكان أميرًا على كردوس، وكان خطيبًا فصيحًا، توفي في حدود سنة (٦٠ هـ)، ينظر:



- ماجستير مخطوطة): ١٥. (٤١) شرح جمل الزجاجي: ١ / ٣٨٠.
- (٢١) كتاب سيويه: ١ / ٢٥. (٤٢) ينظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها،
- (٢٢) ينظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو والعربي، د. عبد العال سالم مكرم: ٣٨٠.
- (٢٣) ينظر: ظاهرة المنع في النحو العربي: ٢٩-٤٦.
- (٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠-٦٢. (٢٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤-٦٥.
- (٢٦) الخصائص: ١ / ٣٩١-٣٩٤. (٢٧) الأصول في النحو: ١ / ٨٨.
- (٢٨) همع الهوامع: ١ / ٤٣١. (٢٩) كتاب سيويه: ٢ / ٣٦٣-٣٦٤.
- (٣٠) المقتضب: ٣ / ١٣٠. (٣١) ارتشاف الضرب: ٣ / ١١٤٠.
- (٣٢) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ١ / ١٤٠، مغني اللبيب: ٥٨٤، وهمع الهوامع: ٣٧٥ / ١.
- (٣٣) ينظر: الأصول في النحو: ١ / ٦٤، وشرح الرضي على الكافية: ١ / ٢٣٧، والمقرب: ١ / ٨٣.
- (٣٤) تجديد النحو، د. شوقي ضيف: ٢٥٨. (٣٥) ينظر: إعراب الجمل وأشبه الجمل، د. فخر الدين قباوة: ٨١.
- (٣٦) شرح الرضي على الكافية: ١ / ٢٣٧. (٣٧) معاني القرآن: ١ / ٢٤.
- (٣٨) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٨٢. (٣٩) ينظر: ارتشاف الضرب: ٣ / ١١٦٧، وهمع الهوامع: ١ / ٤١٨.
- (٤٠) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢ / ١٤٣.
- (٤١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢ / ١٤٣.
- (٤٢) ينظر: شرح التسهيل: ١ / ٣٦٧، وشرح الرضي على الكافية: ٢ / ١٤٣، وهمع الهوامع: ١ / ٤١٧.
- (٤٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢ / ١٤٣، التذيل والتكميل: ٩ / ١٨٩، وهمع الهوامع: ٢ / ٣٢٦.
- (٤٤) ينظر: شرح التسهيل: ١ / ٣٦٧، وشرح الرضي على الكافية: ٢ / ١٤٣، التذيل والتكميل: ٩ / ١٨٩، وهمع الهوامع: ٢ / ٣٢٦.
- (٤٥) ينظر: شرح التسهيل: ١ / ٣٤٤، ٣٦٧-٣٦٨.
- (٤٦) ينظر: ارتشاف الضرب: ٣ / ١١٦٧.
- (٤٧) ينظر: شرح النهج (المعتزلي): ١٦ / ١١٢.
- (٤٨) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢ / ١٤٣.
- (٤٩) البحر المحيط: ٣ / ٦٥٤، وينظر: ارتشاف الضرب: ٣ / ١١٦٧.
- (٥٠) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢ / ١٤٣، والدر المصون: ٤ / ٦٠٨، واللباب في علوم الكتاب: ٨ / ١١٧، وهمع الهوامع: ١ / ٤١٧.
- (٥١) ينظر: النحويون والقرآن: ٣٩.
- (٥٢) ينظر: شرح (المعتزلي): ١٦ / ١٦٤.
- (٥٣) ينظر: الجنى الداني: ٢٥٥، ومغني اللبيب: ٨١٣، ودلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية: ١١٦.
- (٥٤) ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ١٩٠، وشرح التسهيل: ٤ / ٩٢-٩٣، وارتشاف الضرب: ٤ / ١٨٨٧.



- (٥٦) ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ١٩٠، وشرح التسهيل: ٤ / ٩٢، وارتشاف الضرب: ابن عقيل: ٢ / ٢٨.
- (٦٤) ينظر: ارتشاف الضرب: ٢ / ٢٠٩٧، وشرح (٦٥) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ١ / ٢٧٥.
- (٦٦) ينظر: ارتشاف الضرب: ٤ / ٢٠٩٧.
- (٦٧) ينظر: همع الهوامع: ١ / ٥٣٧.
- (٦٨) شواهد التوضيح: ١٨٣، وينظر: شرح الكافية الشافية: ٢ / ٥٤٥.
- (٦٩) صحيح البخاري: ٥ / ٨٠. (٣٩٩٢)، وينظر: شواهد التوضيح: ١٨٣.
- (٧٠) ينظر: شواهد التوضيح: ١٨٣، وخزانة الأدب: ٣ / ٥٧، والبيت في شعره، حققه وقدم له: د. يحيى الجبوري: ١٤٠.
- (٧١) ينظر: شرح التسهيل: ٢ / ٧٧، وخزانة الأدب: ٣ / ٥٦-٥٧، والبيت في ديوانه، جمعه وحقّقه: أنوار محمود الصالحي، ود. أحمد هاشم السامرائي: ١٦٣.
- (٧٢) ينظر: ارتشاف الضرب: ٤ / ٢٠٩٩، وهمع الهوامع: ١ / ٥٣٦.
- (٧٣) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢ / ٥٤٥.
- (٧٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤ / ١٥١.
- (٧٥) ينظر: البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق ودراسة: د. عياد بن عبيد الشيتي: ١ / ٤٣٢.
- (٧٦) ينظر: تحليل الشواهد: ٤٣١.
- (٧٧) ينظر: المساعد: ١ / ٣٥٥.
- (٧٨) ينظر: شفاء العليل: ١ / ٣٩٠-٣٩١، وشرح التصريح: ١ / ٣٦٠-٣٦١، وهمع الهوامع: ١ / ٥٣٧.
- (٥٦) ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ١٩٠، وشرح التسهيل: ٤ / ٩٢، وارتشاف الضرب: ٤ / ١٨٧٨، وشفاء العليل في إيضاح التسهيل، السلسلي، دراسة وتحقيق: د. الشريف عبد الله علي الحسيني: ٣ / ٩٦٧، ولم أجد رأي المبرد في كتابه المطبوع.
- (٥٧) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ١٠٥، والزمن واللغة، د. مالك يوسف المطلبي: ٨٠-٨١.
- (٥٨) شرح (المعتزلي): ٢ / ٢٦٥.
- (٥٩) ينظر: شرح (الموسوي): ١ / ٢٨٣.
- (٦٠) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن وهو ممن أسلم في حياة النبي (ﷺ) ولم يره، ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، قال ابن أبي الحديد: وأقرّ علي (عليه السلام) شريحاً على القضاء مع مخالفته له في مسائل كثيرة في الفقه مذكورة في كتب الفقهاء، وسئل شريح عن الحجّاج الثقفي: أكان مؤمناً؟ فقال: نعم، بالطاغوت، كافراً بالله تعالى، واستعفى في أيام الحجّاج، فأعفاه سنة (٧٧هـ)، له باع في الأدب والشعر. وعمّر طويلاً وتوفي سنة (٧٨هـ). ينظر: الطبقات الكبرى: ١٨٢-١٩٤، وشرح (المعتزلي): ١٤ / ٢٨، والأعلام: ٣ / ١٦١.
- (٦١) شرح (المعتزلي): ٤ / ٢٧.
- (٦٢) المصدر نفسه: ١ / ٣٠٣.
- (٦٣) المصدر نفسه: ١ / ٢٧٢.



أ. د. رحيم جبر أحمد الحسنواوي / م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني

- (٧٩) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ١ / ٣٠١ - ٤ / ١٢٣، والإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٣٠٢، وتخليص الشواهد: ٤٣١، وخزانة الأدب: ٥٦ - ٥٧.
- (٨٠) ينظر: تخليص الشواهد: ٤٣١، وخزانة الأدب: ٣ / ٥٦ - ٥٧.
- (٨١) شرح (المعتزلي): ٢ / ١٧٤.
- (٨٢) ينظر: منهاج البراعة (الخوئي): ٤ / ٥١.
- (٨٣) معاني القرآن: ١ / ٢٤، والآية: ٢٧ من سورة يوسف.
- (٨٤) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٨٢.
- (٨٥) المقتضب: ٤ / ١٢٣.
- (٨٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٨٩.
- (٨٧) ينظر: الأصول في النحو: ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥.
- (٨٨) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وآخرين: ١ / ٢٥٠.
- (٨٩) ينظر: الكشف: ١ / ٥٤٧.
- (٩٠) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٥٢، وشرح المفصل: ٢ / ٦٧، وهمع الهوامع: ٢ / ٣٢٦، وأثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، د. عبد العال سالم مكرم: ٥٩.
- (٩١) ينظر: المقتضب: ٤ / ١٢٣، وعلل النحو: ٥٦٤، والإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٥٤، واللباب في علل البناء والإعراب: ١ / ٢٩٣، والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، العكبري، تحقيق ودراسة: د. عبد الرحمن سليمان العثيمين: ٣٨٧.
- (٩٢) ينظر: معاني القرآن: ١ / ٢٦٣، والمقتضب: ٢٢٩، ومغني اللبيب: ٢٢٩.
- (٩٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٥٢، وشرح المفصل: ٢ / ٦٧.
- (٩٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٥٢، ومغني اللبيب: ٢٢٩.
- (٩٥) ينظر: ظاهرة المنع: ١٤١.
- (٩٦) معاني القرآن: ١ / ٢٦٣.
- (٩٧) جامع البيان: ٧ / ٢٩٥.
- (٩٨) ينظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: تح: عبد السلام محمد هارون: ١ / ٣٧ - ٣٨.
- (٩٩) تهذيب اللغة: ٤ / ١٣٦ (حصر)، وينظر: ظاهرة المنع: ١٤١.
- (١٠٠) إعراب القراءات السبع وعللها، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين: ٤٤٢ - ٥٤١ / ٢.
- (١٠١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٥٢.
- (١٠٢) ينظر: شرح التسهيل: ٢ / ٣٧١. والبيت في: ديوانه: ٤٧، والدعص: الكتيب الصغير من الرمل المتجمع: ينظر: لسان العرب: ٧ / ٣٥ (دعص)، الغيظ: مركب الهودج وهو مُشرف. ينظر: لسان العرب: ٧ / ٣٦١ (غبط)، المذأب: الموسع، أي له فرجة أو ذؤابة. ينظر: لسان العرب: ١ / ٣٨٠ (ذأب).
- (١٠٣) مجمع الأمثال، الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢ / ٨٠.



- (١٠٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٨٠. والتبيين عن مذاهب النحويين: ٣٨٩.
- (١٠٥) ينظر: شرح التسهيل: ٢ / ٣٧١، وهمع الهوامع: ٢ / ٣٢٦، والنحويون والقرآن: ٤٣ - ٤٤.
- (١٠٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٥٤. (١١٨) النحويون والقرآن: ٤٥.
- (١٠٧) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٥٣، وشرح المفصل: ٢ / ٦٧.
- (١٠٨) والتبيين عن مذاهب النحويين: ٣٨٨. (١٠٩) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣.
- (١١٠) التذييل والتكميل: ٩ / ١٨٩، وينظر: همع الهوامع: ٢ / ٣٢٦، والنحو الوافي: ٢ / ٣٩٩.
- (١١١) ينظر: توضيح المقاصد: ٢ / ٧٢٤. (١١٢) ينظر: الدر المصون: ٤ / ٦٦.
- (١١٣) ينظر: المساعد: ٢ / ٤٧. (١١٤) ينظر: شرح الاشموني: ٢ / ٤١.
- (١١٥) ينظر: النحو الوافي: ٢ / ٣٩٩، ونظرية النحو القرآني: ١٦٦، والنحويون والقرآن: ٤٥.
- (١١٦) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٢٥٤، والتبيين عن مذاهب النحويين: ١٦٦. (١٢١) ينظر: نظرية النحو القرآني: ١٦٦.
- (١٢٢) شرح (المعتزلي): ٢ / ٢٨٤، والفوت: (السبق إلى الشيء دون الائتمار). معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٤٥٧ (فوت).
- (١٢٣) ينظر: شرح (الموسوي): ١ / ٢٩٦. (١٢٤) ينظر: منهاج البراعة (الخوئي): ٤ / ١٤٣، وفي ظلال نهج البلاغة: ١ / ٢٤٠، وشرح (الموسوي): ١ / ٢٩٦.
- (١٢٥) شرح (المعتزلي): ١٠ / ١٦٣. (١٢٦) ينظر: الكتاب: ٢ / ١٢٢، والنحو الوافي: ٢ / ٣٦٤.
- (١٢٧) شرح (المعتزلي): ٦ / ٣٨٧. (١٢٨) شرح (المعتزلي): ١٣ / ٢١٢.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ١، ١٩٩٨ م.
٢. الأصول في النحو، ابن السَّرَّاج (ت ٣١٦هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٣، ١٩٩٦ م.
٣. الأصول، تمام حسان، علم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
٤. إعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، ط ٥، ١٩٨٩ م.
٥. إعراب القراءات السبع وعللها، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.
٦. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦ م)، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
٧. الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر، ط ٤، ١٩٦١ م.
٨. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
٩. البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق ودراسة: د. عياد بن عبيد الثبيتي.
١٠. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين

أ. د. رحيم جبر أحمد الحسنواوي / م. د. حيدر هادي خلخال الشيباني

- والكوفيين، العكبري، تحقيق ودراسة: عبد الرحمن العثيمين، ١٩٧٦ م.
١١. تجديد النحو، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٦، ٢٠١٣ م.
 ١٢. تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، ابن هشام، تحقيق د. عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٨٩ م.
 ١٣. تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
 ١٤. الجنى الداني في حروف المعاني، المؤلف: المرادي، المحقق: د فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٢ م.
 ١٥. الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي
 ١٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٤، ١٩٩٧ م.
 ١٧. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجّار، المكتبة العلمية - مصر (د. ت).
 ١٨. دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية. دراسة نقدية للقول بالحذف والتقدير، علي عبد الفتاح محيي الشمري، (أطروحة دكتوراه)، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠٠٦ م.
 ١٩. الزمن واللغة، د. مالك المطلبي، الهياة المصرية للكتاب، ١٩٨٦ م.



٢٠. الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديشي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٤م.
٢١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية- مصر، ١٤٤١، ١٩٦٤م.
٢٢. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، نور الدين الأشموني (ت ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
٢٣. شرح التسهيل، جمال الدين ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، دار هجر- القاهرة، ط ١، ١٩٩٠م.
٢٤. شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
٢٥. شرح الرضي على الكافية، الرضي الأسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي، ط ٢، ١٩٩٦م.
٢٦. شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات ابن الأنباري: تح: عبد السلام محمد دار المعارف، ط ٥ (د. ت).
٢٧. شرح الكافية الشافية، ابن مالك المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية
- الشرعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط ١ (د. ت).
٢٨. شرح المفصل، موفق الدين ابن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د. ت).
٢٩. شرح جمل الزجاجي الشرح الكبير، ابن عصفور، تح: د. صاحب أو جناح. ٣٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل- بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
٣١. شرح نهج البلاغة، السيد عباس الموسوي، دار الرسول الأكرم (عليه السلام)، دار المحجة البيضاء- بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٣٢. شفاء العليل في إيضاح التسهيل، السلسيلي، دراسة وتحقيق: د. الشريف عبد الله علي الحسيني، المكتبة الفبصلية، السعودية، ط ١، ١٩٨٦م.
٣٣. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك، تح: د. طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٣هـ.
٣٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين- بيروت، ط ٤- ١٩٨٧م.
٣٥. الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
٣٦. ظاهرة المنع في النحو العربي، مازن عبد الرسول الزيدي (رسالة ماجستير)، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ٢٠٠١م.



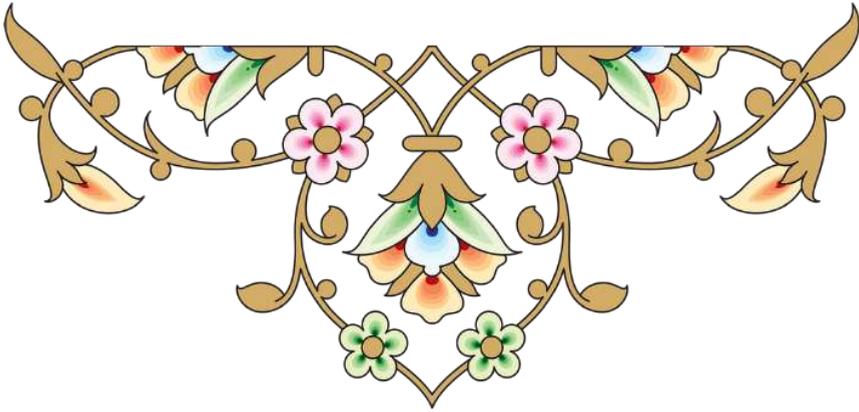
٣٧. العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د. ت).
٣٨. فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣م.
٣٩. في أصول النحو، سعيد الأفغاني، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٠. في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين- بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.
٤١. الكتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط٣، ١٩٨٨م.
٤٢. اللباب في علل البناء والإعراب، المؤلف: أبو البقاء العكبري تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر- دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
٤٣. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط١ ١٩٩٨م.
٤٤. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان (ت ٢٠١١م)، عالم الكتب- ط١، ٢٠٠٦م.
٤٥. مجمع الأمثال، الميداني (ت ٥١٨هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت (د. ت).
٤٦. المحتسب في تعيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنبي، تح: علي النجدي، ود. عبد الحلیم النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة، ١٩٩٤م.
٤٧. المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، تحقيق وتعليق: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، السعودية، ط٢، ٢٠٠١م.
٤٨. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل، دار المصرية- القاهرة (د. ت).
٤٩. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (ت ٣١١هـ) تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٥٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٩٧٩م.
٥١. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر- دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
٥٢. المقتضب، المرّد، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م.
٥٣. المقرّب، ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تح: أحمد عبد الستار الجواربي، وعبد الله الجبوري، ط١، ١٩٧٢م.
٥٤. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوثي (ت ١٣٢٤هـ)، تصحيح: إبراهيم الميانجي، المكتبة الإسلامية- طهران، ط٤، ١٤٠٠هـ.
٥٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي، تح: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، قم، ١٤٠٦هـ.





الاستشهاد النحوي بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة (دراسة في شواهد الأفعال).....

٥٦. النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة، حسين ناصح، دار صفاء، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
٥٩. نظرية النحو القرآني، أحمد مكي الأنصاري (د. ت).
١٩٧٨م، دار المعارف- القاهرة، ط٣ (د. ت).
٥٧. النحويون والقرآن، د. خليل بنيان الحسون، مكتبة الرسالة، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.
٦٠. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية- مصر ١٩٩٢م.
٥٨. نظرية المعنى في الدراسات النحوية، د. كريم



السنة الرابعة- العدد التاسع- ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م



الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام)

**Man in the Ideology of Imam Ali
(peace be upon him)**

أ.م.د. فلاح حسن عباس
كلية الآداب - جامعة ذي قار

**Asst. Prof. Dr. Falah Hassan Abbas
University of Dhi Qar
College of Arts**



ملخص البحث

يدرس هذا البحث دور الإمام علي (عليه السلام) في بناء الإنسان بوصفه النواة الأساسية للمجتمع بالنظر إلى سيرته (عليه السلام)، وأقواله التي جسدها عملياً في تعامله مع الآخر، وسعيه المستمر في إرساء القيم الأخلاقية البناءة التي تنسجم ومبادئ حقوق الإنسان واحترام الرأي الآخر، وكذلك الإفادة من تراث الإمام (عليه السلام) في بناء المجتمع الإنساني الصالح، ونشر روح الألفة والمحبة والتسامح، والحوار الذي تفتقده المجتمعات الإنسانية في أماكن كثيرة من العالم في الزمن المعاصر، الذي تعاني فيه المجتمعات لاسيما الإسلامية من التشتت والتبعية والخنوع للأنظمة الإمبريالية المهيمنة على العالم بطرقها المختلفة، وسيطرتها على الاقتصاد بسبب امتلاكها للتكنولوجيا المتقدمة التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، وكذلك يسلّط الباحث الضوء على القضايا الإنسانية والاجتماعية في أقوال الإمام (عليه السلام)، وأثرها في المجتمع، ومناقشتها، ومقارنتها بما وصلت إليه المجتمعات البشرية اليوم قبال تغيير منظومة القيم لدى كثير من المجتمعات؛ لاسيما الغربية التي تُسمّى بالعالم المتحضر أو المتمدّن (الديمقراطي الليبرالي).



Abstract

This research deals with the role of Imam Ali in building the human being as the nucleus of society depending on his biography and his words which embodied in practical way in his dealings with the other and his continuous demarche to establish moral values that are harmonize with the principles of human rights and respect of the other opinion.

As well as benefiting of Imam Ali's heritage (peace be upon him) in building a good humanitarian society and spreading the spirit of love, forgiveness and dialogue that human societies lack in many parts of the world in contemporary times, especially Islamic societies, suffer from fragmentation, subordination and submission to the imperialist regimes dominating on the world in its various ways, and its control over the economy because of its advanced technology that transformed the world into a small village.

The researcher also sheds light on the humanitarian and social issues in the words of Imam Ali (peace be upon him) and their impact in the society, discussing and comparing them with what the human societies have reached today, in addition to the change in the values system of many societies, especially the western ones (the Liberal Democratic World).



المقدمة

قضاياهم المختلفة، وسعيه (عليه السلام) لتحرير الإنسان من جميع القيود التي تحدّد تحرره، وتكبّله وتحول دون عيشه بكرامة.

أمّا المبحث الثاني فجاء ليتكلم عن الآخر والتعايش السلمي، الذي له الأثر الكبير في تكامل الحياة الإنسانية وتفاعل المجتمعات إيجابياً بسبب التعدد والتنوع، وأنّ التنوع الإنساني المستند على أساس الشعوب والقبائل هو حقيقة خلقية غير مصطنعة، وليس لمجموعة بشرية أفضلية على أخرى بسبب اللون والعرق واللغة.

بينما ناقش المبحث الثالث التواضع وسعة الصدر، وهما من السجايا الإنسانية والأخلاقية التي يتصف بها الإمام (عليه السلام).

وتكلّم الباحث في المبحث الرابع عن عدالة الإمام (عليه السلام)، وتأكيده عليها؛ لأهميتها في شيوع الثقة

يتكوّن هذا البحث من عدّة مباحث ناقش الباحث فيها عدّة مواضيع حول القيم الإنسانية المتجسدة في فكر الإمام علي (عليه السلام) الذي يُعد امتداداً لفكر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي جاء بالرسالة الإنسانية الأخلاقية لنشر قيم العدالة والمساواة والتسامح والحوار والتعايش السلمي مع الآخر، والابتعاد عن العنف والاعتداء على حقوق الإنسان، وناقش الباحث أيضاً قضايا أخرى مرتبطة بالموضوع.

درس الباحث في المبحث الأول موضوعاً عن التحرر الفكري والإنساني الذي تميّز به الإمام (عليه السلام)، وتكلّم عن إنسانية الإنسان، وأهميتها في بناء المجتمع الصالح المستند على عماد العدالة والمساواة بين أفرادها، وبيّن وقوف الإمام (عليه السلام) مع المظلومين والمحرومين في



والاطمئنان، فمع العدالة والمساواة لا يشعر الإنسان بإهدار حقة ولا تفضيل غيره عليه عند الإمام (عليه السلام) بسبب القرابة أو العلاقات الاجتماعية الأخرى.

وتناول المبحث الخامس القضايا الاقتصادية والاجتماعية وأهمية التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وبه تزدهر الحياة فالإنسان أخ الإنسان والعدالة الاجتماعية أساس مهم لتحقيق مجتمع متوازن، وهي من المسائل التي أكد عليها الإمام (عليه السلام).

ثم الخاتمة التي لخصّ الباحث فيها أهم النتائج التي توصل إليها، كما ذكر بعض المقترحات.

المبحث الأول

التحرر الفكري والإنساني

إنسانية الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) من القضايا الأساسية التي لها دور كبير في بناء المجتمع

الإنساني الصالح القائم على أسس الحياة العادلة والمساواة بين أفرادها، فعند اطلاعنا على أقواله نرى بشكل جلي وقوف الإمام لنصرة المظلومين والمستضعفين، ومما يدل

على ذلك قوله: «الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ»^(١)

وهو تجسيد لجميع المعاني التي دعت إليها مبادئ حقوق الإنسان ونصرة الفقراء والضعفاء في هذا العالم، وما هو حجم السعادة التي تعترى الضعيف عندما يجد من ينصره ويقف معه في جميع قضاياها، ويعيد

إليه حقه المغتصب من لدن القوى الظالمة، وكيف تنعكس تلك السعادة على المجتمع لتعيد إليه الثقة بنفسه

ومحيطه الاجتماعي، فالذليل عند علي (عليه السلام) عزيز، والقوي الظالم ضعيف؛ لاغتصابه حق الآخر الضعيف، وحالة الضعف التي تعترى القوي



الاقصادية والسيطرة على منابع الربح الوفير أصبح هدفًا إستراتيجيًا للكثير من دول العالم المتقدم، والسيطرة على الدول الضعيفة وعلى إمكانياتها الاقتصادية تعد من الاستراتيجيات المهمة لدى الدول القوية، فدول العالم اليوم في تسابق مستمر نحو التسلح بشتى أنواعه؛ مؤديًا إلى نشر القلق والهلع وزعزعة الثقة بين المجتمعات الإنسانية، وإذا تأملنا بشكل واقعي لأنظمة الدول المتقدمة وبالأخص الولايات المتحدة نجد أنّ لديها وجهان: الوجه الإيجابي المشرق الذي يعكس صورة التقدم العلمي والحضاري والتكنولوجي مع قوانينها التي تؤكد على حماية حقوق الإنسان وحرية وتمتعه بالديمقراطية الليبرالية- وما للإعلام من دور في بيان ذلك وإظهار أمريكا بالوجه الحسن- والوجه الآخر هو الوجه السلبي.

الظالم عند استرجاع الحق منه؛ تؤدي إلى شعوره بالضعف والخنوع، وعدم تعاليه على الآخر الضعيف^(٢).

سعى الإمام (عليه السلام) وبشكل واقعي إلى تحرير الإنسان، وحرية الإنسان عنده هي ليست الحرية الإباحية الرعناء، إنّما هي حرية مقترنة بالشعور بالمسؤولية على كافة الأصعدة، وهكذا يتوسّع معنى الشعور بالمسؤولية في مدارك الناس^(٣).

وفي الوقت الذي يشير الإعلام فيه بواسطة وسائله المتطورة والكثيرة إلى أنّ دول العالم المتقدم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية تحث الخطى نحو نشر حقوق الإنسان، وتحرير الإنسان من جميع القيود التي تحول دون عيشه بكرامة، نشاهدها وبصورة واضحة تسعى لفرض سيطرتها وهيمتها على العالم ولاسيما دول العالم الثالث. فالمصالح



يقول السناتور الأمريكي الأسبق وليم فولبرايت: «لقد دأبنا في سنوات قوتنا العظيمة، على أن نحير العالم، إذ نقدم له في وقت ما الوجه المشرق من وجهي أمريكا، ثم ندير له الوجه الآخر، وقد نقدم له الوجهين في وقت واحد. وتنظر شعوب كثيرة في مختلف أنحاء العالم إلى أمريكا على أنها قادرة على التسامح وبعد النظر، ولكنها قادرة أيضًا على أن تضمّر سوء النية، وأن تكون وضيعة، وينجم عن ذلك عجز عن توقع أفعال أمريكا لدى الناس»^(٤).

ويبدو جليًا تفكك النسيج الاجتماعي في الولايات المتحدة، وتراجع بمستويات الجماعة لصالح الأنانية والفردية واللامبالاة، والجسم الاقتصادي تعرّض للتفكك أيضًا؛ بسبب عدم التكافؤ بين طبقات المجتمع، واهتمام الأفراد بمصالحهم الفردية والذاتية على حساب

الآخرين، والاهتمام بالوسائل الاستهلاكية على حساب الغايات الإنسانية نتج عنه تراجع الضمير الإنساني. ويبدو أنّ الولايات المتحدة تهتم بتأمين مصالحها في العالم بالدرجة الأولى، وكل ما تدّعيه حول إيمانها بمبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية ومبادئ الحرية إنما هو لتأمين مصالحها بغية نشر هيمنتها ونفوذها على العالم^(٥).

إنّ الهدف الواضح للولايات المتحدة هو الهيمنة على العالم؛ لذلك نراها غير مترددة في فرض الاستبداد في أي مكان منه؛ لتحقيق غاياتها ومصالحها في الوقت الذي تدّعي فيه سعيها لتحقيق الحرية للشعوب، وأنها لا تبالي بحقوق الإنسان بغية تحقيق مصالح شركاتها العملاقة متعددة الجنسية، فهي ليست مع مبادئ أخلاقية أو إنسانية أو دينية وإنّما تسعى لتحقيق الأرباح لها،



في الحياة الإنسانية والوجود الكوني، فالتنافس أو الصراع بين المختلفين لا يهدف إلى إفناء الآخر أو إبادة، بل يهدف إلى إغنائه. وهذه حكمة الله سبحانه، فالتعدد والتنوع في المجتمعات يؤدي إلى نتائج إيجابية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٧). وهنا نرى تجسيداً واضحاً لاتحاد

الإنسانية من حيث المصدر ووحدة منشأها، ويلغي كل ترتيب زائف من القيم والمفاهيم والممارسات التي يشوبها النقص نتيجة الفهم الخاطئ في التعامل مع الآخر المختلف، بعد تقييم الإنسان وتصنيفه حسب العرق أو اللون أو الدم. فالخطاب هنا موجه لكل الناس دون استثناء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ والخالق واحد يؤكد وحدة الإنسانية من النوع والهوية

وتسعى لربط الآخرين بها لمصالحها الاستراتيجية؛ لذلك وقفت إلى جانب الحكومات الشمولية المستبدة والظالمة لشعوبها، والمصادرة لحقوقهم سواء في منطقة الشرق الأوسط، أو أمريكا اللاتينية أو في آسيا؛ لأن تلك الأنظمة - المستبدة - تؤمن مصالحها، وتنفذ استراتيجياتها طويلة الأمد^(٦).

المبحث الثاني

الآخر والتعايش السلمي

يبدو أن الإنسان في الزمن المعاصر وفي جميع دول العالم يعاني من أفكار وأيديولوجيات مختلفة زعزعت ثقته بأخيه الإنسان المختلف باللون أو العرق أو الدين أو الطائفة أو اللغة وغيرها، وأزمة الثقة في زمننا هذا أخذت تعصف بالمجتمعات البشرية وتهدد استقرارها، ففي الحقيقة أن ظاهرة تعايش الإنسان مع أخيه الإنسان المختلف؛ تؤدّي إلى التكامل

والجوهر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾. وهنا لا توجد قيمة لكل الاعتبارات الزائفة التي وضعها الإنسان التي تصادر هذه الوحدة التعددية للإنسانية عن طريق مصادرة استحقاق هذا الانتماء الإنساني المشترك في التكافؤ والمساواة استناداً إلى التنوع والتعدد في اللون والشكل والعرق، فالخالق جعل خلقه ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾.

إنّ التنوع الإنساني القائم على أساس الشعوب والقبايل هو حقيقة خلقية غير زائفة وهو إرادة الخالق (عز وجل) ولم يحدث صدفة أو بسبب طفرة وراثية، وهذا التنوع الإنساني القائم على أساس النسب أو الشكل لم يأت للوجود بسبب الاعتبارات الإنسانية المتغيرة عبر المراحل الزمنية والتطور؛ بل يستمد وجوده من الخالق الموجد لهذا الجعل التكويني، ووفق ذلك لا تمتلك أيّ جهة حق إلغاء هذا التنوع والتعدد في الخلق،

وهذا يهدينا إلى عدم الاعتراف بخصوصية أي جماعة تختلف في العرق أو اللون أو اللغة فضلاً عن الخصائص التي يشترك بها بني البشر؛ لأنّ هذه الاختلافات طبيعية بذاتها فهي تجسّد إرادة الخالق الجاعل لهذا التنوع^(٨) قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾^(٩).

إنّ الفاعلية الإنسانية كعلة لهذا التنوع والتعدد ذلك إنّ الكون لا يمكنه الحركة والتفاعل والإبداع إلاّ وفق آليات الاختلاف الذي يُنتج التنوع والتعدد بعكس التشابه والتماثل الذي يقضي على إمكانية الحركة والتدافع الكوني والوجودي المطلوب لنشوء الحياة. قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ



إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٠﴾.

وثقافياً، ومن هنا يتبين ما للتعارف من أهمية كبيرة في نشر بذور المحبة والود والتعايش السلمي بين بني البشر، والتعارف ناتج عن التنوع والتعدد، ولولا التنوع لما كان التعارف، ولا قيمة له ولا وجود إلا مع هذا الجعل التكويني، ومن ثماره تعايش الإنسان مع أخيه الإنسان بسلام ومحبة وتبادل الطاقات والخبرات وتلبية جميع احتياجات الإنسان (١١).

ومما جاء في الوثيقة الإنسانية الجامعة لكل المعاني الأخلاقية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشر النخعي عندما أرسله لولاية مصر: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمُحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَحُّ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ...» (١٢).

وهنا الرسالة الحقيقية للإنسان

وبناءً على ذلك فإن الاعتراف بالتعدد والتنوع يقودنا إلى احترام نتائجه، ومنها احترام الخصوصيات الذاتية للأفراد والجماعات البشرية الناتج عنها أشكالاً متعددة في التعبير عن ذاتها ثقافياً وحضارياً ومعرفياً، وهو يعبر عن خصوصية الإبداع وتمييزه، ولا يعني الصراع والخلاف لإثبات من هو الأجدر والأفضل في الوجود الإنساني، إن التعارف أمراً إيجابياً في بناء الإنسانية الصالحة، وله دور كبير لحل إشكالية الخلاف، ووقف الصراع بين الناس ﴿لتعارفوا﴾ فالتعارف مبدأ صالح يجمع الناس على الود والتسامح، وبالإمكان توظيفه لجعل الخلاف إيجابياً، وجعل التعدد والتنوع نعمة وليس نقمة عن طريق الاعتراف بالآخر، واحترام خصوصياته ليتحقق بذلك تعايشاً سلمياً حضارياً



نظير الحاكم في الإنسانية، والاختلاف بالعرق واللغة والدين والفكر ليس مسوِّغاً للحاكم ظلّمه للرعية.

لقد أكّدها الإمام (عليه السلام) منذ ذلك الوقت؛ لتكون منهجاً في دولته العادلة بعمقها الحضاري والإنساني

والفكري، وهو عكس ما نلاحظه اليوم في الكثير من الدول لاسيّما بلدان العالم المتقدم التي تعاني

تمزّقا في نسيجها الاجتماعي، وتجسد ذلك عن طريق ظهور كثير من الأفكار التي روّجت لفكرة الصدام

بين الحضارات الإنسانية المختلفة وأبرزها أطروحة صدام الحضارات للكاتب صموئيل هنتنجتون الذي

حكم على أنّ الحضارات قبائل إنسانية كبيرة، وصدام الحضارات هو صراع قبلي على نطاق عالمي،

والفروق الثقافية هي الأساس في التصنيف والتمييز بين بني البشر في الزمن المعاصر، فالهوية الثقافية

الرسالي والمصلح الحقيقي والقائد الذي يشعر لشعور الرعية دون تمييز بينهم، وهو تأسيس لمبادئ حقوق الإنسان التي أصبحت شعارات

وأبواق للكثير من حكام العالم ولكن دون تطبيق.

فالرحمة والمحبة للرعية واللطف بهم من أسباب النجاح في إدارة الدولة ورقبها على كافة الأصعدة،

ولو وجدت هذه الأسباب بصورة واقعية في العالم اليوم؛ لما شهدت دول العالم نزاعات لأسباب كثيرة

ومنهما، الظلم والتمييز في التعامل مع الشعوب والأقليات العرقية أو الدينية أو المذهبية... الخ. «ولا تكونن

عليهم كالوحش الضاري تغتتم الفرص للإيقاع بهم، والاستيلاء على ما بين أيديهم، حيث الناس تجمعهم وإياك إمّا العقيدة، وإمّا صلة النوع

والمشاعر والمظاهر»^(١٣). وهنا تتجلى الإنسانية للمحكوم



عنه تتحدد بالتضاد مع الآخرين وفي الحروب تترسخ^(١٤). وفي الحقيقة أصبح الإنسان المعاصر يشعر بالمشكلة الاجتماعية أكثر من شعوره بها في المراحل التاريخية السابقة، وأصبح أكثر وعياً، ويتحسس المشكلة بشكل أشد من السابق، وكذلك فهم تعقيداتها بشكل كبير، فالمشكلة الاجتماعية هي من صنع الإنسان كما أثبت التاريخ عن طريق إسقرائه بأن الحياة كلما أخذت بالتطور تزداد مشاكلها وتعقيداتها، وهذا ما نلاحظه في زمننا المعاصر إذ تزايد وتصاعد نسبة المشاكل بشتى أنواعها بسبب التقدم التكنولوجي والأنترنت والإعلام- فالإنسان المعاصر سيطر بشكل كبير على الطبيعة^(١٥)، وهذه السيطرة أدت إلى تغييرات كثيرة في النظام الاجتماعي، وهذا ما تعانيه كثير من المجتمعات لاسيما مجتمعات العالم المتقدم، فضلاً

عن وقوع مجتمعات العالم الثالث، أو المجتمعات الفقيرة تحت موجات من الغزو الثقافي والفكري والحضاري المفروض بشكل مباشر أو غير مباشر وبطرق مختلفة.

المبحث الثالث

التواضع وسعة الصدر

التواضع سمة بارزة في حياة الإمام (عليه السلام)، وهو فيض من أخلاقه العالية وقيادته الصالحة للمجتمع، فهو القائد والمصلح، كان يرتدي الملابس البسيطة، ويأكل خبز الشعير واللبن، ويرقع ثوبه البالي^(١٦) وهو القائد العادل للمجتمع، المتمكن من أسباب الدولة الاقتصادية وغيرها، وتواضعه نابع من جوهر شخصيته وسجاياها، لا يتبع بذلك إتباع أسلوب متصنع كما يفعله كثير من قادة العالم على اختلاف المراحل الزمنية.

فإحساسه بالرعية ومعاناتها



وعدالته الواقعية؛ جعله يعيش واقع الحياة الاجتماعية وما يترتب عليها من إجراءات تستوجب من القيادة العادلة اتخاذها؛ بوصفها جزءاً من ذلك المجتمع تتأثر بما يتأثر به.

وهنا يستحسن الإمام تواضع الأغنياء تجاه الفقراء بقوله: «مَا أَحْسَنَ تَوَاضَعِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيَهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالًا عَلَى اللَّهِ»^(١٧)، وتيه الفقراء أحسن: «لأنّ تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله، فإنّ به بذلك قد أمت طمعاً ومحاخوفاً؛ وصابر في بأسٍ شديد، ولا شيء من هذا في تواضع الغني»^(١٨).

وقوله (عليه السلام): «أَلَّةُ الرَّيَاسَةِ سَعَةٌ الصَّدر»^(١٩) فيه بيان واضح للذين يتصدّون لإدارة الدول والمؤسسات والموظفين كل حسب مسؤولياته، فهنا يؤكد الإمام (عليه السلام) على التحلي

بمكارم الأخلاق، والسماح للرعية بالتعبير عن آرائهم، واحترام وجهات النظر، وتقبّل النقد واحتواء الآخرين، واستيعابهم ومعالجة الأمور بتقديم المقترحات والحلول، وهو أسلوب حضاري ناجح ومهم للقائد ويعكس عمقه الحضاري والثقافي والإنساني والاجتماعي، وبعده المعنوي، وهو دعوة إلى التحلي بالصدق والتسامح والعفو والرحمة والابتعاد عن الغضب والسيطرة على النفس، وعدم إصدار الأحكام على الأشياء في حالة الغضب، وعدم مقابلة الرعيّة بالمثل، فلا يقابل الإساءة بالإساءة؛ بل ينطلق بتعامله مع المسيء من موقع أبوي شامل، وكان يمتلك بعد نظر ويحلل الأمور والمواقف تحليلاً واقعياً سليماً بعيداً عن الأهواء الشخصية والاستبداد بالرأي، فذلك من الأمور المهمة بالنسبة للقائد والمرّبّي الناجح^(٢٠).





لأنّ العباد عباد الله، والمال مال الله، وهم شركاء فيه على قدر الجهد. إنّ الناس سواسية عنده، وكان يرفض سياسة التمييز القومي، والاستعلاء القبلي (القرشي)؛ بوصفها إرادة تحويل تراث النبي (صلى الله عليه وآله) إلى مكاسب خاصّة؛ لأنّ الإسلام دين جاء للناس جميعاً، وهو لا يفرّق بين الناس على أساس عرقي أو قومي، وكان الإمام (عليه السلام) في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) أساس متين من الأسس التي بنى عليها الإسلام وقاعدة (العدل أساس الحكم) من القواعد الأساسية التي سعى لتطبيقها، وتثبيتها؛ ليحقق بذلك العدالة بين الناس في جميع مجالات الحياة لاسيّما المجال الاقتصادي^(٢٢).

يقول عليه السلام: «وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ فَصَدَّقَ مِلَّتَنَا، وَدَخَلَ دِينَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا فَقَدِ اسْتَوْجَبَ حُقُوقَ الْإِسْلَامِ وَحُدُودَهُ،

وقوله عليه السلام: «أَلَا فَالْحَدَرَ الْحَدَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمْ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ»^(٢١) وهنا يحذر الإمام (عليه السلام) المجتمع بشكل صريح بعدم طاعة المتكبرين والمترفعين على المجتمع، وهو بيان لسادة وقادة المجتمع أن يكونوا قريبين من تطلعات مجتمعاتهم، وأن يتحسسوا معاناتهم وآلامهم وهمومهم، ولا يضعون أنفسهم في أبراج عاجيّة، ولا ينظرون إلى الناس من قمم عالية ليستصغروا حجمهم ويقللوا شأنهم.

المبحث الرابع

العدل

سعى أمير المؤمنين (عليه السلام) بشكل واقعي إلى إشاعة العدل والمساواة بين الناس من دون تفریق وتمييز بينهم لأسباب مختلفة، ووقف بمسافة واحدة من الرعيّة، وكان معارضاً لسياسة عمر في التفضيل؛



فَأَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ، وَالْمَالُ مَالُ اللَّهِ؛ يُقَسَّمُ بَيْنَكُمْ بِالسَّوِيَّةِ وَلَا فَضْلَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ وَلِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَحْسَنُ الْجَزَاءِ» (٢٣).

يُعد المنهج العادل في الحكم وتوزيع ثروات بيت المال على الناس بلا فروق وتمييز بينهم على أساس القرابة أو غيرها من الأمور، هو - المنهج - المطبق في عهده؛ لذلك نرى أنّ الإمام (عليه السلام) صادر ما وهبه عثمان من الأموال الكثيرة لطبقة الأرسقراطيين، وأبلغهم في سياسته في توزيع الثروات: «أَيْهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، لِي مَا لَكُمْ وَعَلَيَّ مَا عَلَيْكُمْ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ قَطِينَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ وَكُلُّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ، فَهُوَ مَرْدُودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَإِنَّ الْحَقَّ الْقَدِيمَ لَا يُبْطَلُهُ شَيْءٌ، وَلَوْ وَجَدْتُهُ وَقَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النَّسَاءَ، وَمِثْلِكَ الْإِمَاءَ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْبُلْدَانِ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَنْهُ

الْحَقُّ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ» (٢٤) «أَيْهَا النَّاسُ.. أَلَا يَقُولَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ عَدًّا؛ قَدْ غَمَرْتُمْ الدُّنْيَا فامْتَلَكُوا الْعَقَارَ وَفَجَّرُوا الْأَنْهَارَ وَرَكِبُوا الْخَيْلَ وَاتَّخَذُوا الْوَصَائِفَ الْمُرَقَّعةَ، إِذَا مَا مَنَعْتَهُمْ مَا كَانُوا يُحَوِّضُونَ فِيهِ وَأَصَوْنَهُمْ إِلَى حُقُوقِهِمْ الَّتِي يَعْلَمُونَ: حَرَمْنَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ حُقُوقَنَا! أَلَا وَآيَّتَا رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَرَى أَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَى سِوَاهُ بَصُحْبَتِهِ، فَإِنَّ الْفَضْلَ عَدًّا عِنْدَ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ، وَالْمَالُ مَالُ اللَّهِ، يُقَسَّمُ بَيْنَكُمْ بِالسَّوِيَّةِ وَلَا فَضْلَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ» (٢٥)، وهذا الأمر

زَعَرَ الْمُتَنَفِّذِينَ مِنَ الْمُجْتَمَعِ الَّذِينَ أَسَاؤُوا لَصُورَةِ الْمُسْلِمِ الْحَقِيقِيِّ الْمُمَثَّلَةِ بِالنَّبِيِّ (ﷺ) وَأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ، وَيَبْدُو أَنَّ رَدَةَ فِعْلِ الْمُتَنَفِّذِينَ جَعَلْتَهُمْ يَسَاوِمُونَ الْإِمَامَ (عليه السلام) عَلَى أَنْ يَطِيعُوهُ مُقَابِلَ غَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، فَبِعَثُوا إِلَيْهِ الْوَلِيدَ بْنَ



وكذلك أكد أتباعه مبدأ العدل في توزيع الثروات على الرعية، وبين لهم بأن التقوى والسبق بالإسلام لا تمنح من يتمتع بها امتيازات دنيوية، فالناس سواسية في هذه الدنيا، والله سيجازي من له فضل السبق بالإسلام، وبذلك جسّد الإمام أروع الصور لروح المواطنة الحقيقية بين الرعية.

وذكر ابن الأثير أنّ الشعبي قال: «وجد علي درعاً له عند نصراني فأقبل إلى شريح وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي، فقال النصراني: ماهي إلا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين، فقال شريح لعلي: ألك بينة؟ قال: لا. وهو يضحك فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً، ثم عاد وقال: أشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين قدّمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، ثم

عقبة بن أبي معيط^(٢٦)، فقال للإمام (عليه السلام): «يا أبا الحسن! إنك قد وترتنا جميعاً، ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال أيام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإنّا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام»^(٢٧) فردّ عليهم الإمام (عليه السلام) قائلاً: «فَأَمَّا هَذَا الْفِيءُ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ أَثَرَةٌ، وَقَدْ فَرَعَ اللَّهُ مِنْ قَسَمَتِهِ فَهُوَ مَالُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمُسْلِمُونَ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ بِهِ أَقْرْنَا وَلَهُ أَسْلَمْنَا وَعَهْدُ نَبِينَا بَيْنَ أَظْهَرْنَا فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ فَيَتَوَلَّ كَيْفَ شَاءَ»^(٢٨).

وهذا دلالة حقيقة للقائد العادل الذي لا يميّز بين الرعية والتمسك بالنهج الذي خطّه وسار عليه لإحقاق الحق الذي يؤدّي بدوره إلى ترسيخ الأسس الحقيقية للثقة التي يحتاج إليها الإنسان في عالمنا المعاصر بشكل كبير وبصورة مستمرة،



أسلم واعترف أنّ الدرع سقطت من عليّ عند مسيره إلى صفين»^(٢٩)، هذه القصة تؤكد أيضًا قيادة الإمام (عليه السلام) العادلة والإنسانية، وهذا نموذج رائع للإنسانية في أسلوب التعامل مع الآخر، وعند مقارنة ذلك بما يفعله حكام كثير من البلدان لوجدنا فارق كبير وهوّة واسعة.

وقد ذكر التاريخ أروع الأمثلة والعبر التي تجسد وتعكس عدالة الإمام علي (عليه السلام) مع كافة طبقات المجتمع، ومنها: روي أنّ عقيل أخوا الإمام (عليه السلام)، كان ضريراً أتى إلى الإمام يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت المسلمين زيادة على حقه، وكرر طلبه على علي (عليه السلام)، فأحمى الإمام حديدة على النار، وأدناها منه، ففزع منها عقيل^(٣٠)، فوعظه الإمام (عليه السلام): «يَا عَقِيلُ، أَتَيْتَنِي مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانَهَا لِلْعَبِيهِ، وَتَجَرَّنِي إِلَى نَارٍ سَجَّرَهَا جَبَّارَهَا

لِغَضَبِهِ! أَتَيْتَنِي مِنَ الْأَذَى وَلَا أَتِيَنَّ مِنْ لَطْفِي»^(٣١). ومن المواقف الفريدة التي جسّدتها إنسانيته وعدالته ما روي عنه (عليه السلام)، أنّ واليه على البصرة عثمان بن حنيف دُعي إلى وليمة قوم من أهلها، فذهب إليها، فأرسل إليه الإمام علي (عليه السلام) كتاباً تأديبياً^(٣٢) يجسّد فضائل الإنسانية السامية التي تنادي بها قوانين حقوق الإنسان والعدالة في إدارة الدولة والمؤسسات التابعة لها، ووقوف الحاكم تجاه الرعية من موضع واحد: «أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حُنَيْفٍ: فَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادُبَةٍ؛ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَسْتَحِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوءٌ، وَغَنِيَّهُمْ مَدْعُوءٌ، فَانظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمُقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيَقَنْتَ بِطَيْبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ



تمنّى بعلوم كتاب نهج البلاغة وسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

للإرادة والهوى فهو يحث على الحق في كل زمان ومكان، وفي كل الأحوال عند الرضا، وفي حالة الغضب وعلى الصديق والعدو، فهو يتعامل معهم على أساس العدل والحق: «عليكم بكلمة الحق في الرضا والغضب، وبالعدل على الصديق والعدو»^(٣٦).

وهنا دعوة لإشاعة الحق بين الناس، والتعاون به، والأخذ على يد الظالم السفيف، بسبب استهانتته بحقوق الآخرين فبالحق يقف المظلوم بوجه الظالم، ولإحقاق الحق دور كبير في تغير حالة الفرد والمجتمع من السلب إلى الإيجاب، وبالحق تهاوت حكومات ظالمة كثيرة على المراحل الزمنية المختلفة والتأريخ الإنساني شهد كثير من الثورات التي غيرت من أحوال المجتمعات: «تَعَاطُوا الْحَقَّ بَيْنَكُمْ وَتَعَاوَنُوا بِهِ، وَخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ السَّفِيهِ»^(٣٧) وقوله (عليه السلام): «وَلَا

مَأْمُومٍ إِمَامًا، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ»^(٣٣).

وقوله عليه السلام: «أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْخَصَ حُجَّتَهُ... وَلِيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ»^(٣٤) اتصف الإمام (عليه السلام) بأنبال الصفات وأروعها، كان يوصي بإقامة الحق وكان لا يؤمن بنسبية الحق وفقًا للبيئة والمحيط، والحدود الجغرافية المصطنعة بل كان يؤمن به منهجًا شاملًا لا تحده حدود، والحق عنده لا يخضع



تُضِيعَنَّ حَقَّ أَحْيِكَ اِتِّكَالًا عَلَى مَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ
أَضَعْتَ حَقَّهُ»^(٣٨) فيه حث لعدم
تضييع حقوق الأخوان والأقرباء
مستغلاً بذلك المعرفة والقرابة أو
صلة الرحم.

المبحث الخامس

القضايا الاقتصادية والاجتماعية

يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على
التكافل الاجتماعي بين أفراد
المجتمع البشري، وعلى أن يشعر
أفراده ببعضهم بعضاً، فلا يصح أن
يعيش الغني متنعمًا بالنعمة الوفيرة
تاركًا أخاه الإنسان الفقير يكابد
قساوة الحياة وآلام الحاجة والحرمان.
فقوله (عليه السلام): «فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ
إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
سَائِلُهُمْ عَنِ ذَلِكَ»^(٣٩)، وقال: «ما
رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها
حق مضيع»^(٤٠) فالعدالة الاجتماعية
من القضايا المهمة التي أكد

عليها الإمام علي (عليه السلام)، والتكافل
الاجتماعي أحد أسبابها، فإذا أخذت
الدول بإنشاء مؤسسات عادلة تعنى
بأمور الفقراء والنظر في قضاياهم
الاجتماعية وإيجاد الحلول لهم،
لعاشت المجتمعات البشرية بأمن
اقتصادي ونفسي مستقر، وكذلك
تقل الفوارق الطبقية بين بني البشر،
لكن الذي يحصل - في زمن الحداثة
وما بعدها - أن كثيراً من المجتمعات
الفقيرة يعاني أبنائها من الفقر
والبؤس وتفشي الأمراض المختلفة،
بينما تعيش مجتمعات العالم المتقدم
برخاء اقتصادي، إلا أنها تعاني من
أزمة الثقة ومن ثم عدم الاطمئنان؛
فالإنسان في تلك المجتمعات كأنه
تحول إلى آلة.

والأبناء عن الممارسات عن
حرق ملايين الأطنان من الحنطة
وبعض المواد الغذائية حفاظاً على
الأسعار، وجعل الدول الفقيرة



أيا كان، فموته وفراقه يشعر الآخر بفرغ مكانه، ويحزن لذلك بسبب الإحساس الإيجابي للعلاقات الإنسانية الصالحة وتأثيرها في النفس البشرية على الرغم من اختلاف الرؤى والأفكار، والتأثير الإيجابي في الآخر لا يتم بصورة عفوية أو عن طريق الصدفة، إنما هو بسبب عوامل اجتماعية وإنسانية نبيلة تضيء للحياة روحها الحقيقية وجمالها الروحي، وبآداب العشرة الصالحة يحزن الإنسان لأخيه الإنسان، وبالتفاعل الإنساني تكتمل الحياة بسلام وود بين بني الإنسان^(٤٣).

وقوله (عليه السلام): «الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ، نُصْبٌ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ»^(٤٤) دعوة صادقة إلى التصدق وبذل الأشياء المادية والمعنوية لمن يستحقها؛ مما تساعد على رفق الإنسان بفرص الحياة الكريمة وتؤدي إلى تواصل

في تبعية مستمرة للدول الغنية في الوقت الذي يتعرض فيه كثير من البشر وفي مناطق مختلفة من العالم إلى الموت بسبب الفقر والمرض والجوع، دليل على الممارسات اللاإنسانية للدول الإمبريالية كما عانت - ولا تزال - كثير من المجتمعات ويلات الحروب المدمرة بسبب التعصب القومي والعنصري، مثال ذلك نظرية صفاء العرق الجرمني الآري التي كان شعارها: (ألمانيا فوق الجميع)، وكذلك الدعاوى الفاشية التي دمّرت كثير من البشر باسم التعصب القومي والعنصري^(٤١).

وفي قوله (عليه السلام): «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكُوا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عَشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ»^(٤٢) دعوة واضحة وصریحة إلى إقامة علاقات إنسانية واجتماعية محمودة بين الناس، بالشكل الذي يكون فيه الإنسان مؤثراً بشكل إيجابي بالآخر



وتقارب أفراد المجتمع، وتعمل على التقليل من الجرائم والمشاكل التي تحدث بسبب الفقر والعوز وبهذا يكون لها دور كبير في إشاعة الأمن والاطمئنان والثقة بين أفراد المجتمع^(٤٥).

إنّ تطبيق العدالة والمساواة يحتاج إلى أجهزة وأدوات وعناصر مؤمنة بالعدل والمساواة في الحقوق والواجبات، والمساواة تعني بناء علاقات عادلة ومستقرة بين الثروة الاجتماعية والمجتمع ومنع تركيز الأموال عند طرف صغير وحرمان الطرف الآخر منه، فمحدودية الثروة الاجتماعية، والأزمات التي يتعرض لها الإنسان كالحروب، والمجاعات، والأمراض والأوبئة والكوارث الأخرى جعلت من العدالة الاجتماعية أن تكون حقاً لجميع أفراد المجتمع؛ كون الثروات تنفذ بمرور الزمن ويهلك الأثرياء، ويبقى

المجتمع، ويستمر بفقره وبؤسه إذا لم يكن هناك عدل ومساواة ولذا فالعدل يحفظ المجتمع من الأضرار بأنواعها وفي كل الأوقات لاسيما العصيبة^(٤٦).

وبيّن الإمام (عليه السلام) بأنّ على الحاكم تطبيق القانون بعدالة بين الرعية أي أنّ الأغنياء وأصحاب الجاه ممن لهم مكانة اجتماعية مرموقة أو مناصب معينة، والفقراء والطبقات الكادحة من الشعب يكونون بموضع واحد قبال القانون: «وَلَا يَدْعُونَكَ شَرْفُ أَمْرِي إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا وَلَا ضَعْفُ أَمْرِي إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا»^(٤٧). وهنا يحث الحاكم على الاهتمام بالطبقات الفقيرة والكادحة من المجتمع: «ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى...»^(٤٨) ويؤكد الإمام



العادلة: «فَأَمْنَعُ مِنَ الْاِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا: بِمَوَازِينِ عَدْلِ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ»^(٥٠)، وقوله (عليه السلام): «لَا تَسْتَحْ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقْلُ مِنْهُ»^(٥١) يمثل دعوة إلى أن يساهم الإنسان ضمن حدود قدرته وإمكانياته المادية والمعنوية، وأن لا يستحي عند عدم قدرته على إنفاق المزيد في الوقت الذي يرى فيه آخرين أكثر إنفاقًا، وإن بعض الأغنياء ممن يسعون لتحقيق شهرة وظهور ووجاهة اجتماعية قد لا يشارك ببذل القليل؛ بوصفه سببًا في نقص مكانته الاجتماعية فيتهرب من الإنفاق بطريقة أو بأخرى لكي لا يُتتقد من قبل الآخرين، ولا يعيرونه بالقلّة أو الإفلاس.

وفي قوله (عليه السلام): «الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ»^(٥٢) قاعدة اقتصادية واجتماعية

على السلم المجتمعي، وعدم سفك الدماء وهنا دعوة إلى نبذ العنف والاقتيال بين الناس، على عكس ما نراه اليوم من ممارسات العنف في مناطق كثيرة من العالم وتحت عنوانات مختلفة، والتعامل المزدوج من لدن بعض قادة الدول المتقدمة تجاه الجماعات الإرهابية المتطرفة وحسب مصالحتها: «إِيَّاكَ وَالِدَّمَاءِ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبَعَةٍ، وَلَا آخَرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا»^(٤٩).

ويدعو الإمام (عليه السلام) إلى الابتعاد عن الاحتكار لكي لا يتزعزع الاقتصاد ومن ثم يجوع الناس، وتردى حالة المجتمع فيؤثر على تماسك نسيجه الاجتماعي، ويتفشى بذلك الاستغلال من لدن التجار والأغنياء بأشنع صورته وهو ما يتنافى مع المبادئ الإنسانية في دولته



ترتقي بالإنسان إلى درجات عالية في سلم السعادة النفسية والروحية والاطمئنان والثقة بالنفس، وفيها

فيض من الطاقة الإيجابية تتحلى بها النفوس السائرة عليها، وهي

حث إلى الناس للرضا فيما يتيسر لهم من الأشياء والاكتفاء بما

موجود، وعدم اللهفة وراء المفقود، فالتعود على القناعة تحصن الإنسان،

وتجعله متمكناً مما سيتعرض له من محن وأزمات في الحياة: كالفقر

والمرض... والأمور المعنوية، كالقيمة الاجتماعية... إنَّ القناعة

والرضا عاملان مهمان وفاعلان في جعل الإنسان في حالة ثقة دائمة

بنفسه وراحة ووضع نفسي مستقر، إذ يرمج الإنسان حياته على وفق

إمكانياته ومؤهلاته الاقتصادية والاجتماعية المتوفرة مع سعيه

المشروع لتحسين أحواله المعيشية، بعكس الإرباك والتخبط الذي يسببه

القلق والسعي وراء الأشياء المفقودة التي تكون خارج حدود إمكانياته ومؤهلاته لتحصيلها^(٥٣).

وكذلك حثَّ الإمام الآباء بعدم فرض عاداتهم وتقاليدهم على

الجيل الذي يأتي بعدهم؛ بوصفهم سيعيشون في زمن يختلف عن

زمنهم: «**عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى غَيْرِ عَادَاتِكُمْ فَإِنَّهُمْ خَلَقُوا زَمَانًا غَيْرَ زَمَانِكُمْ**»^(٥٤) فأفكار الناس وأنماطهم

الاجتماعية وطرق عيشهم تتعرض إلى تغييرات فهنالك كثير من العادات

والأمور التي تتعلق بأنماط الحياة وثقافة المجتمع تكون لائقة في زمنٍ

ما ومستهجنة في زمن آخر، فمواكبة التقدم الحضاري والفكري المقترن

بالحفاظ على القيم الإنسانية النبيلة التي دعا لها جميع الأنبياء ضروري

لتقوية البنية الفكرية والحضارية للمجتمع، وكذلك كثير من العادات

والتقاليد بحاجة إلى غربلة لتحديد





المواصفات وقد بين الأسباب بقوله:

«وَلَكِنِّي آسَى أَنْ يَلِيَّ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ
سُفَهَاؤُهَا وَفُجَارُهَا ، فَيَتَّخِذُوا مَالَ
اللَّهِ دُولًا ، وَعِبَادَهُ حَوَالًا ، وَالصَّالِحِينَ
حَرْبًا ، وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا ، فَإِنَّ مِنْهُمْ
الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ...»^(٥٧)

وعلى خلاف ذلك: «لقد سبق لعثمان
أن قَرَّبَ مِمَّن طردهم الرسول (ﷺ)
أو أقصاهم، لقد ردَّ عمه الحكم بن
أميَّة إلى المدينة بعد أن طرده رسول
الله (ﷺ) وأصبح يسمَّى طريد
رسول الله، وآوى عبد الله بن سعد
بن أبي سرح مع أن النبي (ﷺ) قد
أهدر دمه، وولاه عثمان مصر كما ولى
عبد الله بن عامر البصرة، فأحدث
فيها من الأحداث ما جعل المؤمنين
ينقمون عليه وعلى عثمان»^(٥٨) .

الخاتمة

توصَّل الباحث برحلته البحثية إلى
النتائج والمقترحات الآتية:
- جسّد الإمام علي (عليه السلام) جميع

وفي الجانب الإداري نرى أن
الإمام (عليه السلام) قام بإصلاحات مهمة
وعادلة، وقد حدد لذلك مواصفات
خاصة لبعض أصحاب المناصب
والذين يتصدون لإدارة وقيادة
المجتمع، ومن جملة ما قاله (عليه السلام) إنه
«أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى
الْفُرُوجِ وَالِدَّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ
وإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلِ؛ فَتَكُونَ فِي
أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ وَلَا الْجَاهِلَ فَيُضِلَّهُمْ
بِجَهْلِهِ، وَلَا الْجَائِفِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ،
وَلَا الْحَائِفَ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ
قَوْمٍ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ
بِالْحَقُوقِ، وَيَقِفُ بِهَا دُونَ الْمُقَاتِعِ وَلَا
الْمُعْطَلِ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ»^(٥٦) .

وعلى هذا الأساس المتين
والوصف الرصين للمواصفات
التي ينبغي أن يتحلَّى بها القائد
فقد استغنى عن خدمات بعض
الولاة من الذين لا يتحلَّون بهذه



القيم الإنسانية النبيلة، وإن فكره وسيرته امتداد لفكر وسيرة النبي محمد (ﷺ).

- سعى الإمام (عليه السلام) إلى تحرير المجتمع فكريا وحضاريا وعمل على نشر وتطبيق مبادئ حقوق الإنسان والتسامح واحترام الرأي الآخر، وقد عمل على إرساء أسس العدالة والمساواة بين الناس، وحث على التعايش السلمي والمجتمعي؛ لأثره الكبير في تكامل الحياة الإنسانية.

- إن للتكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية والتسامح دور كبير ومهم في ترسيخ الأواصر الاجتماعية وحفظ النسيج المجتمعي.

- الحاجة الماسة لإنشاء مؤسسات ثقافية وفكرية وبحثية تأخذ على عاتقها نشر مبادئ حقوق الإنسان والتسامح والتعايش السلمي والمجتمعي واحترام الرأي الآخر والعدالة والمساواة التي دعا إليها الإمام (عليه السلام) وجسدها في حياته، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب

- إن التنوع والتعدد ليس مدعاة إلى الخلاف والصراع، وإنما يثري الحياة

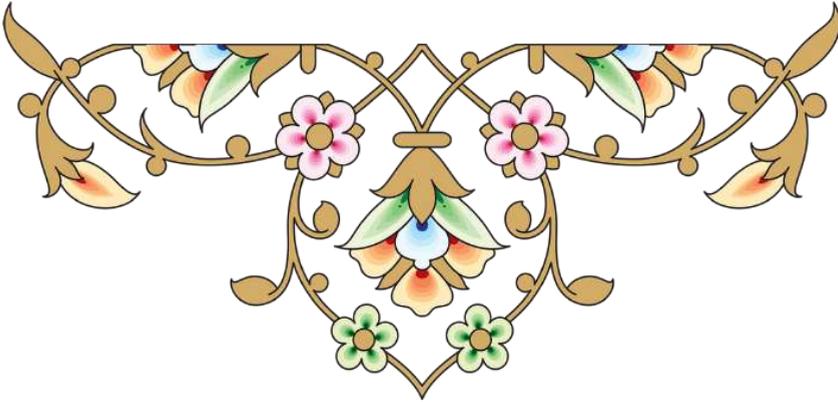
بشتى أنواعه.



الهوامش

١. نهج البلاغة: صبحي الصالح: ٨١.
٢. ينظر: ملامح من عبقرية الإمام: ١٩٢.
٣. للإطلاع بشكل أكثر، ينظر: الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية: ١٥٧.
٤. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة: ١٣٨.
٥. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة: ١٣٩ - ١٤٠.
٦. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة: ١٤٠.
٧. الحجرات: ١٣.
٨. ينظر: التعدية الدينية في الفكر الإسلامي: ٣٤ - ٣٦.
٩. الروم: ٢٢.
١٠. الحج: ٤٠.
١١. ينظر: التعدية الدينية في الفكر الإسلامي: ٣٦ - ٣٨.
١٢. نهج البلاغة: ج ٣: ٩٣.
١٣. ملامح من عبقرية الإمام: ١١١.
١٤. ينظر: صدام الحضارات: ١٠.
١٥. ينظر: الإسلام يقود الحياة: ١٦ - ١٧.
١٦. ينظر: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ١٧٣.
١٧. نهج البلاغة: ج ٣: ٢٥٠.
١٨. نهج البلاغة: ج ٣: ٢٥٠.
١٩. نهج البلاغة: ج ٣: ١٩٤.
٢٠. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ج ٢: ٧ - ٨.
٢١. نهج البلاغة: ج ٢: ١٦٦.
٢٢. ينظر: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٨.
٢٣. المصدر نفسه.
٢٤. روائع نهج البلاغة: ٩٥.
٢٥. روائع نهج البلاغة: ٩٥.
٢٦. يُنظر: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٩.
٢٧. المصدر نفسه: ٢٢٩.
٢٨. المصدر نفسه: ٢٣٠.
٢٩. الكامل في التاريخ: المجلد الثالث: ٢٦٥.
٣٠. ينظر: أهل البيت (عليهم السلام) ومصلحة الإسلام العليا: ١١٢.
٣١. نهج البلاغة: تح صبحي الصالح: ٣٤٧.
٣٢. ينظر: أهل البيت (عليهم السلام) ومصلحة الإسلام العليا: ١١٢.
٣٣. نهج البلاغة: ج ٣: ٧٨ - ٧٩.
٣٤. نهج البلاغة: ج ٣: ٩٥ - ٩٦.
٣٥. ينظر: ملامح من عبقرية الإمام: ٤٥.
٣٦. روائع نهج البلاغة: ٢١٤.
٣٧. روائع نهج البلاغة: ٢٢٦.
٣٨. نهج البلاغة: ج ٣: ٦٠ - ٦١.
٣٩. نهج البلاغة: ج ٣: ٢٣١.
٤٠. ملامح من عبقرية الإمام: ٩٩.
٤١. ينظر: الحرية بين الدين والدولة: ١١ - ١٢.
٤٢. نهج البلاغة: ج ٣: ١٥٣.
٤٣. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ١٦٦.
٤٤. نهج البلاغة: ج ٣: ١٥٣.

٤٥. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ٢٠٧ - ٥٢. نهج البلاغة: ج ٣: ٢٦٦.
٢٠٨. ٥٣. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ج ١: ٢٥٤.
٤٦. ينظر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار
محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٦. ٥٤. ملامح من عبقرية الإمام: ١٥٨.
٤٧. نهج البلاغة: ج ٣: ١٠٣. ٥٥. ينظر: المصدر نفسه
٤٨. نهج البلاغة: ج ٣: ١١١. ٥٦. نهج البلاغة: تح: صبحي الصالح: ١٨٩.
٤٩. نهج البلاغة: ج ٣: ١١٩. ٥٧. نهج البلاغة: ج ٣: ١٣١ - ١٣٢.
٥٠. نهج البلاغة: ج ٣: ١١٠ - ١١١. ٥٨. الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية
وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٣٢.
٥١. نهج البلاغة: ج ٣: ١٦٥.



المصادر

- فاضل الصفار، الحرية بين الدين والدولة، دار سحر للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء المقدسة، العراق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- فؤاد كاظم المقدادي، أهل البيت (عليهم السلام) ومصلحة الإسلام العليا، المؤسسة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الأولى، مطبعة الهدى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر (قدس سره).
- محمد صادق السيد محمد رضا الخراسان، أخلاق الإمام علي (عليه السلام)، ج ١-٢، دار المرتضى، الطبعة الثامنة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- محمد عبدة، نهج البلاغة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١، ج ٢، ج ٣، مطبعة الإستقامة، مصر.
- مهدي محبوبية، ملامح من عبقرية الإمام، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- هادي المدرسي، التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- جورج جرداق، الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية، اختصره وحققه حسن حميد السنيد، مطبوعات دار الأندلس- النجف الأشرف، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.
- جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- حسن السيد عز الدين بحر العلوم، التعددية الدينية في الفكر الإسلامي، العارف للمطبوعات، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.
- صبحي الصالح، نهج البلاغة، دار الكتب المصرية- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- عادل الأديب، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام، مطبعة المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.



عَلَيْهِ
السَّلَامُ



عَلَيْهِ
السَّلَامُ





مِنْ صَالِحِ الْخَوَاصِّ

التسامح عند الإمام علي (عليه السلام)

Imam Ali (PBUH) and Tolerance

الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف
الحوزة العلمية - القطيف

Dr. `Abdullah Ahmed Al-Yousif
Scientific Hawza, Al-Qatif

ملخص البحث

يدرس هذا البحث الموسوم بـ(التسامح عند الإمام علي (عليه السلام)) قراءة تحليلية لنهج التسامح عند أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنظر إلى أقواله وكلماته وحكمه النفيسة، وكذلك بدراسة سيرته العملية التي ضرب فيها أروع الأمثلة على التسامح؛ وخصوصاً في تعامله مع خصومه ومعارضيه أيام حكمه، فقد كان يتعامل معهم بمتهى الرحمة والعفو والصفح والرافة من موقع القدرة والقوة، وأعطاهم حقوقهم كاملة، وهذا من أبرز تجليات التسامح.

وقد بدأنا هذا البحث في مبحثه الأول بتحرير معنى التسامح لغةً واصطلاحاً ومفهوماً، ثم ذكرنا في المبحث الثاني نماذج من تسامحه الديني والاجتماعي والفكري والسياسي مع ذكر شواهد وأمثلة من سيرته العملية التي تدل على ذلك.

وفي المبحث الثالث، تطرقنا إلى الحاجة الماسة في واقعنا المعاصر إلى روح التسامح في المجتمعات الإنسانية عامة، والمجتمعات المسلمة خاصة، وضرورة الاقتداء والتأسي بسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك؛ من أجل ترسيخ ثقافة التسامح وتعزيز مفهوم التعايش بين مختلف المكونات الدينية والاجتماعية المتغايرة؛ لبناء السلم الأهلي والعيش بكرامة وسعادة وأمن واستقرار ورخاء وازدهار.

وختمنا هذا البحث باستخلاص النتائج المستوحاة من مكوناته ومحتوياته.



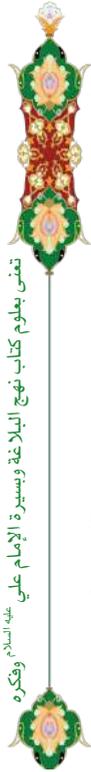
Abstract

This research entitled “Imam Ali (PBUH) and Tolerance” reviews an analytical reading to Imam Ali’s methods and approach of tolerance through his invaluable sayings, words and wisdoms, as well as his exemplary demeanor in tolerance specifically with his enemies and opposers during his ruling era. Imam Ali treated them with utmost mercy, forgiveness, absolution and clemency as an exhibition of capability and power, and he gave them their full rights. Such demeanor is the greatest reflection of tolerance.

The research begins its first theme by introducing the meaning of tolerance linguistically, terminologically, and conceptually. The second theme displays examples of Imam Ali’s religious, social, intellectual, and political tolerance supported with testimonies and cases from his demeanor.

The third theme addresses the intense need in our contemporary times to tolerance in humane societies in general and Muslim societies in particular, in addition to the necessity of following Imam Ali’s example in order to profoundly instill the culture of tolerance and enhance the concept of coexistence among the different and divergent religious and social components to create civil peace and live with integrity, happiness, security, stability, and prosperity.

The research is concluded with results extracted from its themes and content.





ونتيجة للتطور العلمي والتقني

والتكنولوجي الهائل في عصرنا الراهن، وخصوصاً في مجال تقنية الاتصالات وشبكات التواصل الاجتماعي، مما جعل من السهل أن تتمازج فيه الثقافات، وتتفاعل بينه الحضارات، وقد ارتفعت فيه الحواجز الزمانية والمكانية بين الشعوب والأمم المختلفة في أرجاء المعمورة؛ مما يجعل التسامح ليس فضيلة وقيمة فحسب؛ وإنما ضرورة ملحة، وحاجة أساسية لتوليد التعاون والتكامل والتعايش بين مختلف الشعوب والأمم، والتفاعل بين الثقافات والحضارات.

وقد بات نشر ثقافة التسامح ووجوب ترسيخه في المجتمع الإسلامي من الأمور المهمة للغاية لبناء السلم الأهلي والتعايش بين مختلف المكونات المجتمعية، خصوصاً مع انتشار ظاهرة الإرهاب والتشدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الأخيار وبعد:

التسامح فضيلة من الفضائل الأخلاقية والإنسانية النبيلة، وقيمة مهمة من القيم الفضلى التي حثّ عليها الإسلام، ودعا إلى التحلي بها، وأمر أتباعه بالتخلق بالسماحة والعفو واللين في التعامل والسلوك، وأوصى بالإحسان والبر إلى جميع فئات ومكونات المجتمع حتى يعيش الناس في تعايش ومحبة وانسجام.

والمجتمعات الإنسانية في الواقع المعاصر بحاجة ماسة وشديدة إلى روح التسامح الفعّال والتعايش الإيجابي بين مختلف المكونات الدينية والمذهبية والفكرية والثقافية المكونة لكيان المجتمع وإطاره العام.



والتطرف والإقصاء والتهميش المنتشرة في العديد من البلدان الإسلامية.

وفي سيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتجربته العملية في أثناء عهده العديد من الشواهد والأمثلة التي تدل على تسامحه وعفوه وصفحه ورأفته ورحمته حتى بأعدائه وخصومه؛ بل أعطاهم حقوقهم كافة رغم معارضتهم له، وهذا ما سنشير إليه في هذا البحث بشيء من البيان والتفصيل.

وتعد دراسة نهج التسامح عند الإمام علي (عليه السلام) أكثر من ضروري، لما ترمز إليه شخصيته من مكانة ومقام رفيع، وتراث وفكر ثري، ومنهج ونهج متميز.

إن شخصية الإمام علي (عليه السلام) شخصية عظيمة ومتميزة وكاملة، وله شأن عظيم، فهو وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخليفته، وأقرب الناس

إليه، وأعزهم عليه.

وقد كان الإمام علي (عليه السلام) شخصية فريدة واستثنائية في تاريخ الإسلام بشهادة كل المنصفين من المؤرخين والكتّاب والمفكرين. ومن هنا، تأتي أهمية هذا البحث في دراسة التسامح في سيرة الإمام علي (عليه السلام) وحياته المفعمة بالتجارب والدروس والعبر.

ويتناول هذا البحث مباحث رئيسة عدة، ويتفرع من كل مبحث مطالب عدة، وهي:

المبحث الأول- في معنى التسامح.

ويتفرع منه المطالب التالية:

المطلب الأول- التسامح لغة.

المطلب الثاني- التسامح

اصطلاحًا .

المطلب الثالث- مفهوم التسامح.

المبحث الثاني- نماذج من التسامح

عند الإمام علي (عليه السلام). ويتفرع منه

المطالب التالية:



ومن المفيد أن نستعرض ما قاله

علماء اللغة لتحرير مفهوم التسامح لغةً بالرجوع إلى جذر مفردة التسامح، وإليك ما ورد في كتب اللغة ومعجماتها:

قال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) في الصحاح: «سمح» السَّامِحُ والسَّامِحَةُ: الجود. وَسَمَحَ بِهِ: أَي جَاءَ بِهِ. وَسَمَحَ لِي: أَعْطَانِي. وَمَا كَانَ سَمَحًا وَلَقَدْ سَمَحَ بِالضَّمِّ، فَهُوَ سَمَحٌ، وَقَوْمٌ سُمَحَاءٌ، كَأَنَّهُ جَمَعَ سَمِيحٌ. وَمَسَامِيحٌ: كَأَنَّهُ جَمَعَ مِسْمَاحٍ. وَامْرَأَةٌ سَمَحَةٌ وَنِسْوَةٌ سِمَاحٌ لَا غَيْرَ. وَالمُسَامِحَةُ: المُسَاهِلَةُ. وَتَسَامَحُوا: تَسَاهَلُوا. وَقَوْلُهُمْ: أَسْمَحَتْ قَرْوَنَتُهُ، أَي: ذَلَّتْ نَفْسُهُ وَتَابَعَتْ. وَتَسْمِيحُ الرُّمَحِ: تَثْقِيْفُهُ. وَالتَّسْمِيحُ: السَّيْرُ السَّهْلُ^(١).

وجاء في مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦ هـ) في معنى «سمح»: السَّامِحُ والسَّامِحَةُ الجود، سَمَحَ بِهِ

المطلب الأول- التسامح الديني.

المطلب الثاني- التسامح الاجتماعي .

المطلب الثالث- التسامح الفكري .

المطلب الرابع- التسامح السياسي .

المبحث الثالث- الحاجة إلى التسامح .

وتضمنت خاتمة البحث استخلاص النتائج.

المبحث الأول: في معنى التسامح

المطلب الأول: التسامح لغة

قبل الولوج في التسامح عند أمير المؤمنين (عليه السلام) من المهم تحرير معنى ومفهوم التسامح، ونبدأ بالرجوع أولاً إلى مفردات اللغة العربية لنستطيع أن نحدد بدقة معنى التسامح، وذلك لنعرف هل كان لها جذر في مفردات اللغة العربية ومشتقاتها أو لا.



يسمح بالفتح فيهما سَمَاحًا وَسَمَاحَةً
أي جاد، وَسَمَحَ له أي أعطاه،
وَسَمَحَ من باب ظرف صار سَمَحًا
بسكون الميم، وقوم سَمَحَاءُ بوزن
فقهاء، وامرأة سَمَحَةٌ بسكون الميم،
ونسوة سَمَاحٌ بالكسر، والمَسَاحَةُ
المساهلة، وتَسَاحُوا تَسَاهلُوا^(٢).

وأما الشيخ الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)
في معجم البحرين: «سمح»: هـ)
بفتح فسكون أي السهلة، والسماح
بالفتح الجود، والسماحة مثله:
وسمح به يسمح بفتحتين سموحًا
وسماحًا وسماحة: أي جاد.

وفي الحديث: «خِيَارُكُمْ
سَمَحَاؤُكُمْ»^(٣). وسمح لي: أعطاني،
وقوم سمحاء جمع سميح ومساميح
كأنه جمع مساح - قاله الجوهري -.
ومنه قول الشاعر:

مساميح الفعال ذوو أناة.

والمساحة: المساهلة، وتسامحوا:
تساهلوا. وفي خبر عطا اسمح

يُسمح لك؛ أي سهل يسهل عليك.
وفي الخبر: السماح رباح، أي المساهلة
في الأشياء ربح صاحبها.

وفي الحديث: «السَّاحَةُ الْبَدْلُ فِي
الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ»^(٤). وفي آخر: «السَّاحَةُ
إِجَابَةُ السَّائِلِ وَبَدْلُ النَّائِلِ»^(٥).
وفلان سمح الكفين نقي الطرفين.
قوله سمح الكفين أي كريم. ونقي
الطرفين فرجه ولسانه^(٦).

ومعنى سَمَحَ في المعجم الوسيط:
سَمَحًا، وَسَمَاحًا، وَسَمَاحَةً: لَانَّ
وسَهْلًا. ويقال: سمح العودُ:
استوى وتجرد من العُقد. وانقاد بعد
استصعابٍ. وفلانٌ: بَدَلٌ فِي الْعُسْرِ
وَالْيُسْرِ عن كَرَمٍ وَسَخَاءٍ. ويقال:
سَمَحَ له بحاجة: يَسَّرَ هَالَهُ. «سَمَحَ»
سَمَاحَةً، وَسَمُوحَةً: صار من أهل
السَّاحَةِ. فهو سَمَحٌ، وَسَمِيحٌ.

«أَسَمَحَ»: سَمَحَ. ويقال:
أَسَمَحَتْ نَفْسُهُ: ذَلَّتْ وَأَطَاعَتْ
وانقادت. «سَاحَهُ» بكذا، وفيه:



التسامح عند الإمام علي (عليه السلام).



بالحقِّ فإنَّ فيه مَسْمَحًا: مَسْعًا
ومندوحة عن الباطل. «المِسْمَحُ»:
الكثير السَّماح. (ج) مَسَامِحٌ^(٧).

نستطيع أن نستنتج مما تقدم من
أقوال أهل اللغة الإيحاء الإيجابي
لمفردة التسامح، التي تشير إلى
اللين والتساهل في التعامل، والجود
والكرم والسخاء والعطاء من غير
عُقْدٍ أو تعقيد، وأن الباعث على
ذلك هو العزة والرفعة والتسامي،
ولا يعني التسامح أي نوع من أنواع
الضعف والانهماز والذلة.

كما يفهم من أقوال اللغويين أنه
لا فرق بين معنى التسامح والتساهل
من حيث اللغة، وأن المقصود منها
هو ذلك الخلق الرفيع والخلة
المحمودة الممدوح صاحبها.

المطلب الثاني: التسامح اصطلاحًا
يوجد أكثر من تعريف لمعنى
التسامح اصطلاحًا، فقد عرّفه ابن
رشد بأنه: احترام الحق في الاختلاف،

وافقَهُ على مطلوبه. وبذنبه: عفا
عنه. ويقال في الدُّعاء: ساءحك الله.
«سَمَّحَ»: سَمَحَ. وسار سيرًا
سهلاً. والشيء: جعله لِينًا سهلاً.
ويقال: سَمَّحَ الرمح وغيره: لِينَهُ
وثَقَّفَهُ. وفلانًا: ساهله.

«تَسَامَحَ» في كذا: تساهل.
«تَسَمَّحَ» فيه: تسامَحَ. وتكَلَّفَ
السَّماحةً.

«السَّماحُ»: التسامُحُ والتساهلُ.
ومنه: بيع السَّماح: وهو البيع بأقلَّ
من الثمن المناسب.

«السَّماحةُ»: الجود والكرم.
والسُّهُولة. «السَّمَّحُ»: يقال: فلانٌ
سَمَّحٌ: جوادٌ سخِيٌّ، وعودٌ سَمَّحٌ:
مُسْتَوِليْنٌ سهلٌ لا عُقْدَ فيه.

«السَّمَّحةُ»: مؤنَّثُ السَّمَّحِ. يقال:
شريعةٌ سَمَّحةٌ: فيها يُسْرٌ وسهولةٌ.

(ج) سِمَاح. «المِسْمَاحُ»: الكثيرُ
السَّماح. (ج) مَسَامِيح. «المِسْمَاحُ»:
ما فيه سهولةٌ ويُسْرٌ. يقال: عليك



وأن يجهد النفس في طلب الحجج والخصومة، كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه. وعرفه الشريف الجرجاني بأنه استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقته المعنوية ويعني: التساهل في العبارة أي أداء اللفظ بحيث لا يدل على المراد دلالة صريحة^(٨).

من هنا يتضح أن مفهوم التسامح يحمل مفهوماً أخلاقياً يدعو إلى العفو والصفح وتقبل الآخر وعدم إلغاء الآخرين رغم اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم مع التمسك بثوابت الدين الأساسية.

وقد عرفت منظمة حقوق الإنسان في مصر التسامح بأنه: «حق العيش على نحو مختلف سواء بممارسة حق التعبير عن الرأي، أو حق الاعتقاد، أو حق التنظيم، أو حق المشاركة السياسية في تولى المناصب العليا»^(٩).

وإن احترام الحريات والأديان الأخرى يدل على تسامح المسلمين وتقبلهم للآخر، ومن هنا يتبين لنا أن مفهوم التسامح يدل على أسمى معاني الحب والعفو والجود وتقبل الآخر من خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية التي مرت^(١٠).

ويراد بالتسامح اصطلاحاً: موقفٌ إيجابيٌ متفهمٌ من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيداً عن الاحتراب والإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينياً وسياسياً، وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته^(١١).

ولأن التسامح يدخل في مجالات متعددة، فقد عرّف أتباع كل علم وفن التسامح بما يتناسب معهم، ففي المجال الاجتماعي يستعمل التسامح بمعنى السهولة في المخالطة والمعاشرة، وهو لين في الطبع، في مظان تكثر في أمثالها الشدة.



من المتأخرين في أواخر القرن الماضي الهجري، أخذًا بالحديث النبوي «بعثت بالحنيفية السمحة»^(١٥)، وقد صار هذا اللفظ حقيقة عرفية في هذا المعنى.

وربما عبروا عن معناه سالفًا كما يضيف الشيخ ابن عاشور، بلفظ التساهل، وهو مرادف له في اللغة. ويرى ابن عاشور أن الاصطلاح الذي خص لفظ التسامح بمعنى الساحة الخاصة تجاه المخالفين في الدين كان حقيقيًا بأن يترك مرادفه في أصل معناه، ولذلك هجروا لفظ التساهل، لأنه يؤذن بقلّة تمسك المسلم بدينه، فتعين لفظ التسامح للتعبير عن هذا المعنى، وهو لفظ رشيق الدلالة على المعنى المقصود، ولا ينبغي استبداله بغيره^(١٦).

وأشار الفيض الكاشاني إلى أهمية التيسير والاعتدال والوسطية في الدين، ومعنى الحنيفة والسمحة

والسهولة واللين تارة تكون بالكلام، وتارة تكون بالسلوك. ومن مصاديق الكلام ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾^(١٢).

ومن مصاديق السهولة واللين بالسلوك، قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١٣) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١٤).

وفي المجال الديني يستعمل التسامح بمعنى إبداء الساحة للمخالفين للمسلمين من جهة الدين، وهذا المعنى في نظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، اصطلاح عليه العلماء الباحثون عن الأديان



والسهلة- وهو يشرح معنى الحديث النبوي المشهور: **«بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ الْبَيْضَاءِ»** (١٧) -

بقوله: «والحنفية هي المائلة من طرفي التفريط والإفراط إلى الوسط والسهلة تفسير للسمة وهي عبارة عن التيسير الذي في الأمة المرحومة المشار إليه بقوله سبحانه: **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾** (١٨) وبقوله: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾** (١٩) والبيضاء عبارة عن وضوحها في الحقيقة» (٢٠).

وهذا يعني أن الحنفية هو اتباع الوسطية الحقّة والميلان نحو الدين الحق والالتزام بأحكام الله تعالى بعيداً عن التساهل في تطبيق الأحكام أو التشدد والتنطع في الدين.

وهذا هو المقصود بأن الدين الإسلامي هو دين الساحة والرحمة واليسر، وأن أحكام الإسلام وقيمته كلها تؤدي إلى هذا المنهج والمسلك

الذي فيه الرحمة واليسر، ولا يعني ذلك عدم الالتزام بأحكام الإسلام، أو التقصير في تطبيق التشريعات الإسلامية، أو تجاوزها.

وفي اصطلاحات المعاصرين كما جاء في كتاب: «المعجم الفلسفي»، فإن التسامح يأتي بمعنى أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه، وإن كانت مضادة لآرائك، وأن يحترم المرء آراء غيره، لا اعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة. والتسامح كما يقول غوبلو، لا يوجب على المرء التخلي عن معتقداته، أو الامتناع عن إظهارها، أو الدفاع عنها، أو التعصب لها بل يوجب عليه الامتناع عن نشر آرائه؛ بالقوة والقسر والقدح والخداع.

والذي يفهم من تلك المعاني والاستعمالات، أن التسامح هو امتزاج بين الفكر والأخلاق، وتعبير عن موقف فكري من جهة،



وموقف أخلاقي من جهة أخرى. وموقف فكري يحدد طريقة التعامل من المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى النظر، وموقف أخلاقي يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى العمل^(٢١).

ولأن الناس بطبيعتهم يختلفون في كل شيء، وتباين وجهات نظرهم في القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية؛

فهم بحاجة إلى التسامح كقيمة أخلاقية وإنسانية، وكحل عقلاقي لإيجاد الصيغ المناسبة للتعايش فيما بينهم، واحترام بعضهم البعض الآخر، بعيداً عن روح التعصب والصدام والاحتراب، أو الإقصاء والعنف ضد الرأي الآخر.

المطلب الثالث: مفهوم التسامح

تبلور مفهوم التسامح بوصفه مصطلحاً حديثاً في الغرب نتيجة وبعبارة أخرى: مفهوم التسامح بوصفه

وبعيداً عن هذا التطور التاريخي لمفهوم التسامح في البيئة الغربية، فإن مقتضيات التسامح ومستلزماته موجودة قبل ذلك في أصول الإسلام وأخلاقه.

ففي الأخلاق الإسلامية نجد كثيراً من النصوص الدينية التي تشير إلى أخلاقيات التسامح، كمفردات العفو والصفح والصبر والمداراة والمجاملة والسماحة والإحسان



والرأفة والشفقة، وهذه المفردات الأخلاقية والإنسانية تتقارب في مضمونها ودلالاتها مع مصطلح التسامح ومفهومه.

فللتسامح جذوره الراسخة سواء في اللغة العربية، أم في القيم الأخلاقية والإنسانية والتربوية والفكرية للإسلام.

وما نقصده من التسامح هو حق الآخر بالاختلاف والتعايش معه، من دون قطيعة أو جفاء أو صدام أو عداوة؛ ولا يعني التسامح التنازل عن المعتقدات أو القناعات الفكرية أو المساومة حولها، وإنما يعني التعايش مع الآخر، والتعامل معه بإنسانية وعدالة وإنصاف وإحسان بغض النظر عن صحة أفكاره وخطئها.

والتسامح بهذا المعنى له إيجاباته الإيجابية، ودلالاته اللغوية الجميلة، وما يرمز له تراثنا الديني؛ فعندما

نتحدث عن التسامح إنما نتحدث عن الحقوق المشروعة للمسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، وحقوق غير المسلمين التي أقرها الإسلام ودعا للالتزام بها في بلاد المسلمين.

والتسامح يعني أيضًا- فيما يعنيه- التعامل الإنساني والأخلاقي

الراقي، وبالتأمل في سيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الأخلاقية والإنسانية ما يشكل مدرسة متميزة في الأخلاق والآداب الرفيعة، فقد كان (عليه السلام) أنموذجًا مثاليًا للشخصية الأخلاقية التي تفصح عن معاني التسامح ودلالاته

بكل صورته وأشكاله وألوانه، كما كان في تسامحه مع معارضيه ومناوئيه أكبر الدروس العملية في تأصيل نهج التسامح، وهذا ما سنشير إليه في هذا البحث المختصر، وستثبت من خلال سيرته الأخلاقية والإنسانية





التسامح عند الإمام علي (عليه السلام).

تمسكه بنهج التسامح وروحه حتى في أحلك الظروف وأصعبها فضلاً عن الظروف الطبيعية، حيث كان الصفح والعفو والرحمة والرفق واللين والشفقة هي عنوان سيرته الأخلاقية والإنسانية حتى مع خصومه وأعدائه فضلاً عن عامة الناس.

وما أحوج المجتمع اليوم إلى الاقتداء والتأسي بأمر المؤمنين (عليه السلام)، واستخلاص الدروس والعبر من سيرته العملية من أجل ترسيخ ثقافة التسامح بين المكونات الاجتماعية، وتعزيز مفهوم التعايش بعيداً عن خطاب الكراهية والإقصاء والعداوة، وإحلال المحبة والأخوة والتقارب والتآلف بدلاً عن ذلك.

المبحث الثاني: نماذج من التسامح عند

الإمام علي (عليه السلام)

المطلب الأول: التسامح الديني

المقصود به الإشارة إلى ما يحتوي عليه دين ما من قواعد تسمح بحرية



الأديان الأخرى، وما يتحلى به أتباع هذا الدين من قابلية لاستيعاب أتباع العقائد المخالفة.

والتسامح الديني عند المسلمين يعني تفهم ما لدى غير المسلمين من معتقدات وآراء، وضمان كافة حقوقهم المشروعة، والتعامل معهم بسماحة ورفق ولين، والتواصل معهم، والبر بهم والإحسان إليهم. وللتسامح الديني مستويان إثنان:

الأول: مستوى نظري: ويقصد به القواعد والأسس والمبادئ.

الثاني: مستوى عملي: أي التطبيقات والسلوكيات المنعكسة عن تلك القواعد.

ويرى الباحثون - مسلمين وغير مسلمين - أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحتوي كتابه المنزل (القرآن الكريم) على قواعد مسجلة تنظم تعامل أتباعه مع أتباع الأديان الأخرى^(٢٢).

وقد جاء الإسلام بنظرات حول الكون والحياة والإنسان، ويمكننا أن نستخلص من هذه النظرات أن مبدأ الاختلاف بين الناس هو أحد سنن الله في الكون، وهو واقع بمشيئته سبحانه، وقد أثبتته القرآن الكريم، ويرتبط مبدأ الاختلاف هذا بمبدأ الحق في الاختيار الذي أقره الإسلام وأثبتته القرآن الكريم أيضاً بعد أن فطر الله الإنسان عليه.

وتتجلى إيجابية الإقرار بالاختلاف في دعوة القرآن المسلمين أن يعدلوا مع من يعادونهم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٣٢). وكذلك في الدعوة إلى التعامل مع الآخر الديني بمقتضى البر والعدل ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٢٤).

وهكذا يُعطي الإسلام التعامل الإيجابي مع عقائد الآخر ومذاهبه المغايرة وأفكاره بعداً عقدياً يستند إلى التوجيه والتكليف الإلهيين، وقد لاحظ بعض الباحثين أن القرآن أثبت كل نقد وجه إلى الإسلام وقت نزول الرسالة، حتى وصفه بعضهم بأنه: «خلد الفكر المضاد بين دفتيه» وهناك عدد من الآيات نزلت في سياق تبادل الحجج بين النبي (ﷺ) والمشركين في شأن الدين الجديد. وقد فتح هذا التعامل الإيجابي الباب لتبادل النقد والتقويم في سياق عملية الإقناع والتبشير برسالة الإسلام فضلاً عن تثبيت العقيدة في النفوس (٢٥).

وفي ظل الإسلام لا تُلغى الديانات الأخرى، ولا يحظر وجود سائر المبادئ والملل، بل يخاطبهم القرآن الحكيم معترفاً بوجودهم، وتاركا لهم حرية اختيارهم، يقول الله



التسامح عند الإمام علي (عليه السلام).....

تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٢٦)؛ وقد نظم الإسلام تشريعات ووضع قوانين لحماية أتباع الأديان الأخرى والتعامل معهم في إطار الدولة الإسلامية.

وهذا ما حصل في تاريخ الإسلام بالفعل، ففي عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) احترم حريات الناس بما فيها حق المعتقد والدين، وفي الوقت الذي كان الإمام (عليه السلام) في أقصى درجات القوة، وحدود بلاده واسعة تمتد من أواسط ما كان يُسمى بالاتحاد السوفياتي سابقاً إلى غرب أفريقيا لم يجبر أو يقهر أحداً على ترك عقيدته واعتناق الإسلام، بل العكس صحيح؛ فقد ورد في روايات عديدة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) حول حرية الأقليات الدينية: فعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه قال «أَلْزَمُوهُمْ بِمَا أَلْزَمُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ»^(٢٧).

وتدل (قاعدة الإلزام) على

التسامح

في الإسلام مما يعني إعطاء الآخر المذهبي، بل والآخر الديني الحق في الالتزام بما يعتقد، ويراه صحيحاً طبقاً لمذهبه أو دينه.

وهذه القاعدة الفقهية التي يعمل بها الفقهاء تدل على إنسانية الإسلام وتأصيل روح التسامح تجاه الآخر المذهبي والديني؛ فهذه القاعدة الفقهية تؤسس للحرية الدينية لأتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، بل وأتباع الأديان الأخرى، وتتيح لهم العمل وفق عقائدهم وأحكامهم، وفي هذا إقرار بقبول التعايش مع الآخر المغاير للذات.

وحينما يقبل الإسلام بوجود سائر الأديان والاتجاهات ضمن مجتمعه وفي ظل دولته، فإنه يمنحهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائر أديانهم والقيام بطقوس عباداتهم، وتنفيذ تعاليمها وأحكامها من دون أن يفرض عليهم شعائره وأحكامه

أو يتدخل في شؤون أديانهم. (عليه السلام) كما قال المؤرخ اليعقوبي في

وقد تعهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تاريخه (٢٩).

لنصارى نجران بضمان حریتهم إن هذه الرسالة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

إلى نصارى نجران تنص على حرية الدينية في عباداتهم وشعائرتهم كما

جاء في نص معاهدته لهم في كتابه لأبي الحارث بن علقمة أسقف

نجران وهذا نصه: نجران وهدا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من عقيدتهم؛ إذ إن من حق الإنسان

أن يختار العقيدة التي يرغب فيها، أن يختار العقيدة التي يرغب فيها،

من دون أي إكراه أو جبر، ولكنه من دون أي إكراه أو جبر، ولكنه

إذا اختار الإسلام بإرادته لم يجز له إذا اختار الإسلام بإرادته لم يجز له

أن يرتد عنه، وقد سار الإمام علي أن يرتد عنه، وقد سار الإمام علي

(عليه السلام) أيام خلافته على هذا النهج (عليه السلام) أيام خلافته على هذا النهج

الذي رسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). الذي رسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويجب التعامل في ظل الدولة ويجب التعامل في ظل الدولة

الإسلامية بمنطق الرحمة والعفو الإسلامية بمنطق الرحمة والعفو

والتسامح مع جميع الناس، سواء والتسامح مع جميع الناس، سواء

كانوا مسلمين أم غير مسلمين، كانوا مسلمين أم غير مسلمين،

وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى

ذلك في كتابه لملك الأشرار لما ولأه ذلك في كتابه لملك الأشرار لما ولأه

مصرَ بقوله: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ مصرَ بقوله: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ

لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ،

وكان هذا الكتاب بخط الإمام علي غير مثقلين بظلم ولا ظالمين» (٢٨).



أثنى سبحانه على نبيه الكريم بقوله:
﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَتَتْكُمْ حَرْيَصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣١). وأي
حاكم لا ينفذ له أمر إلا بالقوة فهو
من الخاسرين دنيا وآخرة.

(فإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي
الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)... على
الإنسان أن لا يعتدي ويسئ إلى أخيه
الإنسان بشيء، وأن ينصفه من نفسه،
ويكون عوناً له على ظالمه سواء أكان
على دينه أم على دين الشيطان^(٣٢).

فالإسلام قد حفظ حقوق أهل
الذمة، وأصحاب الأديان الأخرى،
وأمر بالعدل والقسط والإحسان
والرحمة مع جميع الرعية وإن اختلفوا
في الدين.. هذا على المستوى النظري.
وأما على المستوى التطبيقي: فقد
بلغ التسامح الديني في الإسلام
أن يسمح للذمي أن يخاصم إمام
المسلمين ويطالبه بالبينة لدعواه، كما
اتفق ذلك في قصة درع أمير المؤمنين

وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ
أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي
الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ
مِنْهُمْ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلُّ،
وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَأِ،
فَاعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ
الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ
مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ،
وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ
مَنْ وَوَلَاكَ!^(٣٠).

ويوضح الشيخ محمد جواد مغنية
هذا النص لأمير المؤمنين (عليه السلام)
بقوله: محبة الحاكم لرعيته ضرورة
تماماً كالعدل، وأي حاكم يلزم نفسه
بالمحبة والعدل، فإنه يجعل من
رعيته أصدقاء له وأحباء حتى ولو
كان على غير دينهم، وبهذا تستقيم
له الأمور، ويعم الأمن والهدوء بلا
جيوش وجنود، لأن كل واحد من
رعية السائس العادل هو قوة له
وعدة، وجندي يحافظ ويدافع. وقد



(رحمته) ومخاصمته في عصر خلافته مع رجل من اليهود عند شريح القاضي (٣٣).

ونشير إلى واقعة أخرى تؤكد على ضمان أمير المؤمنين (عليه السلام) لحقوق غير المسلمين ممن يعيشون في المجتمع المسلم وتحت ظلال الدولة الإسلامية، حيث تسجل لنا كتب التاريخ هذا الموقف النبيل، إذ روى الشيخ الطوسي في التهذيب بسنده عن محمد بن أبي حمزة: عن رجل بلغ به أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**اسْتَعْمَلْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا كَبُرَ وَعَجَزَ مَنَعْتُمُوهُ، أَنْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ**» (٣٤).

وقد أفتى بعض الفقهاء كالشيخ الحر: بأن ضمان الدولة لا يختص بالمسلم، فالذمي الذي يعيش في

كنف الدولة الإسلامية إذا كبر وعجز عن الكسب، كانت نفقته من بيت المال (٣٥). واستفادوا في استنباط فتاواهم من هذه الحادثة وغيرها. وهذا يدل على حسن تعامل الإسلام مع الإنسان بصورة عامة حتى مع غير المسلم الذي يعيش في كنف الدولة الإسلامية، ويرعى حقوقهم كاملة، وهو ما يؤكد على التسامح الديني.

المطلب الثاني: التسامح الاجتماعي

نستطيع أن نعرف التسامح الاجتماعي بأنه: القدرة على التعايش مع المكونات الاجتماعية الأخرى، وتقبل الرأي الآخر، وعدم تهميش أي مكون من مكونات المجتمع، وإعطاء كل المكونات والشرائح الاجتماعية الحق في التعبير عن نفسها وآرائها وهويتها وخصوصياتها وثقافتها.

كما يعني أيضًا التعامل الأخلاقي



الراقي مع مختلف الشرائح والمكونات الاجتماعية، والسهولة في المعاشرة والاتصال، ولين المعاملة في القول والفعل والسلوك.

والتسامح الاجتماعي بهذا المعنى من أساسيات بناء المجتمعات

بصورة علمية وحضارية بعيداً عن لغة الإقصاء أو التهميش أو الإلغاء بما يساهم في إبراز الطاقات الكامنة والقدرات الكبيرة التي يتمتع بها مختلف المكونات لأي مجتمع إنساني. و«التسامح كحقيقة اجتماعية، لا

يمكن أن تتجسد من دون تطوير الثقافة المجتمعية التي تحتضن كل معالم هذه القيمة وحقائقها. ومن

ثم فإن المسؤولية الاجتماعية الأولى، هي العمل على تطوير ثقافة الحرية والتواصل وحقوق الإنسان، وبند العنف والإقصاء والمفاصلة الشعورية بين أبناء المجتمع الواحد. فلكي يبنى التسامح الاجتماعي وتسدود

علاقات المحبة والألفة وحسن الظن صفوف المجتمع، نحن بحاجة أن نعلي من شأن الثقافة والمعرفة القادرة على استيعاب الجميع بتنوعاتهم واختلافاتهم الاجتماعية والفكرية»^(٣٦).

ومما يؤدي إلى نشر ثقافة التسامح والمحبة بين الناس في المجتمع إشاعة ثقافة العفو والصفح، وتجنب حالات التعصب والاحتقان والتشنج المذهبي والديني والسياسي والاجتماعي؛ وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى قيمة العفو وأهميته - بالإضافة إلى العدل - بقوله: «شَيْئَانِ لَا يُوزَنُ ثَوَابُهُمَا: الْعَفْوُ وَالْعَدْلُ»^(٣٧).

إن على الإنسان بوصفه فرداً، وعلى المجتمع كجماعات وتيارات ومكونات مختلفة العمل والسعي لاكتساب فضيلة العفو والصفح، وتجنب روح الانتقام والثأر، حتى نبني مجتمعنا على روح التسامح



والتعايش والسلم والسلام، والابتعاد عن العوامل المسببة للأحقاد والضغائن والكرهية. أما من لا يعفو عن الآخرين، ويعيش حالة اللاتسامح؛ فهو من أشر الناس بنظر الإمام علي (عليه السلام) حيث يقول: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَعْفُو عَنِ الزَّلَّةِ، وَلَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ!» (٣٨).

وفي نص آخر يدعو الإمام علي (عليه السلام) إلى العفو عند المقدرة بقوله: «إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ» (٣٩). وما أحوج المجتمع اليوم - كما في كل عصر - إلى العفو والصفح عن المعارضين والمخالفين والمخطئين؛ لأن ذلك يسهم في بناء الدولة، وتثبيت استقرارها واستمرارها.

ولم يكتفِ الإمام علي (عليه السلام) بالدعوة إلى العفو والصفح؛ بل كان يعمل بذلك، ومن شواهد تسامحه وعفوه أنه لم يكن يعاقب أحداً على

سبه أو الإساءة إليه؛ بل كان يعفو عنهم ويصفح، فقد: جاء رَجُلٌ بِرِجَالٍ إِلَى عَلِيٍّ (عليه السلام) فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ يَتَوَعَّدُونَكَ فَفَرُّوا وَأَخَذْتُ هَذَا، قَالَ: «أَفَأَقْتُلُ مَنْ لَمْ يَقْتُلْنِي؟!»، قَالَ: إِنَّهُ سَبَّكَ، قَالَ: «سُبَّهُ أَوْ دَعْ» (٤٠).

وروي في نهج البلاغة: أن علياً (عليه السلام) كان جالساً في أصحابه فمَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ» (٤١)، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا (٤٢)، فإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلِمَسْ (فليلمس) أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَأَتِهِ».

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ: «قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهَهُ!» فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ (عليه السلام): «رُؤِيدًا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ أَوْ عَفْوٌ عَنِ ذَنْبٍ» (٤٣).

ومثل هذه القيم والأخلاقيات النبيلة كالتحلي بفضيلة العفو



والصفح والرحمة تعزز روح التسامح الاجتماعي، وتعطي كل فرد من أفراد المجتمع حقوقه كاملة، وتحرم أي شكل من أشكال انتقاص تلك الحقوق أو سلبها أو التعدي عليها. وإذا ما نظرنا إلى المجتمعات الإنسانية اليوم وجدنا أن المجتمع الذي يعرف كيف يدير خلافاته بحكمة وحنكة، ويسمح للجميع بالتعبير عن نفسه ووجوده تتعزز فيه قيم التسامح الاجتماعي، وتتقلص فيه أمراض التعصب والتطرف والتشدد.

المطلب الثالث: التسامح الفكري

خلق الله تعالى البشر مختلفين ومتفاوتين في عقولهم وإدراكهم للأشياء، فلكل إنسان شخصيته المستقلة، وتفكيره الخاص به، ونظرته للأمور، فكما ينفرد كل واحد منا ببصمة بنانه، وصورة وجهه، ونبرة صوته؛ كذلك ينفرد بلون تفكيره وتفكيره وميوله وذوقه ومزاجه، ونظرته الخاصة إلى الأشخاص والأشياء والقضايا المختلفة.

وانطلاقاً من هذا الأمر، فإن الاختلاف في القضايا الفكرية والعلمية أمر طبيعي، وذلك لما فطر عليه الناس من تباين في عقولهم وأفهامهم ومداركهم، يقول الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ

إن أولى خطوات تعزيز التسامح الاجتماعي يتطلب قبول الآراء المتعددة، والاستفادة من مختلف

مكوناتها المختلفة بالإقضاء والإلغاء والتهميش، وتشعر بالغبن والظلم فإنها تعاني من حالات التعصب والتطرف والانغلاق.

إن أولى خطوات تعزيز التسامح الاجتماعي يتطلب قبول الآراء المتعددة، والاستفادة من مختلف



نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا
وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٤﴾،

ويقول الإمام علي (عليه السلام): «إِنَّ هَذِهِ
الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا» (٤٥)؛

مما يعني أن العقول ليست بدرجة
واحدة، ومن ثم يتباين مستوى
الإدراك والفهم والوعي عند الناس،
مما يسبب اختلافهم في المواقع والآراء
والاجتهادات.

ومن الطبيعي بعد ذلك أن تتباين
الآراء الفكرية والثقافية المطروحة في
المجتمع، وتتعدد النظريات الفكرية،
وتختلف الاجتهادات حول مختلف
المسائل والقضايا، لكن المهم أن
يكون ذلك بصورة علمية، وأن
يطعم الاختلاف بتسامح فكري
بعيداً عن لغة الإقصاء أو الإلغاء
أو التهميش، مما يساهم في تطوير
أفكارنا ومراجعتها وفحصها والتأكد

من صوابيتها.

أما إذا ساد المجتمع تعصب فكري
لرأي واحد، أو وجهة نظر واحدة،
أو نظرية واحدة فهذا يؤدي إلى شيوع
التعصب الفكري، وتوليد التشدد
والتطرف، وهو ما يوصل في نهاية
الأمر إلى الغلو الفكري، فلا يرى
رأياً إلا رأيه، ولا فكرة إلا فكرته،
ولا اجتهاداً إلا اجتهاده!

وحرية الرأي والتعبير عنه هو
حق طبيعي لكل إنسان، فله حق
التكلم بما يشاء، وحق المحاجة
بالحق، وحق النقد لكل ما هو غير
صحيح عقلاً وشرعاً.

وقد مارس المسلمون الأولون
حقهم في التعبير عن آرائهم
وأفكارهم وتصوراتهم تجاه مختلف
القضايا المهمة، وذلك بإيعاز من
رسول الله (ﷺ) لأصحابه كي
يتمتعوا بحقهم في إبداء الرأي.
وقد عوّد الإمام علي (عليه السلام)



التسامح عند الإمام علي (عليه السلام).....

البيان

له، فقد روي عنه (عليه السلام) أنه قال: لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ: «لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ، وَأَرَى، فَإِنْ عَصَيْتَكَ فَأَطِيعَنِي»^(٤٨).

وهكذا فإن (التعبير عن الرأي) حق أساسي للرعية في أمورهم، وربما يكون واجباً عليهم تجاه الحاكم، يقول الإمام علي (عليه السلام): «وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ [الله] سَبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ: حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي»^(٤٩).

وهذا يشير إلى أنه في عهد الإمام علي (عليه السلام) كان هناك إصرار شديد منه من أجل ممارسة (حق الرأي) عملياً؛ لأن تقدم أي مجتمع لا يمكن أن يتم إلا في مناخ حر، بحيث تنمو فيه الأفكار الصالحة، والرؤى المتتجة، والأعمال الحضارية.

ومن دون ممارسة إبداء الرأي، تنعدم في المجتمع كل مقومات التقدم والحضارة، ولذا فإن من أبرز

أصحابه كذلك على (إبداء الرأي)، ولم يكتفِ بالتسامح تجاه الآراء المخالفة له، بل كان يشجع أصحابه على إبداء آرائهم، معتبراً إياها جزءاً من العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وواجباً من واجبات الرعية تجاه الراعي.

فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لَا تَكْفُؤُوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ؛ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أَخْطِيَّ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَّ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي»^(٤٦).

ويقول (عليه السلام): «وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا اِلْتِمَاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتِثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَنْقَلَ عَلَيْهِ»^(٤٧).

ولأن الإمام علياً (عليه السلام) إمام معصوم يجب على الناس طاعته، ولكن هذا لا يمنع من إبداء رأيهم



أسباب تخلف المسلمين اليوم هو انعدام الحرية ومحاربة الرأي الآخر، في حين أننا نجد المجتمع الإسلامي الأول تقدم بسرعة مذهلة، وذلك نتيجة لممارسة المسلمين لحق الرأي والتعبير عنه بحرية تامة.

وقد كفل الإسلام حق الرأي لكل إنسان بوصفه حقاً من حقوقه الأساسية، وعلى هذا الأساس، فإن الرأي الآخر يستمد شرعيته من حقه في التعبير عن رأيه وفكره وفلسفته في الحياة.

وفي نصوص عديدة عن الإمام علي (عليه السلام) يؤكد فيها على أصالة الحرية، وأن الإنسان يولد حراً، فقد جاء عن محمد بن جعفر العقبي قال:

«خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) ...
ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ آدَمَ (عليه السلام) لَمْ يَلِدْ عَبْدًا وَلَا أُمَّةً وَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَحْرَارٌ» (٥٠). وعنه (عليه السلام) قال: «لَا تَكُنْ

عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا» (٥١).
وعنه (عليه السلام) قال: «لَا يَسْتَرْفَنَّاكَ الطَّمَعُ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا» (٥٢).

هذه النصوص وغيرها تؤكد على حقيقة أن الأصل في الإنسان الحرية، فكل إنسان حر في عقيدته وفي فكره وفي عمله وفي قناعاته بشرط واحد فقط هو عدم تجاوز حقوق الآخرين، لأن هذا أمر مناف للحرية نفسها.

وقد سبق الإمام علي (عليه السلام) بمئات السنين ما نصّت عليه المواثيق والاتفاقات الدولية والإقليمية الخاصة بحقوق الإنسان وحقه في حرية الرأي والتعبير؛ حيث أن أقدم إعلان دولي تضمن حق الإنسان في التعبير عن آرائه وفكره هو إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي الذي صدر في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩م في الجمعية التأسيسية، الذي يتكون من ١٧ مادة: أن حرية التعبير «تقوم



على حق ممارسة كل عمل لا يضر بالآخرين» و«لا يجوز إزعاج أحد بسبب آرائه حتى الدينية منها» معتبراً حرية الفكر والرأي من أئمن الحقوق للإنسان، وذلك بالتأكيد على أن لكل مواطن الحق في أن يكتب ويتكلم ويطلع بحرية، على أن يكون مسؤولاً عن إساءة استعمال هذا الحق في الأحوال المحددة في القانون^(٥٣).

من كل ما سبق، نستطيع الاستنتاج بأن حق الرأي والتعبير عنه هو حق مكفول للإنسان - أي إنسان - في الإسلام، وكذلك في القانون الدولي، باعتباره حقاً أساسياً من حقوق الإنسان.

وعندما يتاح للجميع الحرية في إبداء آرائهم الفكرية والثقافية فإن ذلك يعزز من روح التسامح الفكري في المجتمع، ويقلص من مساحة اللاتسامح والتعصب

الفكري المقيت. إن شيوع التسامح الفكري في المجتمعات المسلمة وغيرها بحاجة إلى السماح بحرية التعبير عن الآراء المختلفة، والنظريات المتضاربة، والاجتهادات المختلفة، ثم نبحث عن الآراء الصحيحة، وبهذا نشجع على تنمية روح التسامح الفكري. أما إذا تعاملنا مع الأفكار إما أسود أو أبيض، سالب أو موجب، معنا أو ضدنا ولا مكان للوسط؛ فهذا يؤدي إلى شيوع التشدد الفكري، والتطرف الديني.

إن انتفاخ الذات، ورفض الرأي الآخر، وعدم السماع للنصيحة، واحترام الآراء المخالفة كلها دلائل على رفض التسامح الفكري.

إن علينا كمجتمعات إسلامية تنوع فيها الأديان والمذاهب والتيارات والتوجهات والمرجعيات والمدارس الفكرية أن نتعلم من



أمير المؤمنين (عليه السلام) أهمية السماح للأراء المختلفة بالتعبير عن نفسها ووجودها، والابتعاد عن الرأي الواحد، وإقصاء الآخرين حتى نشيع في مجتمعنا روح التسامح الفكري المنشود.

المطلب الرابع: التسامح السياسي

المقصود بالتسامح السياسي هو الاستعداد النفسي والعملية لتقبل جماعات وتيارات أو أفكار يعارضها المرء، والإقرار لهم بحقوقهم في ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية كافة التي كفلها لهم القانون^(٥٤).

وعرفه آخرون: بأن يكون لكل إنسان ذي أهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة الدولة في الداخل والخارج، وفي إدارتها ومراقبة السلطة التنفيذية، وقد حرص القرآن الكريم على منح الناس هذا المقدار الواسع من هذه الحرية حيث يرسم دعائم الحكم على أساس الشورى والحرية

والتسامح السياسي هنا أن تكون الأمة نفسها مصدر السلطات، وأن يكون للأفراد الحق في اختيار الحاكم، والحق في مراقبته، ومحاسبته على أعماله^(٥٥).

وحتى يتحقق التسامح السياسي يجب أن يقوم على العدل، والحرية، والشورى، والانفتاح، والحوار، وتقبل الآخر السياسي، وحق المعارضة، وحق النقد، وحق الجهر بالرأي السياسي.

والتسامح السياسي سواء بين الحاكم والمحكومين، أو بين الجماعات السياسية المختلفة، أو بين الدول المختلفة يساعد على إزالة التوترات وحالة النزاعات السياسية، ويضمن الأمن والسلام والاستقرار الاجتماعي والسياسي.



مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ تُصَلُّوا فِيهَا، وَلَا نَمْنَعُكُمُ الْفَيْءَ مَا كَانَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِينَا، وَلَا نَبْدَأُكُمْ بِحَرْبٍ حَتَّى تَبْدَأُونَا بِهِ»^(٥٦).

وفي رواية أخرى عن كثير بن نمر قال: بينا أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) على المنبر، إذ قام رجل وقال: لا حكم إلا لله ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا من نواحي المسجد يحكمون الله. فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يُبتغى بها باطل، حكم الله ينتظر فيكم، ألا إن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا: لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم شيئاً ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا. ثم أخذ في خطبته^(٥٧).

وبهذا فقد أوضح الإمام علي (عليه السلام) حقوق المعارضة في الأمور التالية:

وقد ضرب الإمام علي (عليه السلام) في عهده المبارك أروع صور التسامح السياسي، وتعامل مع معارضيه ومخالفه تعاملًا إنسانيًا رفيع المستوى، وأعطاهم حقوقهم السياسية والمدنية كاملة، بالرغم من أن مناوئيه كفّروه وحرضوا الناس على حكمه، ومع ذلك لم يسجنهم، ولم يمنع حقوقهم، ولم يقاتلهم إلا عندما بدأوا القتال، وعفى عنهم بعدما انتهت المعارك، بل وضمن لهم حرية الرأي والفكر والتعبير عن ذلك.

لقد حدد الإمام علي (عليه السلام) حقوق المعارضة بصورة واضحة وجلية للناس، فقد روي: أَنَّهُ [أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)] خَطَبَ بِالْكَوْفَةِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ! فَسَكَتَ عَلِيٌّ (عليه السلام)، ثُمَّ قَامَ آخَرٌ وَآخَرٌ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ:

«كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، لَكُمْ عِنْدَنَا ثَلَاثُ خِصَالٍ: لَا نَمْنَعُكُمْ

١. حق العبادة والتردد إلى المساجد .

٢. حق الفياء (التأمين ضد الجوع).

٣. حق النقد (التأمين من الخوف).

إن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) عندما ابتلي بمن عارضه سواء كانوا أفرادًا، أم كانوا جماعات وفرقًا، لم يقيم بكم الأفواه، ولم يمنع المعارضين من التجمع، وعقد الاجتماعات، ولم يضيّق الخناق على المعارضة بأي شكل من الأشكال، بل أعطاهم حقوقهم المشروعة كافة.

لقد بنى الإمام علي (عليه السلام) حكمه على أساس الشورى والحوار، ولم يتراجع عن هذين الأمرين حتى في أحلك الظروف وأصعب الأوقات، بالرغم من أن كثيرًا من الذين عارضوه كانوا ينطلقون من طمع في الحكم، أو حقد في النفس، أو حب في

الإثارة، أو فرار من عدل، أو رغبة في الدنيا، وليس من خلاف في الرأي، أو اختلاف في الفكر؛ ولكن للمعارضة حقوقًا يجب صيانتها، بغض النظر عما يكونونوا، وعما يريدون، وماذا تكون منطلقاتهم وأهدافهم الحقيقية.

وبذلك أرسى الإمام علي (عليه السلام) حق المعارضة وإبداء (الرأي الآخر)، والتعبير عن ذلك الرأي بأي وسيلة مشروعة، فلم يسجن أحدًا لمخالفته له في الرأي، ولم يمنع أحدًا من العطاء لأنه لا يتفق معه في موقف أو في رؤية، ولم يبطش بأحد خالفه في الفكر أو المعتقد؛ بل سمح لكل الآراء أن تعبر عن ذاتها وفكرها.

وروى المؤرخون: أن (الحريث بن راشد الشامي) كان عدوًا للإمام (عليه السلام)، فجاءه قائلاً له: والله لا أطعت أمرك، ولا صليت خلفك!، فلم يغضب لذلك، ولم يبطش به، ولم يأمر به بالسجن أو العقوبة، وإنما دعاه إلى



التسامح عند الإمام علي (عليه السلام).

الدين

الدين، وإذا كان كذلك لم يجز أن ينصر المسلمون سلطانه، وتحارب الخوارج عليه وإن كانوا أهل ضلال، لأنهم أحسن حالاً منه، فإنهم كانوا ينهون عن المنكر، ويرون الخروج على أئمة الجور واجباً» (٦٠).

وأدى هذا التعامل الإنساني والأخلاقي الرصين مع المعارضة إلى أن يأتي المعارضون لأخذ حقوقهم وأعطياتهم من الإمام (عليه السلام) مباشرة من دون خوف أو وجل، ولا يرون في معارضتهم ما يتناقض مع ذلك.

فقد روي أن عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، والمغيرة بن شعبة، جاءوا إلى الإمام (عليه السلام) يطلبون عطاءهم، وكانوا جميعاً قد اعتزلوا، فلم يشهدوا الجمل ولا صفين، وكان الإمام (عليه السلام) قد تركهم وشأنهم منذ اعتزلوا ولم يبايعوه، ولكن عطاءهم كان يصلهم في منازلهم (٦١). ولم يخرج الإمام علي (عليه السلام) أحداً

أن يناظره حتى يظهر أيهما على الحق، ويبين له وجه الحق لعله يتوب، فقال له الحريث: أعود إليك غداً، فقبل منه الإمام، فانصرف الرجل إلى قومه ولم يعد! (٥٨).

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بالعدل مع الخوارج، ومنحهم حقوقهم كاملة إبان المعارضة، بل أوصى بهم خيراً بعد وفاته، فقال قولته الشهيرة: «لا تُقاتِلوا (تقتلوا) الخوارج بعدي؛ فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأذركه» (٥٩).

قال ابن أبي الحديد: «مراده أن الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم، كانوا يطلبون الحق، ولهم في الجملة تمسك بالدين، ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها، وإن أخطأوا فيها. وأمّا معاوية فلم يكن يطلب الحق، وإنما كان ذا باطل، لا يُجامي عن اعتقاد قد بناه على شبهة، وأحواله كانت تدل على ذلك، فإنه لم يكن من أرباب

الله عَلَيْهِم» (٦٤).

وكان من صور التسامح السياسي عند الإمام علي (عليه السلام) أنه كان ينصح معارضيه تارة، ويدعوهم للحوار والمناظرة تارة أخرى، وكان يفتح قلبه لسماع آراء مخالفيه، ويصبر على أذى معارضيه، ولم يستعمل القوة إلا ضد من استعملها، أما من كان له رأي مخالف، أو موقف مغاير، فلم يستعمل الإمام (عليه السلام) ضد هؤلاء أي إجراء عقابي؛ بل كان يصبر على ضمان حقوق معارضيه، وينهى أصحابه عن سب مخالفيه.

وقد استعمل الإمام علي (عليه السلام)

الحوار مع الخوارج كوسيلة مهمة للتعامل معهم، وتغيير قناعاتهم، فقد قال (عليه السلام) مشيراً إليهم: «إِنْ سَكْتُوا تَرَكَنَاهُمْ، وَإِنْ تَكَلَّمُوا حَاجَبْنَاهُمْ، وَإِنْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ قَاتَلْنَاهُمْ» (٦٥)، فإذا عارضوا بالسلم فلا ضير في ذلك، وإذا تكلموا

من كان يخالفه في الرأي أو الفكر أو الموقف أو المذهب من دائرة الإسلام، بل كان يتعامل مع معارضيه على أنهم مسلمون.

فقد روي أن علياً (عليه السلام) لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكن كان يقول: «هُمْ إِخْوَانُنَا بَعَّوْا عَلَيْنَا» (٦٢)، وسئل علي (عليه السلام) عن أهل الجمل: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرّوا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم؟ قال: «إِخْوَانُنَا بَعَّوْا عَلَيْنَا فَنَصَرْنَا عَلَيْهِمْ» (٦٣).

وروى الإمام الحسين عن الإمام علي (عليه السلام): أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ أَمْشِرِكِينَ كَانُوا؟ قَالَ: مِنْ الشَّرِكِ فَرَّوْا، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مُنَافِقِينَ كَانُوا؟ قَالَ: الْمُنَافِقُونَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، فَقِيلَ لَهُ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: «قَوْمٌ بَعَّوْا عَلَيْنَا، فَنَصَرْنَا



وقال لرجاله بأن يردوا عليهم بما شاءوا من القول، لكنه لم يتخذ ضدهم إجراء عملياً»^(٦٦).

ويقول الدكتور عبد الكريم عثمان: «وفيما يتعلق بالصبغة السياسية فقد كانت حرية الرأي والتفكير مكفولة إلى حد بعيد. ونشير إلى مثال عام نقتبسه من خلافة علي (عليه السلام)، ذلك أنه عندما انشق عليه الخوارج وكانوا حوالي ثمانية آلاف، أرسل إليهم ابن عباس ليناظرهم، فاستطاع أن يقنع الكثيرين منهم بالحجة حتى عاد أربعة آلاف، أما من تبقى فقد أرسل إليهم علي (عليه السلام)

كتاباً يقول فيه: «كونوا حيث شئتم، بيننا وبينكم ألا تسفكوا دمًا حرامًا، ولا تقطعوا سبيلًا، ولا تظلموا أحدًا، فإن فعلتم نذر الحرب معكم، لا نبداً بقتال ما لم تحدثوا فسادًا»^(٦٧).

أما الكاتب المصري الأستاذ فهمي هويدي: فيرى في تجربة الإمام علي

حاجبتهم بالكلام وحده، أما إذا بدأوا الإفساد والقتال، فشأنهم شأن غيرهم من الناس لا بد من ردعهم ومواجهتهم، لأنه لا يمكن مواجهة من يشن الحرب إلا بقتالهم.

وكم جرى بين الإمام (عليه السلام) وبين الخوارج من نقاش حاد، لكن الإمام (عليه السلام) لم يكن يتخذ ضدهم موقفًا غير موقف المحاور معهم؛ رغم أنهم كفروه، واستباحوا دمه، وأعلنوا معارضتهم له؛ إلا أنه ضمن لهم حقوقهم كافة، وأنصفهم من نفسه، وتعامل معهم بإنسانية وتسامح عزّ نظيرها.

يقول أبو الأعلى المودودي: «لقد قابل علي بذاءات الخوارج في عهده بصدر رحب، وحدث أن قبض على خمسة منهم وأحضروا إليه وكانوا يكيلون له السباب علنًا حتى أنه أقسم أحدهم أمام الناس لأقتلن عليًا، ومع ذلك أطلق سراحهم،



(عليه السلام) مع الخوارج أنها: تجربة مليئة بالدروس التي يتعين علينا أن ندقق في ملامساتها، لنستوعب الحدود التي يحتملها الواقع الإسلامي لمباشرة ما نسميه في زماننا المعارضة السياسية أو المسلحة.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الفكر السياسي الإسلامي يبين كثيرًا من الاجتهادات على دروس تلك التجربة، الأمر الذي يدعونا إلى أن نحاول استرجاع تلك الدروس وما استخلصه فقهاء المسلمين منها.

فهنا تيار بارز بين فقهاء المسلمين يضم عددًا من أهل السلف والخلف استقر رأيه على أن الواقع الإسلامي يحتمل المعارضة السياسية التي يمكن أن تذهب بعيدًا في النيل من القيادات الحاكمة، سواء في سياساتها أو مدى إيمانها- الخوارج كفّروا الإمام علي (عليه السلام) فوق المنابر وتركهم وشأنهم- لكن الذي ليس

مقيّدًا عند هؤلاء المعارضة المسلحة التي تهدد كيان الدولة الإسلامية وتروّع سكانها وتجرح وحدتها^(٦٨). ولعل أهم ما نستطيع استنتاجه

من تجربة الإمام علي (عليه السلام) مع معارضيه أن للرأي الآخر مكانًا في الدولة الإسلامية، وأن الإسلام يكفل الحقوق المشروعة كافة للمعارضة السياسية السلمية، أما المعارضة المسلحة ضد الدولة الإسلامية فلا شرعية لها؛ إذ لا شرعية في محاربة الشرعية.

إن لدينا- نحن المسلمين- رصيّدًا فكريًا مدعّمًا بأرشف تاريخي كبير جدًّا يدل بوضوح على التسامح مع الآخر، وحقه في البقاء والحياة، والأمن من الأذى بمختلف أشكاله. ومن المؤسف حقًا أن تجد بعضًا لا يرى الحق إلا في ذاته، ويعمل بكل إصرار على إلغاء الآخر، ونشر التعصب والتطرف والغلو، كما أن



من الناحية النظرية والواقعية ترسيخ ثقافة التسامح والتعايش الإيجابي بين مختلف المكونات الاجتماعية.

والحاجة إلى التسامح الإيجابي ضرورة دينية قبل أن تكون حاجة واقعية، فالإسلام يربي أتباعه على التسامح كمبدأ أخلاقي وواجب ديني تجاه الآخر فضلاً عن الذات.

والإسلام الذي يأمر بالعدل وينهى عن الظلم ويدعو إلى عمارة الأرض وتدعيم أسس السلام والتعايش الإيجابي انطلاقاً من مبدأ أن كل البشر ينحدرون من نفس واحدة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٦٩).

ويريد الإسلام أن يربي أتباعه على تقبل التواصل مع الأمم والشعوب

كثيراً من الغربيين - والذين يقرأون الإسلام قراءة سطحية - ينظرون إلى الإسلام بوصفه لا يُقر التعددية، ولا يعترف بالرأي الآخر!.

إن كل تعاليم الإسلام وقيمه تحث على التسامح، واحترام الآخر، وإعطاء كل ذي حق حقه، انطلاقاً من أصالة الحرية، وحق الإنسان في الاختلاف. ومن أكبر الأدلة على ذلك التجربة الإسلامية الأولى التي قادها الإمام علي (عليه السلام) إبان حكمه، التي تؤكد وقائعها وشواهداها التاريخية، على سعة التسامح في الإسلام، والقبول بوجود الآخر، وضمان حقوق المعارضة كاملة.

المبحث الثالث: الحاجة إلى التسامح

إن حقائق التنوع والتعدد الديني والمذهبي والثقافي والفكري والحضاري موجودة في كل المجتمعات الإنسانية، بما فيها المجتمعات المسلمة، وهذا يفرض



والثقافات الأخرى كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾**^(٧٠) فالتعارف الإنساني هو السبيل نحو التآلف والتراحم والتعاون والتعايش والتسامح.

ولا يكتفي الإسلام بالدعوة إلى التعارف الإنساني والتعايش الإيجابي، والتسامح الفعال، بل يدعو إلى البر والقسط حتى مع الكفار غير الحربيين كما في قوله تعالى: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**^(٧١).

وهذا يؤكد على أن الاختلاف لا يجب أن يكون عائقًا أو حاجبًا عن التواصل مع الآخر، أو التعاون مع المكونات المتنوعة، فكل مجتمع إنساني تتعدد فيه الأعراف والأديان والمذاهب والأجناس يجب أن

يكون مصدر إثراء للمجتمع، وليس مصدرًا للتقاطع والتصادم والتحارب. وأي مجتمع متقدم ومتطور حضاريًا لا بد وأنه قد سلك مسلك الاستفادة الإيجابية من التنوع والتعدد والاختلاف، وهذا عين العقل والحكمة، بينما المجتمعات المتخلفة علميًا وحضاريًا تعاني من غلبة عقلية اللاتسامح والتعصب والتشنج بين مكوناتها الاجتماعية المختلفة.

وللأسف الشديد فإن كثيرًا من المجتمعات المسلمة تعاني اليوم من حالة اللاتسامح والاحتقان الديني والمذهبي، وتقلص مساحات التسامح ومجالات التعاون بسبب غلبة التعصب والتشدد والتطرف الديني والفكري والثقافي والسياسي عند مختلف الأطراف والمكونات الاجتماعية.



وهذا ما يفرض علينا جميعاً العودة إلى تعاليم الإسلام ووصاياه والأخلاق الفاضلة.

في الأخلاق والآداب الحائثة على التسامح والتعايش الإيجابي، والأخذ بها، والعمل بما جاء فيها، والتجمل بقيم التسامح والتآلف والانسجام والتواصل والتلاقي والتعاون.

كما أن في سيرة رسول الله (ﷺ) وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيراً من القصص والأمثلة والشواهد الدالة على التسامح والتعايش، كما أن في أقوالهم وكلماتهم وحكمهم (عليه السلام) ما يغني ثقافة التسامح، ولكن نحتاج إلى تطبيقها عملياً في واقعنا الاجتماعي العام.

ولا يمكن أن يتحقق التعايش من دون تسامح، ولا يمكن أن يتحقق التسامح من دون الالتزام بالأخلاق والآداب الإسلامية، التي أعطى رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) حياتهما من أجل ترسيخها

إن علينا أن نعكس ثقافة التسامح في مسيرتنا وسيرتنا وتعاملنا وأخلاقنا وثقافتنا حتى نصل لمرحلة



والتسامح الإيجابي الفعال، ونبتعد عن لغة اللاتسامح والإقصاء والإلغاء، فإن هذا يؤثر سلباً على بناء المجتمع وتقدمه وتطوره، فلا يمكن أن يتطور أي مجتمع إلا عندما تسود فيه أخلاقيات التسامح، وتتجذر ثقافة تقبل الآخر، والالتزام بأداب الاختلاف.

ومن العقل والحكمة أن ننظر إلى تعددية الآراء والأفكار والاجتهادات في أي حقل من حقول المعرفة والعلم على أنه ثروة علمية وحضارية لا تقدر بثمن، فالتعددية دليل على وجود عقول كبيرة ومتنوعة في التفكير والمنهج العلمي، وقادرة على العطاء والإنتاج العلمي والمعرفي.

وتنمو ثقافة التسامح والتعايش في ظل التعددية الفكرية والعلمية عندما يسود المجتمع أجواء الحرية الفكرية التي دعا إليها الإسلام، أما عندما تسود أجواء الكبت الفكري

والقمع تجاه أي رأي مخالف فإن ثقافة اللاتسامح والإقصاء تكون هي السائدة. ولا يصح بأي حال من الأحوال مصادرة الآراء والأفكار المغايرة، والحجر على أي رأي مخالف، بل يجب تشجيع الإنتاج الفكري، والإبداع العلمي حتى يتطور المجتمع ويتقدم حضارياً.

ثم إنه لا يجوز أن يؤدي التعدد في الرأي أو الفكر أو الاعتقاد أو المنهج إلى إفساد ما بين الناس من التآلف والتعاون والاحترام والانسجام، وهذا ما يشير إليه القول المشهور: «الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية»^(٧٢).

ولكن للأسف فإن واقعنا الاجتماعي المعاصر في أكثر البلدان الإسلامية وغيرها أصبح مساحة القبول بالرأي والرأي الآخر، والتسامح تجاه المخالف الآخر،



مما ساهم في تقدم البشرية خطوات كبيرة على طريق البناء الحضاري، وقد كان ذلك التقدم العلمي أساساً في إقامة النهضة الأوربية الحديثة.

نتائج البحث

في خاتمة هذا البحث عن التسامح عند الإمام علي (عليه السلام) نستخلص النتائج الآتية:

١. إن الإسلام يدعو إلى التحلي بفضيلة التسامح سواء على الصعيد الفردي أم على الصعيد الاجتماعي أم في الحياة العامة، باعتبار أن التسامح فضيلة وقيمة من القيم والفضائل الكبرى التي يجب التخلق والتحلي والتجمل بها.

٢. ثبت عبر استعراض أقوال أهل اللغة الإيحاء الإيجابي لمفردة التسامح والتي تشير إلى اللين والتساهل في التعامل، والجود والكرم والسخاء والعطاء، وأن الباعث على ذلك هو العزة والرفعة والتسامي، ولا

والتعايش مع المختلف تتقلص مساحتها بفعل عوامل اجتماعية وفكرية وسياسية سائدة.

ولأجل مصلحة المجتمع وتقدم الأوطان يجب إشاعة روح التسامح تجاه الآراء والاجتهادات والنظريات الفكرية المختلفة؛ فهذا هو سبيل التقدم والتطور والازدهار.

ويجب على الأمة الاقتداء والتأسي بأمر المؤمنين (عليه السلام) في التحلي بأخلاقيات التسامح، وإعطاء الناس حقوقهم كافة، والسماح لكل الآراء بالتعبير عن نفسها؛ فقد أدى وجود الحرية والتسامح في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى ازدهار

العلوم والثقافة، وامتلاء المكتبات الإسلامية بالذخائر المعرفية المختلفة من شتى العلوم والفنون في الفلسفة والمنطق، والتوحيد والأصول والفقه والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك والرياضيات وغير ذلك،



يعني التسامح أي نوع من أنواع الضعف والانهزام والذلة، أو التنازل عن المعتقدات والقناعات الدينية والفكرية؛ بل أن التسامح من أعلى مراتب القوة والسمو والأخلاق. ٣. إن القاعدة الفقهية (قاعدة الإلزام) التي تقول (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم) تعني إعطاء الآخر الديني الحق في الالتزام بما يعتقدده ويراه صحيحًا طبقًا لمذهبه أو دينه؛ وهذه القاعدة الفقهية التي يعمل بها جُلُّ الفقهاء- وهو المشهور عندهم- تدل على إنسانية الإسلام، وتأصيل روح التسامح تجاه الآخر الديني؛ وهي تؤسس للحرية الدينية لأتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، وأتباع الأديان الأخرى، وتتيح لهم العمل على وفق عقائدهم وأحكامهم، وفي هذا إقرار بقبول التعايش معهم.

٤. تؤكد المنظومة الأخلاقية التي شرعها الإسلام ورغب فيها وحثَّ

عليها على الالتزام بمنهج التسامح، والابتعاد عن التعصب والتطرف، وتجنب الإساءة أو التجريح أو التحقير أو الإيذاء للآخرين.

٥. ثبت أن سيرة الإمام علي (عليه السلام) الأخلاقية والإنسانية اتسمت بروح التسامح، وكان كثير السماحة والعفو والصفح من موقع القوة والقدرة حتى عن خصومه ومعارضيه، وهذا من أوضح تجليات التسامح.

٦. إن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد أصّل لشرعية المعارضة في الدولة الإسلامية، من خلال تعامله مع معارضيه من الخوارج وغيرهم، والتكفل بضمان حقوقهم كاملة، والسماح لهم بالتعبير عن آرائهم، وممارسة شعائرهم، ما داموا يمارسون أعمالهم بسلم وسلام. ٧. اتضح بشكل جلي الدور المهم للإمام علي (عليه السلام) في ترسيخ مختلف أنواع التسامح وأقسامه سواء عبر



كلماته وأقواله وحكمه البليغة، أم عبر سيرته العملية الأخلاقية والمعنوية والإنسانية والفكرية والاجتماعية والسياسية.

١٠. التأكيد على ضرورة أن يكون

٨. الكشف عن حاجة المجتمعات المسلمة إلى تعزيز روح التسامح في مختلف أقسامه وأنواعه كالتسامح الديني، والتسامح الأخلاقي، والتسامح الاجتماعي، والتسامح الفكري، والتسامح السياسي.

٩. إنه لا يمكن أن يتحقق التعايش من دون تسامح، ولا يمكن أن يتحقق التسامح من دون الالتزام بالأخلاق والآداب والقيم الإسلامية، التي

الاقتداء والتأسي بسيرة الإمام علي (عليه السلام) منطلقاً لانعكاس ذلك في المجتمع، وتحويله إلى منهج عملي في التسامح، فالمجتمعات المسلمة أحوج ما تكون اليوم إلى التحلي بالقيم الأخلاقية، والتعامل بتسامح عظيم مع مختلف الآراء والتوجهات والتيارات والمكونات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية، بعيداً عن خطاب الكراهية والعنف والتعصب المذموم.



الهوامش

١٢. سورة الإسراء، الآية: ٢٨.
١٣. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
١٤. سورة فصلت، الآية: ٣٤.
١٥. عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية، ابن جمهور الأحسائي، دار التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٨١، الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٨٦، كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٧٨..
١٦. الإسلام والإصلاح الثقافي، زكي الميلاد، دار أطيفاف، القطيف- السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص ١٤٣- ١٤٤.
١٧. كتاب الوافي، الفيض الكاشاني: محمد بن مرتضى، تحقيق: السيد علي عبد المحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ج ٧، ص ٣٩.
١٨. سورة الحج، الآية: ٧٨.
١٩. سورة البقرة، الآية: ١٣٥.
٢٠. كتاب الوافي، الفيض الكاشاني: ج ٧، ص ٣٩.
٢١. الإسلام والإصلاح الثقافي: ص ١٤٥.
٢٢. روح التسامح، دار التوحيد، الكويت، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص ٥٨.
٢٣. سورة المائدة، الآية: ٨.
٢٤. سورة الممتحنة، الآية: ٨.
٢٥. وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط، د. أحمد صدقي الدجاني، دار المستقبل

١. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الحديث، القاهرة- مصر، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص ٥٥٧- ٥٥٨، حرف السين «سمح».
٢. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص ١٥٣.
٣. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٧٠، ص ٣٠٧، ح ٣٤.
٤. المصدر نفسه، ج ٧٥، ص ١١٤، ح ١٠.
٥. المصدر نفسه، ج ٧٥، ص ١٠١، ح ١.
٦. معجم مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص ٦٤٣- ٦٤٤، فصل السين: «سمح».
٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول- تركيا، (د.ت)، ص ٤٤٧.
٨. التسامح في الإسلام، أحمد حميد عبود العلواني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص ٤٣.
٩. قضايا في الفكر المعاصر: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ٣١.
١٠. التسامح في الإسلام، ص ٤٣- ٤٤.
١١. التسامح ليس منة أو هبة، مجموعة من الباحثين، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص ١٥٥.



- العربي- القاهرة ط ١، ١٩٩٠م، ص ١١٧.
٢٦. سورة الكافرون، الآية: ٦.
٢٧. الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٢٦، ص ١٤٨، رقم ٢٤٨٨٩.
٢٨. البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج ٥، ص ٦٧. مكاتيب الرسول، الأحمدي الميانجي، دار الحديث، قم، ط ١، ١٤١٩هـ، ج ٣، ص ١٤٨.
٢٩. تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٨٢.
٣٠. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط ٤، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ج ٤، ٥٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٣، ص ٦٠٠.
٣١. سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
٣٢. في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية، ج ٤، ص ٥٠.
٣٣. راجع: بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٥٦.
٣٤. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ٢٩٣، ح ٨١١.
٣٥. اقتصادنا: السيد محمد باقر الصدر، مؤسسة الإعلام الإسلامي، قم، ط ٢، ١٤٢٥هـ، ص ٦٦٩.
٣٦. التسامح ليس منة أو هبة: ص ٢٠٦-٢٠٧.
٣٧. غرر الحكم: ٥٧٦٩. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٣.
٣٨. غرر الحكم: ٥٧٣٥. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٣.
٣٩. نهج البلاغة: ج ٤، الحكمة ١١. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، ج ٥، ص ٢٠١٤، رقم ١٣٢١١.
٤٠. كنز العمال: ٣١٦١٦.
٤١. طمّح بصري إليه: أي امتدّ وعلا (لسان العرب: ٢ / ٥٣٤).
٤٢. الهبة: هياج الفحل، وهبّهياً: هاج ونَبّ للسفاد، وقيل: الهبّة: صوته عند السفاد (لسان العرب: ١ / ٧٧٨).
٤٣. نهج البلاغة، ج ٤: الحكمة ٤٢٠.
٤٤. سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
٤٥. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط ٤، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ج ٤، ص ٦٩٥، الحكمة ١٤٧.
٤٦. نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.
٤٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٧، ص ٢٣٥.
٤٨. نهج البلاغة: الحكمة ٣٢١.
٤٩. نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.
٥٠. الكافي: ٨ / ٦٩ / ٢٦.
٥١. نهج البلاغة: الكتاب ٣١.
٥٢. غرر الحكم: ١٠٣١٧.
٥٣. دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وموقف التشريع الإسلامي منها، د. سعيد محمد أحمد باناجة، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت،



- ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ١٥. ولزيد من الإطلاع
انظر نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.
٥٤. ثقافة التسامح في ضوء التربية والدين،
د. رشدي أحمد طعمة ود. محمد عبد الرؤوف
الشيخ، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط ١،
١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص ١٨ (بتصرف).
٥٥. التسامح في الإسلام، أحمد حميد العلواني،
ص ١٤٣.
٥٦. دعائم الإسلام: ج ١، ص ٣٩٣. مستدرك
الوسائل: ج ١١، ص ٦٥.
٥٧. المصنف، ابن أبي شيبة، دار القبلة للثقافة
الإسلامية، جدة- السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ-
٢٠٠٦م، ج ٢١، ص ٤٥٤-٤٥٥.
٥٨. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جاب
البلاذري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
بيروت- لبنان، ط ١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ج ٢،
ص ٤١١، (بتصرف).
٥٩. نهج البلاغة: الخطبة ٦١. مسند الإمام علي
(عليه السلام): السيد حسن القبانجي، ج ٤، ص ٣٢٤، ح
٤٣٧٤ / ٢٢.
٦٠. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٧٨ / ٥.
٦١. علي إمام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي، ج

- ٢، ص ١٤٢.
٦٢. بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٢٤، رقم ٢٩٨.
٦٣. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري
الطبرسي، ج ١١، ص ٦٨، والمصنف، ابن أبي
شيبه، ج ٢١، ص ٣٦٨-٣٦٩.
٦٤. الجعفریات: ص ٢٣٤، مسند زيد: ص ٤١٠
وفيه «أهل الجمل وصفين وأهل النهروان»
بدل «أهل النهروان».
٦٥. في ظلال نهج البلاغة: الشيخ محمد جواد
مغنية، ج ١، ص ٢٥٢.
٦٦. الحكومة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي،
الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة- المملكة
العربية السعودية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ٤٠٨.
٦٧. معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة-
بيروت، ط ١٤، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩- ص ٦٦.
٦٨. (التعددية والمعارضة في الإسلام)، فهمي
هويدي مجلة العربي، العدد ٣٥٤، السنة الحادية
والثلاثون، مايو ١٩٨٨م، ص ٣٢.
٦٩. سورة النساء، الآية: ١.
٧٠. سورة الحجرات، الآية: ١٣.
٧١. سورة الممتحنة، الآية: ٨.
٧٢. ينسب هذا القول للدكتور أحمد لطفي
السيد (ت ١٩٦٣ م)، أول رئيس لجامعة القاهرة.



قائمة المصادر والمراجع



٢٧٩هـ / ٨٩٢ م)، أنساب الأشراف، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١،
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٨. الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر،
مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١،
١٩٩٧م.

٩. الجوهرى، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)،
الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار
الحديث، القاهرة- مصر، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٠. الدجاني، الدكتور أحمد صدقي، وحدة
التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط،
دار المستقبل العربي- القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

١١- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
(ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المكتبة العصرية،
بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٢- الري شهري، محمد (معاصر)، ميزان
الحكمة، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت-
لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٣- زيد الشهيد الهاشمي العلوي، زيد بن علي
بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٢هـ)،
مسند زيد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-
لبنان.

١٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن
كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر
الخضيري الأسيوطي (ت ٩١١هـ)، الجامع
الصغير، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-

١٩٨١ م.

* القرآن الكريم.

١- ابن أبي جمهور الأحسائي، محمد بن علي بن
إبراهيم بن حسن بن إبراهيم (ت ٩٠٩هـ)،
عوالي السالكين العزيمية في الأحاديث الدينية، دار
إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١،
١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢- ابن أبي شيبه، أبو بكر عبد الله بن محمد
الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، المصنف، دار قرطبة،
بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ)،
تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ،
بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن
كثير بن ضوء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية
والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١،
١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥ ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/
١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-
لبنان، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٦. باناجه، سعيد محمد أحمد، دراسة مقارنة حول
الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونصوص الميثاق
الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية
والثقافية وموقف التشريع الإسلامي منها،
مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ -
١٩٨٥م.

٧- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت



١٥. الشرقاوي، عبد الرحمن (ت ١٩٨٧ م)، علي إمام المتقين، (د. ط)، (د. ت).
١٦. الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم (ت ٤٠٦ هـ)، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت- لبنان، ط ٤، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.
- ١٧- الصدر، السيد محمد باقر (ت ١٩٨٠ م)، اقتصادنا: مؤسسة الإعلام الإسلامي، قم، ط ٢، ١٤٢٥ هـ.
- ١٨- الطبرسي، ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠ هـ)، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، دار الهداية، بيروت- لبنان، ط ٥، ١٤١٢ هـ- ١٩٩١ م.
- ١٩- الطريحي، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن طريح (ت ١٠٨٥ هـ)، معجم مجمع البحرين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.
٢٠. طعمة، د. رشدي أحمد طعمة، ود. محمد عبد الرؤوف الشيخ، ثقافة التسامح في ضوء التربية والدين، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط ١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.
- ٢١- عثمان، عبد الكريم، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ١٤، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.
- ٢٢- العلواني، أحمد حميد عبود، التسامح في
- الإسلام، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣ م.
- ٢٣- الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى (ت ١٠٩١ هـ)، كتاب الوافي، تحقيق: السيد علي عبد المحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٣٢ هـ- ٢٠١١ م.
- ٢٤- القبانجي، السيد حسن، مسند الإمام علي (عليه السلام)، تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.
- ٢٥- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، ضبطه وصححه وعلّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م.
- ٢٦- الكوفي، أبو علي محمد بن محمد بن الأشعث (المتوفى في القرن الرابع)، الجعفریات أو الأشعثيات: لإسماعيل بن موسى بن جعفر... بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: مصطفى صبحي، تصحيح: علاء الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣ م.
- ٢٧- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، د. ط، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.
- ٢٨- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقی (١١١١ هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت (عليه السلام)، ط ٤، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.



- ٢٩- مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول- تركيا، (د. ط.)، (د. ت.).
- ٣٠- مجموعة من الباحثين، التسامح ليس منة أو هبة، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- ٣١- مغنية، محمد جواد (ت ١٩٧٩ م)، في ظلال نهج البلاغة: محاولة لفهم جديد، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٣م.
- ٣٢- المؤلف مجهول، روح التسامح، دار التوحيد، الكويت، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
- ٣٣- المودودي، أبو الأعلى (ت ١٩٧٩ م)، الحكومة الإسلامية، الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- ٣٤- الميانجي، علي الأحمد (ت ١٤٢١ هـ)، مكاتيب الرسول، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ٣٥- الميلاد، زكي، الإسلام والإصلاح الثقافي، دار أطياف، القطيف- السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- ٣٦- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- ٣٧- هويدي، فهمي، التعددية والمعارضة في الإسلام، مجلة العربي، تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٣٥٤، السنة الحادية والثلاثون، مايو- ١٩٨٨م.
- ٣٨- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي، علّق عليه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.





عَلِيٌّ كَرِيمٌ

عَلِيٌّ كَرِيمٌ

قَالَ اللَّهُ

عَلِيٌّ كَرِيمٌ

قَالَ اللَّهُ

عَلِيٌّ كَرِيمٌ

قَالَ اللَّهُ

سَلَامٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ



السياسة الاقتصادية
للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ودورها في بناء الإنسان

The economic policy of'
Imam Ali bin Abi Talib and its role in
building the human

بلال كاظم حيدر الجوّادي
د. حيدر قاسم مَطَر التميمي
(بيت الحكمة - بغداد)

Bilal Kadhum al-Jawadi
Dr. Haidar Qasim al-Tamimi
(House of Wisdom – Baghdad)

ملخص البحث

تنعكس السياسات الاقتصادية للحكومة في أفكارها وسلوكياتها على المجتمع في تشكيلاته كافة، بما تتخذه من وسائل في معالجة المشكلات التي تعصف بالمجتمع، وعندما أصبح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حاكماً للدولة الإسلامية أحدث انتقالاً في الوضع الاقتصادي بعد ما كان الانس في العصور التي سبقتة يعانون من مشاكل اقتصادية ومالية حادة، ولما تسنم سدة الحكم بدأ بالتوزيع العادل بين فئات المجتمع، وقد انتهج لذلك جملة من السبل أصلح بها الهيكل الاقتصادي للأمة، وكان في كل ذلك يعتمد على القرآن والسنة النبوية. وسنعمل في هذا البحث على الكشف عن جوانب العدالة الاجتماعية التي تضمنتها سياسة الإمام علي (عليه السلام)، ودورها في بناء الأساس الاقتصادي بين المسلمين.



Abstract

Imam Ali Ibn Abi-Talib Economic policy and it's Pole in Human Construct.

Any government economic policies are reflected in it's ideas and behaviors in solving social and economic problems of society. By the time Imam Ali (pbuh) becomes the successor the Islamic state was in an ideal economic situation thanks to the wealth has gained as a result of the past Islamic conquest, But at the sometime a lot of people were facing severe economic and financial problems therefore Imam Ali (pbuh) stops the Islamic conquest and begins equal and fair distribution of income earned from conquests. He has made this a priority procedure in his economic reform plan. Those efforts have made by Imam Ali (pbuh) during his short period reformed the economic structure. This policy was obviously based on holy Quran and the prophetic Sunnah. We're trying through that to declare the social justice that ensured by Imam Ali policy and it's role in Muslim construct in particular.





المقدمة

وتراكم المظالم وشيوع ذهنيّة الإقصاء

والتهميش واحتقار الآخر وازدراؤه

أحياناً، مما جعل الكثيرين يتجرعون

الويلات ويتنفسون ضنك المعيشة.

لقد خلّق الله الإنسان في أحسن

تقويم، وكرّمه وفضّله على كثير

ممن خلق تفضيلاً، وجعله خليفته

في أرضه، وجعل من سلالته الأنبياء

والرُّسل، وأعطاه من العقل والروح

والأحاسيس والمشاعر ما لم يُعطِ

أحدًا من العالمين، فالروح والنفس

والعقل والقلب، هبةٌ ومدد، عطايا

ونعم جليّة لا تُقدَّر بثمن، تكرّم

بها الباري على الإنسان، وبها ارتقى

وسمًا بمكانته بين سائر المخلوقات،

لقد تجلّت قدرة الخالق العظيم

حين خلق الإنسان فصوّره فأحسن

صورته، وأودع فيه طاقة العلم

والإرادة والحكمة، قال (عجل): ﴿يَا

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ

* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي

إنّ بناء ذات الإنسان فكريًا

ووجدانيًا وبدنيًا هو الواجب الأكثر

استعجالًا في هذا الوجود، وهو

رأس الأمر وحجر الزاوية في التنمية

الشاملة، وإذا كان التأسيس للتنمية

الشاملة يُعدّ تحديًا فإنّ التحدي

الأكبر والسؤال المحوري في الساحة

هو: كيف نصنع الإنسان على وفق

الملمح والمواصفات التي نريد؟

على أساس أنّ هذا الأخير وسيلة

التنمية وغايتها في آنٍ واحد، وما

أكثر الأخطاء والمُنزلقات والمخاطر

المُترتبة عن إغفال هذه القضية

الجوهريّة والأساس في حياتنا،

التي لم تنل الاهتمام اللازم والعناية

المُستحقّة لدى كثيرٍ من إدارات

الدول والحكومات على مرّ التاريخ

الإنساني لا الإسلامي فحسب، ممّا

أدّى إلى انتشار كثير من الخلافات

والصراعات، والحروب والمآسي،



أَيُّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿سورة الانفطار، الآيات: ٦-٧-٨﴾

وهدف هذه الدراسة إلى بيان

فصلاح الكون وصلاح الحياة

بصلاح الإنسان، وذلك بأن

يستقيم على أمر الله (ﷺ) في كلِّ

شؤون حياته، قال (ﷺ): ﴿قُلْ إِنَّ

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة

الأنعام، الآيتان: ١٦٢ - ١٦٣).

ولتحقيق ذلك لا بدَّ من تربية إيمانية

إسلامية عميقة راشدة، فهي الرهان

الأكبر الذي تُعلَّق عليه الآمال لردِّ

المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلاً، وهذا

ما سلكه بالفعل رسول الله (ﷺ)

مع آل بيته الأطهار والرعيّل

الأول من صحابته الأخيار، إذ ركّز

على ترسيخ العقيدة، وتعميق معاني

التوحيد فكرياً وعاطفةً وسلوكاً،

فضلاً عن تركية النفس وتطهير

القلب بما شرَّعه الله (ﷺ) من

عباداتٍ وطاعاتٍ وقربات.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان

أهمّ عاملٍ قد يدفع الإنسان إلى

البذل والعطاء لأجل بناءٍ صالح

قويم، عن طريق تسليط الضوء على

مثالٍ واقعي لتجربة رائدة عاشت

في القرن الأول الهجري، قامت

بتشيده شخصيّة تُعدّ مثلاً أعلى لدى

المسلمين؛ بل لدى العالم أجمع، بما

تمثله من استيعاب عميق للمنهج

الإسلامي وتجسيده على أرض الواقع

سواء أكان على الصعيد الشخصي أم

على صعيد بناء الدولة. ذلك هو

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)،

وهنا ينبغي التأكيد على أن الأمثلة

المستوردة من تجارب عاشت أو

تعيش خارج نطاق العالم الإسلامي

وتاريخ المسلمين تواجه صعوبةً

كبيرة في إعطاء رؤية واضحة للفرد

المُسلم عن مثلها الأعلى، ومثلها

الذي تحتذيه وتدعو إلى تجسيده



بين المسلمين؛ لأنَّه غريبٌ عنهم لا يملكون عنه إلاَّ رؤىً باهتةً ومتهافئةً، فالديمقراطية والاشتراكية والمادية والشيوعية وما إلى ذلك من المذاهب والاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي مارسها الإنسان خارج العالم الإسلامي وتجسَّدت في أشكالٍ مختلفة واتخذت صيغاً متفاوتة لا تُوحى إلى الفرد المسلم بصورةٍ محددة واضحة المعالم؛ بل إنَّه يجد أشد الحكومات تعسفاً ودكتاتوريةً تحمل كلمة الديمقراطية جزءاً من اسم الدولة، ويجد أشد الحكومات دوراناً في الفلك الاشتراكي تُعاني من تمييزاتٍ لا حدَّ لها، ويجد المثل الأعلى لأمةٍ من الناس يتهاوى بعد ذلك ويكفر به أولئك الناس أنفسهم، فهذا (ستالين) الذي ألَّهه شعبه يُطرد من الجنَّة بعد موته وتُتنزع منه أوسمة المجد، وذاك (ماو) يتحول في أقلِّ من ربع قرن

من مُطلَق في مقاييس الثوريين إلى رجلٍ تجب مراجعته من جديدًا. لذلك، فإننا سنعمد في دراستنا هذه إلى تسليط الضوء على أدقِّ تفاصيل السياسة الاقتصادية والمالية التي انتهجها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، سواء في فترة تسنمه دفة الحكم (٣٥-٤٠هـ/٦٥٦م) أم قبل ذلك، عن طريق الآراء والنصائح التي كان يقدمها لمن سبقه من الحكام. هذه السياسة التي كانت بطبيعة الحال مبنيةً على القرآن الكريم والسنة النبوية المُطهَّرة واجتهاده فيما كان يستجد من موضوعاتٍ ومواقف، محاولين عن طريق ذلك بيان العدالة الاجتماعية التي ضمَّنتها سياسة الإمام ودورها في بناء الإنسان المسلم على وجه الخصوص، وما تركه لنا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) العديد من الوصايا والرسائل والكتب تُشكِّل



نماذج فكرية كاملة في كلِّ مجالات الحياة، وهي تهدف إلى إصلاح العباد والبلاد واستقامة الأمر فيها، ولعلَّ من الصعب الإحاطة بكلِّ مضامينها ومعانيها، فهي معيَّنٌ ثرٌّ لا ينضب، من المعالجات والحلول الواقعية والعملية لشؤون المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والبيئية وغيرها. فكان سلوك الإمام منسجماً تماماً مع أقواله، من دون تمييز بين المسلمين والمعاهدين، وبين أصحابه ومُبغضيه، وبين العرب وغيرهم، وبين أقربائه وخصومه، كونه كان مؤمناً أن الناس كلَّهم إمَّا أخوةٌ في الدين أو سواسية في الخلق.

وقد تضمَّنت الدراسة، إلى جانب هذه المقدمة، مبحثين: أمَّا الأول، فقد حاولنا فيه بيان مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام، ثمَّ بيان ملامح تلك العدالة في سياسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مع

التركيز على بعض أهمِّ جوانب هذه السياسة، كالتطرق إلى موضوعات (العمل) و(الرقابة الاقتصادية)، وأخيراً، محاولة استنباط الفكر الاقتصادي للإمام المودع بين ثنايا كتاب نهج البلاغة.

وفي المبحث الثاني تركَّز عملنا على تسليط الضوء على محورية الإنسان في السياسة الاقتصادية لأمر المؤمنين (عليه السلام)، ودور هذه السياسة في بناء المجتمع الإنساني بصورة عامة، مع استعراض موجز لأبرز الإجراءات العملية التي وجَّه بها الإمام إبان مدة تسنُّمِه سدة الحكم.

وأخيراً، فإنَّ منهجنا الذي اتبعناه في مضامين دراستنا هذه، بالإمكان أن نحدده بالمنهج الوصفي - النظري، سواءً أكان بالنسبة للموضوع الرئيس لها، أم لما ضمَّناها من موضوعات وإشكالياتٍ بحثية جانبية.

والله (عزَّ وجلَّ) نسأل أن يُمِّنَّ علينا





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 بقبول العمل، وأن ينفع به. وله الحمد أولاً وآخراً.

المبحث الأول:

ملامح العدالة الاجتماعية

في السياسة الاقتصادية للإمام علي بن

أبي طالب (عليه السلام)

إنَّ الحديث عن العدالة الاجتماعية في السياسة المالية والاقتصادية لعليِّ بن أبي طالب (عليه السلام)، يقتضي التعرف على المرحلة التي مرَّت بها الدولة الإسلامية قبله، وتحديدًا في الشطر الأخير من حكم عثمان بن عفان، إذ يمكننا القول بأنَّ الدولة الأموية البعيدة عن نهج الإسلام القويم كانت قائمةً بالفعل في تلك المرحلة، وأعني في الشام خاصة، وما تراكم لديها من ثرواتٍ بسبب ما تمتعت به من امتيازاتٍ خاصة على سائر أفراد الرعية؛ لقرابة الحكم، أسهم بشكلٍ فاعل في تمكينها في الأرض، وجعل منها عائقًا ضخماً أمام سياسة أمير



المؤمنين (عليه السلام) الإصلاحية، إلاَّ أنَّه وبالرغم من ذلك فقد عمَد الإمام إلى أن «انتزَعَ أملاًكاً كان عثمانُ أقطَعها جماعةً من المسلمين، وقَسَمَ ما في بيتِ المالِ على الناس، ولم يُفضِّل أحداً على أحدٍ»^(١).

في هذا الظرف الصعب، جاء الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليرد التصور الإسلامي للحكم إلى نفوس الحُكَّام ونفوس الناس على السواء.. ولم يكن من اليسير أن يرد الأمر إلى نصابه في هواده. جاء ليأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها، ويختم هو على جراب الشعير، ويقول: «لَا أَحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِي إِلَّا مَا أَعْلَمُ»، وربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام، وكره أن ينزل القصر الأبيض بالكوفة مؤثراً عليه الخِصاص التي يسكنها الفقراء، ومثل هذا وغيره كثير مما حَفَلت به كتب السِير^(٢).

ولا ريبَ أنَّ عليًّا حين ألزم نفسه

وأهله بحياة الشظف هذه، لم يكن يجهل أن الدين يُبيح له فوق ما ألزم به نفسه وأهله، وأنَّ حظَّه من بيت المال في ذلك الحين - بوصفه فردًا من المسلمين - يبلغ أضعاف ما يأخذ، وأنَّ راتبه بوصفه أميرًا للمؤمنين يؤدي خدمةً عامة، أكبر من هذا لو شاء أن يأخذ مثلما سبق وإنَّ خصَّص عمر بن الخطَّاب لبعض ولايته على الأقاليم.

ما صنع عليٌّ بنفسه ما صنع وهو يجهل هذا كله... إنَّما كان يعلم أنَّ الحاكم مظنَّة وقدوة... مظنَّة التبجح بالمال العام إذا كان تحت سلطانه، وقدوة الولاية والرعية في التحرج والتعفف، كذلك فإنَّ حياة الإمام (عليه السلام) كأوساط الناس أو من هم دونهم، مدعاة للإحساس التام بما ينبغي أن يقوم به تجاههم في رفع مستواهم المعاشي تحقُّقًا للرفاهية الواجبة لكلِّ فردٍ من أفراد الأمة.

١. العمل عنصرًا رئيسيًا في بناء المجتمع الإنساني:
كان المجتمع الإنساني بصورة عامة والإسلامي على وجه الخصوص، الغاية الرئيسة والهدف الأكبر من السياسة الاقتصادية والمالية التي انتهجها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مدة تولَّيه الخلافة، جاعلاً من الواجبات التي فرضها والالتزامات التي حددها والحقوق والمصالح التي منحها في المقابل أساسًا لتنظيم الحياة الاجتماعية في الدولة الإسلامية، هذه الأحكام والشرائع التي طبقها الإمام إنَّما بُنيت واستُنبت ممَّا جاء به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، سواءً في وصاياه وأقواله أم ممَّا أقره وأشار عليه، لتكون دولته امتدادًا للسياسة العامة التي وَّضَّحها لنا الله (عزَّ وجلَّ) ووجَّه باتباعها.

أمَّا بالنسبة للمجتمع وطبيعته





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 وتحديد مفهومه وسبب الارتقاء به وتنظيمه، فقد كان من أول الأفكار التي اهتدى إليها الإنسان، والتي لعبت دورًا خطيرًا في تطور الحياة الإنسانية، هي فكرة المجتمع (أو التجمع)، هذه الفكرة التي دفعته مرارًا وتكرارًا إلى ارتكاب الأخطاء بحق المجتمعات الإنسانية، في محاولة للسيطرة عليها، وفي الوقت ذاته كانت فكرة التجمع دافعًا لمزيد من المحاولات التي تهدف إلى تطوير الحياة الاجتماعية، وإرسائها على ركائز تضمن لها استقرارها ونموها؛ لتتلور فكرة المجتمع في العصر الحديث لتصبح ميدانًا علميًا ممنهجًا يعتمد الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي للأفراد، والأساليب التي ينتظم بها المجتمع باتباع خطوات المنهج العلمي. وهو توجه أكاديمي جديد نسبيًا تطور في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي^(٣).

وعن نشأة فكرة المجتمع وتطور الاهتمام بها، فراها قد تمتعت بأهمية بالغة في الفلسفة اليونانية القديمة، فكانت ضمن أولى اهتمامات سقراط Socrates (٤٦٩ - ٣٩٩ ق. م). وأرسطو Aristotle (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م). وأفلاطون Plato (٤٢٧ - ٤٢٣ ق. م.)^(٤)، وإلا أن هذه الفكرة خرجت عن نطاق السيطرة آنذاك فلم يتمكن الفلاسفة من تنفيذ أحلامهم على وجه الأرض؛ لأن طروحاتهم بالأصل كانت تُعاني من مشكلة أساسية تمثلت بغياب «الضابطة المنطقية العقلانية»، مما أدى إلى تفكك المجتمعات الإغريقية واليونانية. ليقى العلماء يولون أهمية بالغة لفكرة المجتمع بعد اليونان، إلى أن وصلت سلسلتهم إلى أبي نصر الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٥٠ م)^(٥) ومسكويه (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م)^(٦) وأخوان الصفا

وعبد الرحمن ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨ هـ / ١٣٣٢-١٤٠٦ م). لكن حدث أن تشعبت المراكز فغابت التجربة الاجتماعية عن الميدان وبقيت الأفكار الاجتماعية تتحرك إلى أن أفردت فكرة المجتمع نفسها ضمن علم يختص بها، وهو علم الاجتماع^(٨) Sociology. المجتمع الإنساني على وفق التصور الإسلامي:

القرآن الكريم بوجوده الأزلي وامتداده الزمكاني^(٩) Spacetime يحدد هذه الفكرة ويجعل منها غايةً أساسية من غايات الوجود البشري على الأرض، قال (عز وجل): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية: ١٣). إذ اشترط القرآن الكريم بفكرة الجماعة أو المجتمع ضرورة وجود

الضابطة العقلانية السلوكية^(١٠) التي مرتكزها الأساس التقوى والعمل الصالح، بوصفها عاملين يتحدد على أساسهما طبيعة المجتمع وأهدافه وغاياته العامة التي يسعى لتحقيقها أو تنفيذها من خلال المجتمع، وقد اقتضت هذه الفكرة على الجانب النظري ولم ترتق المجتمعات إلى المرحلة المقررة من لدن الإرادة الإلهية إلا ضمن مشروعين، تمثلاً بدولة الرسول الأكرم مُحَمَّد (ﷺ)، ودولة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكانت الدولتان برنامجاً منظمًا لتطبيق الصيغة الإسلامية للحياة الإنسانية على المجتمع في سبيل بناء الإنسان المتكامل، فقد فكّر الرسول (ﷺ) ومن بعده كذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) في واقع المجتمعات التي حكمها وبحثا عن أفضل الطرق التي تُنظّم المجتمع وترتفع به إلى ذروة الرفاهية والتمدن والقوة والأمن.





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان

إذ يُعد العمل العنصر الأساسي والفعال في عملية الإنتاج، فبالجهد البشري سواءً أكان ذهنيًا أم بدنيًا يتمكّن الإنسان من السيطرة على أجزاءٍ من الطبيعة عبر مراحل تطوره الاجتماعي والاقتصادي، ومن ثمّ التمكن من سدّ حاجاته الضرورية في المقام الأول، وكان العمل كذلك هو السمة البارزة لهذه المسيرة وتطورها، والأساس الذي تقوم عليه مهمة عمارة الأرض التي تطيب بها حياة الإنسان فيحقق وعيه وحرته وحاجاته؛ بل ويحقق ذاته الإنسانية والحضارية.

وَمَا تَقْدَم، نَجِدُ أَنَّ الْفِكْرَ الْإِسْلَامِي لَمْ يَكُنْ فِكْرًا عِبَادِيًّا مَتَحَجِّرًا بِمَعزَلٍ عَنِ النُّوَاحِي الأُخْرَى فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، فَالْحَقِيقَةُ تُشِيرُ إِلَى «أَنَّ الْإِسْلَامَ ثَوْرَةٌ لَا تَنْفَصِلُ مِنْهَا الْحَيَاةُ عَنِ الْعَقِيدَةِ وَلَا يَنْفَصِلُ فِيهَا الْوَجْهُ الْجَمَاعِي عَنِ الْمَحْتَوَى

العمل على وفق التصور الإسلامي:

ولأهمية العمل في المسيرة البشرية، أكّد القرآن الكريم القيمة العليا للعمل ودوره في النشاط الاقتصادي، فالعمل بالمفهوم الاقتصادي الإسلامي الذي يؤكّده القرآن الكريم هو (العمل الصالح) الذي



السنة الرابعة - العدد التاسع - ١٤٤١ هـ / ٢٠١٩ م



يُصِيبُ مِنْهَا جَمِيعًا، فَإِنَّ الدُّنْيَا بِلَاغٌ إِلَى الآخِرَةِ»^(١٣). على هذا التوازن بنى الإسلام حضارته الخالدة التي شَقَّتْ أَجْوَاءَ التَّارِيخِ وَنَفَدَتْ إِلَى أَعْمَاقِ القُلُوبِ وَأَنْقَذَتْ الْإِنْسَانَ مِنْ ضِرَاوَةِ المَادَّةِ وَخَمُولِ الرِّهَابِيَّةِ^(١٤).

أهمية العمل في السياسة الاقتصادية
لأمير المؤمنين (عليه السلام):

سنحاول في هذا العنوان بيان أهمية العمل في السياسة الاقتصادية التي انتهجها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بوصفه يمثل عنده أحد أبرز حقوق الإنسان، ولاسيما مع ما أولته الشريعة الإسلامية^(١٥) من خصوصية استمد منها الإمام رؤيته للعمل ومنهجه في توسيع وتعميق حقوق العَمَّالِ.

يُكِنُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) لِلْعَمَلِ الْمُتَّجِ الصَّالِحِ احْتِرَامًا عَمِيقًا، ذَلِكَ الْاحْتِرَامُ الَّذِي انْعَكَسَ عَلَى أَوْجِهِ عَدَّةٌ، فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ مَبِينًا الْبُعْدَ

الروحي...»^(١٢)، لتبرز أمامنا كثير من الإشارات القرآنية التي تدفع بالمسلم وتُشجعه على الحياة المتحركة عن طريق العمل، كقوله (عز وجل): ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة التوبة، آية: ١٠٥)، وقوله (عز وجل): ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية:

١٣٢). ومن جهة أخرى لم يقتصر الإسلام في نظامه الرفيع، ودستوره الخالد على المادة وإهمال الروح، بل؛ نظر إليها نظرة واحدة مهية للإنسان في تشريعه طريقًا موصلًا إليها لا يختص بأحدهما دون الآخر، فلا يصح من المسلم أن يترهب ويترك مُتَعِ الدُّنْيَا، وكذلك لا يصح منه أن يُقْبَلَ عَلَى المَادَّةِ وَيَهْمِ فِي طَلْبِهَا بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ: «لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ حَتَّى





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان

الإلهي للعمل: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُحْتَرِفَ الْأَمِينَ»^(١٦). مشيرًا كذلك إلى البعد الاقتصادي في تنمية مقدرات الفرد والمجتمع عن طريق العمل، ويقول (عليه السلام) أيضًا: «أَطْلُبُوا الرِّزْقَ فَإِنَّهُ مَضمونٌ لِطَالِبِهِ»^(١٧)، ليرز بالتالي البعد الفردي للعمل الذي يسهم في تنمية الذات الإنسانية، أمّا بقوله (عليه السلام): «قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ»^(١٨)، فإنّه يدفع الإنسان للاهتمام بعمله والتفوق في إتقانه، كونه يقرر حقيقة مفادها أنّ قيمة المرء ليست بنوع عمله؛ بل بدرجة إتقانه لذلك العمل.

وَعِصْمَةُ الْمُرُوءَةِ»، رافضًا المعيار الأسري الذي يتخذه بعضهم حائلًا دون العمل مؤكّدًا أنّ: «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ حَسَبُهُ». ممتدحًا العاملين ومذكّرًا إياهم ما كان عليه الأنبياء الكرام من مثل أعلى يُحتذى به في المجتمع لتفانيهم وحرصهم على الاجتهاد في العمل، كقوله في نبيّ الله داود (عليه السلام) مثلاً، إنّه: «كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخَوْصِ بِيَدِهِ»^(١٩). ليُبادر (عليه السلام) بالانخراط في العمل الزراعي وفي مجال البناء مُجسّدًا ما كان يدعو إليه من ضرورة العمل واحترامه له، حاملًا معوله بيدٍ ولائحةً حقوق

كذلك كان البعد الاجتماعي للعمل حاضرًا عند الإمام الذي سعى للرفع من شأنه بوصفه قيمة اجتماعيةً عليا، فمن عوامل الافتخار عنده كانت «صناعةٌ لا يُستحى منها»^(١٨). مُجيبًا حينما سُئِلَ (عليه السلام) عن الصنعة، بقوله إنّهَا: «أُخْتُ النَّبُوَّةِ الْعَمَالُ بِالْيَدِ الْأُخْرَى. وإذ تُقدم الدولة الإسلامية للفرد المسلم مثلاً واضحاً لديه وضوح الشمس قريباً من نفسه مندجاً مع أعمق مشاعره وعواطفه، مُستمدًا من أشرف مراحل تاريخه وأقفاها وأعظمها تألقاً وإشعاعاً، وأي مسلم

لا يملك صورة واضحة عن الحكم الإسلامي في عصر الرسول الكريم (ﷺ) وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفي معظم المدة الممتدة بينهما، وأي مسلم لا تهزه أمجاد تلك الصورة وروعتهما، وأي مسلم لا يشعر بالزهو والاعتزاز إذا ما أحسَّ بعمق أنه يُعيد إلى الدنيا من جديد أيام مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، وأيام أصحاب مُحَمَّد الميامين الذين ملؤوا الدنيا عدلاً ونوراً.

وأمر المؤمنين (عليه السلام) حين وضع هذا المبدأ للتغلب على العوائق التي تقف ضدَّ الارتقاء بالعمل بالنسبة للأفراد، كان من المهم جداً عليه بيان أن الأمة الإسلامية مسؤولة بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أي بأن تحول عقيدتها إلى عملية بناء. فالإيمان ليس هو العقيدة المَحْنَطَة في القلب؛ بل الشُّعْلَة التي تَتَّقَد وتَشع بضوئها على الآخرين (٢٠).

وقد تجلَّى سعي علي بن أبي طالب (عليه السلام) لتحقيق هذا المسعى عن طريق اتجاهين: أولهما القضاء على مظاهر سلبيات العمل والعمَّال في المجتمع الإسلامي، ومن ذلك قوله (عليه السلام):

«أَفَةُ الْأَعْمَالِ عَجْزُ الْعَمَّالِ» (٢١).

وثانيهما التأكيد على القيم التي تصنع الأمة المنتجة والفرد المنتج الفاعل في مجتمعه، مؤثراً على أهمية كل من الدقة والإخلاص في العمل، بقوله:

«أَخْلِصُوا إِذَا عَمِلْتُمْ.. بِالْإِخْلَاصِ يَتَفَاضَلُ الْعَمَّالُ.. وَإِنَّ بِالْإِخْلَاصِ تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ» (٢٢)، واحترام الوقت، داعياً إلى استثماره بأمثل صورة حينما يقول:

«لَا تُؤَخَّرْ عَمَلٌ يَوْمَ إِلَى غَدٍ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلًا» (٢٣).

مُشدِّداً كذلك على أهمية قيادة العلم للعمل، بقوله: «إِعْمَلْ بِالْعِلْمِ تُدْرِكُ غُنْمًا» (٢٤)، وأنَّ «أَشَدُّ النَّاسِ نَدْمًا عِنْدَ الْمَوْتِ الْعُلَمَاءُ غَيْرُ الْعَامِلِينَ» (٢٥).

كذلك تبيينه على أهمية أن تكون



﴿البقرة﴾

السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 الأعمال المراد القيام بها مبنية على دراسة ووعي وتخطيط، بقوله: «إذا أمضيت أمراً فأمضه بعد الروية ومراجعة المشورة»^(٢٦). لتأتي كذلك خاصيتنا التخصص في العمل ودوامه فيه من الأولويات التي يضعها الإمام نصب أعين المسلمين، ليذكرها بقوله: «مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتِ خَدَلْتَهُ الْحَيْلُ»^(٢٧)، وقوله: «قَلِيلٌ تَدْوَمُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ»^(٢٨).
 كما كان للصفات الواجب التحلي بها لمن أراد خوض غمار الأعمال والمتاجرة والمنافسة نصيباً في وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي حاول تعزيز الروح الوثابة والشجاعة العملية بقوله: «بِرُكُوبِ الْأَهْوَالِ تُكْسَبُ الْأَمْوَالُ»^(٢٩). وأخيراً فقد كان لحكم الشرع والعمل بأخلاق الدين الحنيف حيز واسع من اهتمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الموضوع قيد الدراسة، فهو القائل: «إذا دخلتم

الأسواق لحاجة، فقولوا: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. اللهم إني أعوذ بك من صفقة خاسرة ويمين فاجرة»^(٣٠)، مُبرزاً موازنة دقيقة بين المتطلبات الاقتصادية بالربح من جهة والحفاظ على المصادقية والأخلاق الإسلامية من جهة ثانية، فكان واحداً من المبادئ الرئيسة التي سعى إلى تحقيقها في الأمة، فكان يقول في المبدأ ذاته كذلك: «مَنْ أَتَجَرَ بِغَيْرِ فِقْهِهِ أَرْطَمَ فِي الرَّبَا»، جاعلاً من الأخلاق الإسلامية النييلة السمة الغالبة والقاعدة الناجعة في تنظيم السياسة الاقتصادية تحت ظل حكومته (عليه السلام).

وفي السياق ذاته دعا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى تهيئة الأحوال المساعدة على إنشاء فرص العمل واحتضان طاقات الأمة، فعلى الدولة الإسلامية «تنمية كل الطاقات

الخيرة لدى الإنسان وتوظيفها لخدمة الإنسان... واستئصالها لكل علاقات الاستغلال التي تسود مجتمعات الجاهلية، وبتحرير الإنسان من استغلال أخيه الإنسان في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية موفرة للمجتمع طاقتين للبناء: إحداهما طاقة الإنسان المُستغَل الذي تمَّ تحريره؛ لأنَّ طاقته كانت تُهدر لحساب المصالح الشخصية للآخرين ووقوداً لعملية التكاثر في الأموال وزينة الحياة الدنيا بينما هي بعد التحرير طاقةٌ بَنَاءٌ لخير الجماعة البشرية، والأخرى طاقة المُستغَل الذي كان يُبدد إمكاناته في تشديد قبضته على مُستغَلِّيه بينما تعود هذه الإمكانيات بعد التحرير إلى وضعها الطبيعي وتتحول إلى إمكانيات بناءٍ وعَمَلٍ»^(٣١).

٢. الرقابة الاقتصادية في سياسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

للرقابة أهميتها البالغة وأثرها الفاعل في المحافظة على الموارد الاقتصادية للدول، وكذلك المحافظة على حقوق الأفراد من التعدي والمصادرة، كما أنَّها تُعد وسيلةً فعَّالة لضمان توزيع الناتج القومي على فئات الشعب بصورة عادلة، والرقابة في إحدى صورها تعني التثبيت من تحقيق الأهداف التي تسعى الدول لتحقيقها عن طريق السياسات الاقتصادية والمالية والاجتماعية.. التي رسمتها.

وقد أولى المُشرِّع العظيم (عجلت) الرقابة اهتماماً واضحاً؛ فوردت كلمة (الرقيب) في مواضع عدَّة من القرآن الكريم، نحو قوله (عجلت):

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ (سورة الأحزاب، آية: ٥٢)، وذلك للدلالة على أهميتها في الحفاظ على المجتمع وصيانة حقوق الأفراد، فثبتت مشروعية الرقابة في القرآن



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان.....

الكريم في آياتِ عدَّة، وضعت أسس الرقابة الاقتصادية والمالية في الإسلام، منها قوله (عز وجل): ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (سورة النساء، آية: ٥)، وقوله (عز وجل): ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران، آية: ١٦١) (٣٢).

«مَنْ بَعَثَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَعَلَّ شَيْئًا، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا حُورًا، أَوْ شَاةٌ تَنْعُو»، وقال أيضًا: «هَذَا يَأْتِي أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُلُولٌ» (٣٣).

كما أورد مُسلم في صحيحه: أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلًّا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» (٣٤).

وعلى هذا الأساس، تطور لدينا في أدبيات التراث العربي مصطلحًا يدل على هذه السياسة الاقتصادية الإسلامية، هو نظام الحِسْبَةِ، وهو من النُظْمِ التي انفرد

كذلك فقد كان للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الأثر الكبير في تطبيق الرقابة الإدارية والاقتصادية والمالية في الدولة الإسلامية، مُشدِّدًا على أثر الرقيب في ذلك؛ لِمَا لَهُ مِنْ أَمِيَّةٍ فِي حِفْظِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْفَسَادِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْحَقُوقِ وَالْمَمْتَلِكَاتِ الْعَامَّةِ، وَكَذَلِكَ الْحِفَافِ عَلَى عَمَّالِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْانْزِلَاقِ فِي الْمَحْظُورِ، فَكَانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) عِنْدَمَا يَبْعَثُ وَاحِدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَهْمَةٍ مِنْ مَهَامِ الدَّوْلَةِ يُوصِيهِ فِي بَعْضِ الْوَصَايَا

بها الدين الإسلامي، ذلك النظام الذي ينطلق من دعوة القرآن الكريم إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣٥)، والتي بدأت طوعاً بدافع الإيمان والحرص على المصلحة العامة، ثم تطورت إلى صيغة تنظيمية إدارية، وقد تعددت التعريفات الفقهية للحسبة، فغالبية الفقهاء كانوا يركزون على جانب

الرقابة المالية في الإسلام:

يتبين مما تقدم أن الإسلام هو نظام للحياة التطبيقية والأخلاق والقيم الروحية المثلى، وبالتالي فإن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد إنساني غايته تحقيق الحياة الطيبة بكل مقوماتها وعناصرها المادية والمعنوية للإنسان، وما جعل من النظام المالي الإسلامي نظاماً محكماً وفعالاً هي آلية الرقابة السابقة واللاحقة الداخلية والخارجية، التي تُمارس من طرف أجهزة أو أشخاص يتميزون بالثقة والصدق والإيمان

الوظيفة والاختصاص، فطالما أن الحسبة تتعلق بالمنكرات الظاهرة فقد انصبَّ تعريفهم على هذا القدر المتفق عليه، ولعلَّ الماوردي الفقيه الشافعي كان أول من حاول صياغة تعريف اصطلاحي للحسبة، فقال: «إنَّها أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله»^(٣٦)، وقد انتشر التعريف وتداوله الكاتبون في القديم والحديث^(٣٧). وهذا التعريف الشائع، جامعٌ غير مانع، فهو جامع؛ لأنَّه ينطوي على



والجدارة، ممَّا شكَّل سدًّا منيعًا ضدَّ

التلاعب بالمال العام، وثبَّت قواعد
الوقاية ومكافحة كلِّ مظاهر الفساد
والتلاعب، لتصبح الدولة هي
الساهرة على مصالح المواطنين ملييةً
حاجياتهم بطريقةٍ متساوية ودون
تمييز، بما يكرس العدالة الاجتماعية
والرفاهية الاقتصادية.

وقد كان للرقابة الاقتصادية مكانها
اللائق في فكر أمير المؤمنين (عليه السلام)،
فكانت من أولى أولوياته، استشعارًا
منه لأهميتها في إنجاز الأعمال،
وتحقيق العدالة، وإعادة ثقة الرعية
بالراعي بعد أن أصابها التشويه، لذا
نراه ينبري بشدَّةٍ لاسترداد ما نُهب
من أموال المسلمين، وما أُضيِع من
حقوقهم، فقال قولته المشهورة في
المال المأخوذ في غير حقه: «وَوَاللَّهِ لَوْ
وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ، وَمَلَكَ
بِهِ الإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً،
وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُورُ عَلَيْهِ

حظيت الرقابة عند الإمام علي
بن أبي طالب (عليه السلام) بفلسفةٍ خاصة
من طرازٍ رفيع، وهدفٍ سامٍ،
ورؤيةٍ ثابتة للأهداف الإنسانية
والاقتصادية المُراد تحقيقها من
عملية المراقبة، لذا فقد استندت
الرقابة في فلسفته إلى روح الإسلام
التي تُعنى بشكلٍ أساسي بإنسانية
الإنسان، وصيانة كرامته، وحفظ
دينه، وحماية حقوقه من الإسراف
والتضييع. مُستندةً كذلك إلى ذلك
الإرث الحضاري الكبير من القيم
الأخلاقية التي بثَّها البشير المصطفى
(صلى الله عليه وآله وسلم) في نفوس المسلمين من مكارم
الأخلاق، ذلك الحصن الذي
حصَّن به الإسلام الفرد المسلم
ضدَّ الأمراض الاجتماعية كالرشوة،
والسرقة، والخداع، وأكل السُّحت.
وبالتالي، لم تكن الرقابة في نهج
أمير المؤمنين وفلسفته رقابةً بشعةً



صارحة، أو سيفاً مُسلّطاً على رقاب العاملين؛ بل كانت رقابة وجهها الخشوع لله (ﷺ)، ولباسها التقوى وترك المنكرات، وأسلوبها الرفق بالعاملين والموظّفين، وحمائتهم من أن يقعوا في شرك الفساد والانحراف. وهذا ما نلمسه في النهج الذي انتهجه الإمام عن طريق عهده لمالك الأشتر النُخعي (رحمته الله) (ت ٣٨هـ / ٦٥٨م) في مراقبة العمّال والولاء، فهو يوجه بضرورة وجود رقابة حانية دافئة، تُشعر العمّال والموظّفين بأنهم جزء أصيل من نسيج الدولة والمجتمع لا يمكن تجاهله وتضييعه، والهدف من الرقابة إنّما هو صيانتهم وحمائتهم قبل كلّ شيء من الوقوع في الخطأ، لا حماية الأموال.

وعلينا أن نعلم أن الرقابة في فلسفة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم تكن رقابة طائشة، أو مُستفزّة، أو رقابة تجريم أو تنكيل؛

بل كانت رقابة تحصين ووقاية ضدّ الآفات الاجتماعية التي تؤدي إلى ضياع حقوق الأفراد والمجتمع، ومن ثمّ تؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية بين أفراد الأمة الواحدة، بعد ضعف الوازع الديني الذي يُعد من الأسباب الرئيسة للانحراف بالأمة عن مسارها الصحيح الذي أَرادها لها المُشرّع العظيم (ﷺ).

نستطيع أن نتلمّس ذلك كلّه عن طريق النصوص التي وردت إلينا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يوصي عامله على مصر بضرورة تعاهد عمّاله بالمراقبة، وتفقد شؤونهم، والسؤال عن أحوالهم؛ ليتّضح لنا كم كان هدف الرقابة نبيلًا، وكم كانت غايتها سامية جليلة، هدفها حفظ الدين والناس. موصيًا عامله النُخعي بقوله: «ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَقَّمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ»





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ»^(٤٠).

ومن هذا المنطلق وكفي لا يُبَخَسَ الناسُ أشياءهم، ولا يتساوى المحسن والمسيء، فتتهراً القيم وتتآكل المثل، ويصاب الناس بالخيبة من عدالة الدولة، دعا الإمام إلى إثابة المحسن، وإشعاره بقيمة عمله، ومعاقبة المسيء، وتنبهه على دناءة ما فعله، وهذا كله ليس بقصد الإثابة والعقاب فحسب، وإنما للإثابة أهداف ومعانٍ سامية، وكذا العقوبة فهي ليست عقوبة تنكيل بقدر ما هي عقوبة تأديب، لذا نراه (عليه السلام) قد أوصى عامله على مصر بقوله: «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ

بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَالزَّمَّ كَلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ»^(٤١). هذه الكلمات التي تحمل بين طياتها فكراً أخلاقياً راقياً، وفلسفة اجتماعية من طراز رفيع، هدفها الارتقاء بالمجتمع إلى درجات الكمال والرفعة، وكذلك هي من جانب آخر تهدف إلى ترسيخ الأمن الاجتماعي، وتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع وفقاً لدور كل فرد وقيمة عمله، فمكافأة المحسن على إحسانه، ومعاقبة المسيء على إساءته تُحقق العديد من الأهداف الاجتماعية المهمة لبناء مجتمع سليم آمن.

هذا النوع من الرقابة الذي يُعد مزيةً فريدةً في الاقتصاد الإسلامي، لا نجد لها مثيلاً في معظم النظم الاقتصادية الوضعية التي تُنكر الوازع الديني في توجيه النشاط

الاقتصادي بالرغم من حاجة هذا النشاط لهذا الوازع؛ لأنَّ الأسس الاعتقادية والأخلاقية تُؤلِّد في النفس دوافع إنسانية، وأخلاقية تجعل الحياة الاقتصادية منسجمةً والحياة الأخلاقية والروحية، وتُولِّد في النفس شعورًا بالمسؤولية تجاه الله (ﷻ)، فيشعر المرءُ بالارتياح إن أدى الأمانة، وعَمِلَ لنفع البشر وخيرهم، كما يشعر بالإنهم إذا غشَّ، أو ظلم واستباح الناس حقوقهم^(٤٢). كما أن هناك نوع آخر من الرقابة التي دعمها أمير المؤمنين (عليه السلام) وحثَّ عليها، تلك هي الرقابة الذاتية، التي تُعرَّفُ بأنَّها: «رقابة الإنسان على نفسه مؤمنًا ومُستشعرًا رقابة الله (ﷻ)، وأنَّ ما يقوله وما يعملُه مسجَّلٌ له أو عليه؛ لذا فهو يُراجع أقواله وأعماله، ويَزنُّها بميزان الشَّرع الإسلامي»^(٤٣)، كذلك هي «الرقابة التي تنبع من داخل النفس

الإنسانية؛ خشية غضب الله، وسعيًا إلى مرضاته، والعمل على راحة النفس، وهي رقابة الضمير، وفي هذا يقول الله (ﷻ): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠)، فإذا كان ضمير المسلم مسيطرًا على أعماله وأقواله وفكره، فإنَّ الرقابة الإدارية، ورقابة المجتمع، ورقابة القضاء تتقلَّص إلى أدنى حد^(٤٤). وبالتالي، فإنَّ الرقابة الذاتية هي رقابة الإنسان لنفسه في سرِّه وعَلانيته، يحدوه في ذلك مخافة الله (ﷻ) في أعماله، وهو الذي لا يعزُّب عن علمه شيء؛ بل يعلم السرَّ وما خفي في الصدور، وأنَّ الإنسان إذا ما آمن بقدره الله عليه، وبأنَّه يُراقبه في أعماله ويُحاسبه عليها، هانت عليه وصَغُرَت أمامه جميع أنواع الرقابة، والقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تُؤكِّد على إحاطة الله (ﷻ)



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 بكل أعمال وأفعال المخلوق؛ كقوله (ع): ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
 (سورة النساء، آية: ١)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَاطًا﴾ (سورة النساء،
 آية: ١٠٨)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة آل عمران، آية:
 ١٥٦)، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾
 (سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨)، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾
 (سورة القيامة، آية: ١٤).

تلقائياً مبعثه العقيدة والإيمان، أي بماء رغبته بطواعية واختيار، ومن غير حاجةٍ إلى سلطان الدولة لإنفاذه^(٤٥).
 ليأتي دور أمير المؤمنين (عليه السلام) في التأكيد على الرقابة الذاتية بتحفيز الضمير، والتركيز على مخافة الله (ع)، والسعي لنيل مرضاته، مشيراً إلى أهمية الثناء والمدح وحسن الذكر إذا ما فشا العدل والإنصاف بين الرعية، هذا الدور الذي يبرز جلياً عن طريق عهد الإمام إلى واليه على مصر مالك الأشتر (رضي الله عنه)، الذي سيُدرج ضمن الموضوع الخاص بالفكر الاقتصادي لأمير المؤمنين في كتاب نهج البلاغة.

٣. معالم المنهج الاقتصادي لأمير

المؤمنين (عليه السلام)

في نهج البلاغة:

يظهر من قراءتنا العديدة التي استمرت سنواتٍ طوال والتي

وبناءً على ما تقدم، فإن ثمة عاملاً مميزاً في الاقتصاد الإسلامي، وهو اعتداده بالوازع الديني في توجيه النشاط الاقتصادي باستشعار المسلم رقابة الله (ع) عليه في كل تصرفٍ من تصرفاته، ومسؤوليته عنه أمام الله، ومن ثمَّ يحرص الاقتصاد الإسلامي على تغذية هذا الضمير الديني، وتعميقه بحيث يلتزم المسلم بتعاليم الإسلام الاقتصادية التزاماً

حاولنا فيها استيعاب أطروحة نهج البلاغة وما يتضمّن هذا السفر الخالد من رؤى وأفكار، لعنّا نستطيع الآن أن نخطو خطواتنا الأولى من عملية استنباط الفكر الاقتصادي من النصوص الواردة في هذا الكتاب الجامع لقسم كبير

من خُطَب ورسائل وحكم أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن جهة ثانية فإنّ الحديث عن أسس وقواعد المنهج الاقتصادي في نهج البلاغة ومميزاته وصفاته يمكن توصيفها بعالم اليوم بالسياسة الاقتصادية للدولة وما تحويه من سياسة مالية ونقدية، وما تمتاز به من رسم الخطط التفصيلية لتطبيق القوانين الاقتصادية المُشرّعة، الأمر الذي يستدعي تحديد الكلمات المُضيئة التي وردت في النهج القويم لمولى المتّقين (عليه السلام)، التي تُعد بحقّ من أهمّ المبادئ الاقتصادية التي ترسم خارطة الطريق وكذلك

لانتشال البشرية من أزماتها الاقتصادية والمالية، تُشكّل منظومة اقتصادية متكاملة، متضمنةً جميع المبادئ التي يستند عليها علم الإدارة والاقتصاد والمُحاسبة وتمويل العمليات الاستثمارية والسياسات الاقتصادية.

نهج البلاغة هو في الواقع مجموعة مختارة من كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تشتمل على الخُطَب والرسائل والكلمات القصار، وقد قالها الإمام في مناسباتٍ مختلفة وفي أوقاتٍ متباينة، ولما كانت خطبه ورسائله وكلماته لا تفصل عن منهجه في تغيير أوضاع الأمة الإسلامية وتحقيق السعادة المنشودة لها، فقد جاءت هذه النصوص بصورة وثائق سياسية تحكي مسار الدولة الإسلامية وأساليب إدارتها، وطُرق حلّ مشاكلها، والفنون السياسية المُتبعة فيها. والإمام إذ كان



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان.....

يعالج مشاكل الأمة وقضايا الدولة بموقفٍ عملي ونظري في آنٍ واحد، فمن زاوية كان يوجّه أنظار الناس والولاء وكلّ المعنيين إلى المشكلة ذاتها، ومن زاويةٍ أخرى كان يُبيّن الطُّرق ويضع الحلول المناسبة لها. ولَمَّا كان الاقتصاد غير منفصل عن حياة الناس، فكان من الطبيعي أن يتضمّن نهج البلاغة موضوعاتٍ اقتصادية تتعلق بمختلف شؤون الدولة والحياة، وبنظرةٍ واحدة إلى خُطب الإمام ورسائله وكلماته سنُلاحظ أننا أمام حشدٍ كبير من النصوص التي تتضمّن أفكارًا اقتصادية، وهي بحاجة إلى عملية تعدينٍ واستخراجٍ ثمّ وضعها في نسقٍ مُنتظم لتصبح بصورةٍ نظريةٍ متكاملة.

عن طريق العودة للمصادر التاريخية، نجد الإمام عليًا (عليه السلام) يلتزم القاعدة التي انطلق منها

عمر، بشأن إقطاع الأرض وإبقائها مُلكًا للأمة^(٤٧)، وهي سياسة أثارت على الخليفة الأسبق قريشًا وبعض صحابتهَا، أثارت قادة الأمصار الذين استفزهم منح عثمان بن عفّان قطائع لهؤلاء ولأقربائه، وهو ما يبدو أنّه كان أحد حوافز القادة للشورة على الخليفة^(٤٨). ولذلك كان استرداد هذه «القطائع»^(٤٩)، جزءًا من الحركة الإصلاحية التي استهدفت من جانب الإمام مُجمل نهج الخليفة السابق، على الصُّعد السياسية والإدارية والاقتصادية كافة.

على أن الفُرادة في هذا المجال، تتمثل في مبدأ العطاء، بناءً على قاعدة المُساواة بين المسلمين، فقد روى المسعودي أنّ الإمام «قسّم ما في بيت المال على الناس ولم يُفضل أحدًا على أحد»^(٥٠)، ناقضًا بذلك، ليس الطريقة الفئوية لسلفه، وإنّما طريقة عمر بن الخطّاب الذي كان



له اجتهاد خاص في هذه المسألة. فقد توخَّى أمير المؤمنين العدالة في العطاء، بتنظيمه على قاعدة الأسبقية والبلاء وحتَّى لا يكون كمن يطلب النصر بالجور على حدِّ تعبيره^(٥١). ثمَّ يُضيف في هذا السياق: «إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ... وَلَمْ يَضَعْ أَمْرُؤُ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ...»^(٥٢).

وبناءً على هذه القاعدة، كانت نظرة الإمام إلى الخراج الذي يرتبط عضوياً بالعطاء، خصوصاً بعد توقف الغنائم إثر ركود جبهات الفتوح^(٥٣)، وهي نظرة تؤسِّس لعلاقةٍ إيجابية مع شعوب البلاد المفتوحة، بما يُسهم في عمرانها وتعزيز انتمائها للأُمَّة، ولذا يرى ضرورة إصلاح أمر الخراج، بما يتعدَّى الجباية، إلى المسألة الاقتصادية برمتها، حيث يُشكِّل الخراج المصدر الأساسي لها في ذلك الوقت^(٥٤)،

وهذا ما يمكن قراءته بوضوح في عهده للأشتر، إذ يوصيه قائلاً: «وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ؛ لَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِيهِ. وَلَيْكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ؛ لَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمَّ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً»^(٥٥).

وبهذا الكلام يستشرف الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المصير الذي سارت إليه دولة الأمويين، عن طريق نظرتها القصيرة إلى الخراج، إذ كان مقترناً لديها بالاستغلال، ذلك الذي أَلَّب عليها شعوب البلدان المفتوحة، وكان ذلك ما دفع أحد ولائها على العراق^(٥٦) إلى فصل الخراج عن مهمته، مُعلِّلاً ذلك





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 حسب الرواية التاريخية: «إنَّ العراق أخرجها الحجاج، وأنا اليوم رجل أهل العراق، ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم على ذلك، صرتُ مثل الحجاج... ومتى لم أت سليمان^(٥٧) بمثل ما كان الحجاج أتى به لم يقبل مني»^(٥٨).
 مُعاملة أهل الخراج بالمساواة:

وخلافًا لذلك، حرص أمير المؤمنين (عليه السلام) على تكريس الشعور بالمساواة لدى هذه الشعوب، محذراً من استغلال أهل الخراج، وموصياً بالتالي أن يؤخذوا باللين والحوار والمودة^(٥٩)، ولعلَّ كتابه إلى عمال الخراج، يُشكّل أنموذجاً في هذا المجال، محددًا وظيفة الخراج وطبيعتها وصفات العامل عليه ورسالته. وقد جاء فيها: «فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الْأَيْمَّةِ،



وَلَا تَحْسِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، وَلَا تَبِعَنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوَطًا لِمَكَانِ دِرْهَمٍ، وَلَا تَمْسَنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلًّا وَلَا مُعَاهَدًا، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعَدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ»^(٦٠).

وثمة وصية أخرى لا تحيد عن هذا المعنى، كان (عليه السلام) يوجهها لمن يستعمله على الصدقات، وقد جاء فيها: «انطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ»^(٦١). ولعلَّ من مصاديق سياسة الإمام هذه، القائمة على الرفق واللين في استحصال الخراج والحقوق الشرعية، ما أورده صاحب كتاب أسد الغابة عن عبد الملك بن عمير، أنه قال: «حدثني رجل من ثقيف، قال:

استعملني علي بن أبي طالب على مدرج سابور^(٦٢)، فقال: لا تضربنَّ رجلاً سوطاً في جبايةِ درهم، ولا تتبعنَّ لهم رزقاً ولا كسوة شتاءً ولا صيفاً، ولا دابةً يعتملون عليها، ولا تُقيمَنَّ رجلاً قائماً في طلبِ درهم. قلت: يا أمير المؤمنين، إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك. قال: وإن رجعت ويحك! إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو^(٦٣).

ومما يلفت في هذا المجال، أنَّ أمير المؤمنين عمَد إلى فصل وظيفة الخراج، كذلك بيت المال^(٦٤)، ضبطاً لمالية الدولة، وحتى لا تكون السلطات محصورةً بكاملها في يدِ الوالي الذي قد يلجأ إلى استغلال نفوذه الواسع، ولقد روى اليعقوبي أنَّ علياً كتب إلى قرظة بن كعب الأنصاري^(٦٥)، يأمره بشقِّ نهرٍ كان قد عفا في أرضٍ لأهل الذمَّة، خاتماً رسالته بالقول: «فَلَعْمَرِي لَأَنْ يَعْمُرُوا

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ يَخْرُجُوا»^(٦٦).

وهكذا يأتي تشجيع الزراعة في خدمة الاستقرار، ويقترن الخراج بعِمارة الأرض وإصلاحها، كما رأينا في النص السالف من نهج البلاغة، ولعلَّ هذه السياسة، وإنَّ وجدها بعضهم شديدة، لاسيَّما المتضرر من المساواة، حفرت بعمق أمام الإسلام، ليتشر بتلك السرعة في البلاد المفتوحة، على أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) شأن أسلافه، رفض توزيع الأرض في السواد الذي أخذ يتحول إلى مطلب حيوي لقادة الأمصار، ويُشكِّل مصدر قلق لحكومة من سبقه. وكان موقفه (عليه السلام) ينطلق من الأسباب نفسها التي دفعت عمر بن الخطَّاب إلى تحذير القبائل في العراق من هذا الأمر، قائلاً: «وأخاف إنَّ قَسَمته - أي السواد - أن تفسدوا بينكم في المياه»^(٦٧). وهو ما يحمل معناه ذلك الذي جاء في قول الإمام



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 إزاء هذه المسألة: «لَوْلَا أَنْ يَضْرِبَ بَعْضُكُمْ وُجُوهَ بَعْضٍ لَقَسَمَتِ السَّوَادُ بَيْنَكُمْ»، فقد اكتفى بإجراء الفيء على القبائل من الأرض^(٦٨) التي يتطلّب نظامها الزراعي القائم على الري، شروطاً وعلاقات اجتماعية، ليست متوفرة لدى هذه القبائل. ويبدو أنّ هذه المسألة راكمت نقمة واحتجاجات على السلطة السياسية، مما يفترض أنّه أسهم فيما بعد في تمرد قبائل الخوارج، بدافع الاستئثار بالأراضي التي فتحت بسيوفهم على حدّ تعبيرهم^(٦٩).

«وَأَعْلَمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا وَشُحًّا قَبِيحًا؛ وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ»^(٧٠).

فمن مسؤولية العامل أن يُراعي أوضاع الفئات الفقيرة، أو مَنْ يُسَمِّيهِم الإمام بالمساكين وأهل الزمى الذين لا حيلة لهم، وأنّ يحميهم من الاستغلال والاحتكار، وهو ما يوجب التدخل لضبط الأسعار ومراقبة الموازين والمكاييل، حتّى لا يكون إجحافاً بالفريقين (البائع والمبتاع)، فضلاً عن استعمال القمع نحو المخالفين من التجّار:

«فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّلْ بِهِ، وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ»^(٧١).

وأخيراً، فإنّ ما نود أن نبيّنه في هذا المقام، أنّ الوقوف على كلّ مفردات الاقتصاد والبحث عنها ومقابلتها في كلمات نهج البلاغة،

وكذلك لفت أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة إلى أهمية دور الصنّاع والتّجار في الحياة الاقتصادية، فأوصى بهم خيراً، ولكنّه لا يغفل عن سلوكهم الذي ينبغي أن يكون تحت مراقبة العمّال، حتّى لا يشتطوا في الطمع والجشع، وهو ما ينطوي عليه خصوصاً أحد كتبه إلى الأشر:

لهو أمرٌ لا تتسع هذه الدراسة له، وكذا فإن استخلاص منهج متكامل من مضامين النهج المبارك يحتاج إلى وقفاتٍ وتأملٍ ودراسةٍ مُستفيضة، ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جلّه. إصلاح اجتماعي بالتوازي مع الإصلاح الاقتصادي:

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَيْمُ اللَّهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمْ النَّعْمُ، فَزَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّتِهِمْ، وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ». فالتدرج والترتيب في تطبيق المنهج الاقتصادي عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يعتمد على تغيير نمط الحياة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية للمسلمين، وهذا يستدعي التخلي عن المحرمات

واجتنابها، والتخلي بمكارم الأخلاق والتزين بها، ليحصل على الحالة الإيمانية التي يستطيع المرء فيها ربانياً أو ما يُسمّى بالتجلي، تهون عنده الدنيا ولذاتها حتى لا تساوي عنده شيء مقابل رضا الله (عز وجل)، ولذا فالسياسة المالية والنقدية عنده تستند إلى مبادئ سامية تُساق في معناها ترك الربا أو ما يُسمّى بالفوائد المصرفية، ويدفع الزكاة بدافع الرضا ونية العبادة، وهكذا في كلّ الفرائض المالية والعبادية^(٧٢).

يتبين ممّا تقدم، أنّ نهج البلاغة بما انطوى عليه من خلاصة لتجربة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومُعاناته، والمواكبة الدقيقة لروح التحولات الجذرية، يمثل ريادةً على المستوى الفكري التنظيري في الإسلام. فقد كان سبّاقاً إلى طرح مسائل وإشكاليات لم تكن قد اختمرت مضامينها على مستوى





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 العقل العربي، الذي كان عليه الانتظار طويلاً قبل الخوض فيها بجدية وعمق، ولكن ليس على المدى ذاته من الرؤية والاستشراف، فضلاً عن الجذرية التي خفتت كثيراً في القرون التالية. وقد يكون في ذلك سر غربة الإمام في عصره الذي رفض هذا النمط من التأصيل. وقد يكون هو ذاته أيضاً، سبب تأخر ظهور الدولة بمعناها الكامل في الإسلام، حتى أنها لم تظهر على هذه الصورة المطلقة فيما بعد، إذا توقفنا عند النماذج المضطربة لدى الأمويين والعباسيين^(٧٣).

«فنحن حينما نأخذ بالنظام الإسلامي سوف نستفيد من هذه الأخلاقية ونستطيع أن نُعبأها في المعركة ضدَّ التخلف»^(٧٤).
 الإسلام دينٌ عملي بسيط وسهل الفهم والتسويق، وهو يقوم على مبادئ أساسية ثلاث، هي: التوحيد والخلافة (عن الله (ﷻ)) والعدالة. وهذه المبادئ هي الإطار للنظرة الإسلامية العامة إلى الحياة، وكذلك هي منبع مقاصد الشريعة وإستراتيجيتها^(٧٥).

المبحث الثاني:

محورية الإنسان في سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) الاقتصادية

وبالتالي، يقوم التصور الإسلامي للتنمية على أساس أن الله (ﷻ) قد خلق الكون واستخلف الإنسان في الأرض ليقوم بعمارته، على وفق منهج الله وشريعته، وقد خلق (ﷻ) الإنسان متميزاً عن سائر المخلوقات

١. التنمية الاقتصادية عند الإمام علي بن أبي طالب:
 التنمية في الفكر الإسلامي:
 تكمن أهمية الفكر الإسلامي

ليكون قادراً على أداء هذه المهمة، وهياً بفضلِهِ وكرمه كَلَّ ما يمكِّنه من أدائها، وأنه على ضوء قيام الإنسان بهذه المهمة يتقرر مصيره ويتحدد مستقبله في الدنيا والآخرة^(٧٦).

يُعبَّر مفهوم الاستخلاف في أحد مستوياته التحليلية عن منظومة مفاهيمية كاملة، تُحدد أبعاد استعمار الأرض بمنهج الله (عز وجل)، تحقيقاً لخلافته، وسعيًا لعبادته^(٧٧). وقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وكذلك ورد لفظ (الخليفة) بمعانٍ عدَّة منها ما قصد التابع الزمني أو الوراثة أو الإحلال محل قوم آخرين، أو الوكالة والنيابة، والخلافة: هي تنفيذ أوامر الله (عز وجل) في شتَّى المجالات^(٧٨)، ومن ثمَّ اشتهر الإنسان بأنَّه خليفة الله في الأرض، وهذا الاستخلاف علاوةً على أنَّه يشمل استخلاف النوع

البشري على الكائنات، فإنَّه يشمل كذلك استخلاف بعض الأفراد على بعض، واستخلاف بعض الأمم على بعض، كذلك أُطلق اللفظ على أُمَّة مُحَمَّد (ﷺ) بأنَّ الله سيجعلهم خلفاء الأرض بهم تُصلَح البلاد، ويخضع لهم العباد، وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً^(٧٩).

قال الله (عز وجل): ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة، آية: ٣٠). ولما كانت الجماعة البشرية هي التي مُنحت هذه الخلافة، فهي إذن المُكلَّفة برعاية الكون وتدبير أمر الإنسان، والسير بالبشرية في الطريق المرسوم للخلافة الربَّاني- التي تمثلت بأبهى صورها في دولة أمير المؤمنين (عليه السلام) محط البحث- وهذا



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان.....

يعطي مفهوم الإسلام الأساسي عن الخلافة، وهو: أن الله (عز وجل) أناب الجماعة البشرية في الحكم، وقيادة الكون وإعمارِهِ اجتماعيًا وطبيعيًا، وعلى هذا الأساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن الله (٨٠).

وبناءً على تقدم، فإن الاستخلاف مفهوم يؤطر الحركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للفرد والمجتمع والأمة، ويضع الحدود الفاصلة بينه وبين غيره من الممارسات؛ لأنّها تقوم على منهج واضح وضوابط محددة طبقاً لما جاءت به الشريعة، فالقرآن الكريم والسنة الشريفة هما دستور الاستخلاف؛ لأنّ الغايات في مجتمع الاستخلاف تتصف بالكمال والشمول، بوصفها غايات صادرة عن الله (عز وجل)، هو الذي يحددها، وليس العقل البشري

المتلبس بالزمان والمكان، وفي حين تقف نظريات التنمية المعاصرة عند تحقيق مجتمع الاستهلاك الوفير أو دولة الرفاهية بوصفها الغاية لعملية التنمية، يعدّ الإسلام تحقيق الحياة الطيبة عائداً أو نتيجةً أو أثراً لتحقيق العبادة الشاملة لله وحده في جميع نواحي الحياة، سعياً للوصول إلى الجنة، والحياة الطيبة هي مراعاة تقوى الله مع وفرة الإنتاج وعدالة التوزيع، أي تحقيق تمام الكفاية لكل فرد مع سيادة الأمن في المجتمع (٨١).

وإضافةً إلى التبرير الشرعي لضرورة الدولة يبرز التبرير العقلي الذي يقوم على الدور الحضاري الذي تلعبه الدولة لأنّها؛ المنهج الوحيد الذي يمكنه تفجير طاقات الإنسان في العالم الإسلامي والارتفاع به إلى مركزه الطبيعي على صعيد الحضارة الإنسانية، وإنقاذه ممّا يُعانيه من ألوان التشتت والتبعية والضياع.



والدولة الإسلامية التي تصدَّى لزعامتها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن قبله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فارتقت إلى مستوى المثالية في تطبيق تعاليم وأحكام المُشرِّع العظيم إنَّما تضع الله هدفاً للمسيرة الإنسانية، وتطرح صفات الله وأخلاقه معاً لهذا الهدف، فالعدل والعلم والقدرة والقوة والرحمة والجلود.. تُشكِّل بمجموعها هدف هذه المسيرة للجماعة الصالحة وهنا مكمُن القوة في الدولة الإسلامية؛ لأنَّ هذا التركيب العقائدي المميز هو الذي يمد الحركة الحضارية للإنسان بوقودٍ لا ينفذ؛ لكن التركيب العقائدي الذي تملكه الدولة ممثلاً في تعاليم القرآن الكريم والإسلام التي تُحدد المعالم العامة لأخلاقه، لا يكفي لإقامة الحق والعدل وتحمل مشاقَّ البناء الصالح؛ بل هو بحاجة إلى دوافع من الشعور بالمسؤولية

والإحساس بالواجب، وتجاوز الإنشداد إلى الدنيا وزينتها والتعلُّق بالحياة على الأرض؛ «لأنَّ ذلك يجمد الإنسان في كثيرٍ من الأحيان ويوقف مساهمته في عملية البناء الصالح» (٨٢).

لم يرد تعبير التنمية الاقتصادية في الكتاب والسُنَّة، فلم نجد في القرآن الكريم على كثرة تناوله للسلوك الاقتصادي، وإحاطته به، وحثُّه الدائب على ضرورة أن يكون هذا السلوك رشيداً، سواء في مجال الإنفاق أو في مجال الكسب والإنتاج، أو غيرهما من المجالات الاقتصادية، لم نجد في القرآن الكريم استعمالاً لمُصطلح (النمو) أو (التنمية) في معرض الحثِّ والأمر، لكننا وجدنا العديد من المُصطلحات التي منها الإعمار، والابتغاء من فضل الله، والسعي في الأرض، وعدم إفسادها ونشدان الحياة الطيبة. وهذه هي وسائل التنمية التي تُنتج الرخاء



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان.....

والنموية بكل مظاهرها. وأقرب المصطلحات القرآنية للعملية التنموية هي: التمكين، والإحياء، والعمارة. وقد ورد الأخير، في قوله (عز وجل): ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (سورة هود، آية: ٦١). أي أذن لكم في عمارتها، واستخراج قوتكم منها، وجعلكم عمّارها، وعمّر عليه أي أغناه. وقوله (عز وجل): ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أي أسكنكم فيها، ألهمكم عمارتها من الحِثِّ، والغرس، وحفر الأنهار، وغيرها. أي خلقكم لعمارتها^(٨٣). وحيث إنَّ قوله (عز وجل): ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ هو طلب مُطلق من الله (عز وجل)، ومن ثمَّ يكون على سبيل الوجوب^(٨٤).

المساواة في العطاء:

ولعلَّ واحدةً من أبرز الخطوات الجريئة التي أقدم عليها في هذا المجال، مساواته في العطاء بين المسلمين كافة، بعد أن شاع مبدأ التمييز والتفريق في المدّة التي سبقته من بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فهو

القائل: «أيها الناس... ألا لا يقولنَّ رجالاً منكم غداً، قد غمّرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المُرَقَّعة، إذا ما منعتهم ما كانوا

٢. الإجراءات العملية لسياسة الإمام علي الاقتصادية:

تجسّد الجانب العملي الذي دعا إليه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في سياسته العملية لتطوير الواقع

يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون: «حرماً ابن أبي طالب حقوقنا»، ألا وأياً رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أنَّ الفضل له على سواه بصحبته، فإنَّ الفضل غداً عند الله، وثوابه وأجره على الله، ألا وأياً رجل استجاب لله ولرسوله، فصدَّق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله، يُقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحدٍ على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء»^(٨٦)، هذا النهج الذي استمده من سُنَّة النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، مؤكِّداً أنَّ التقوى والسابقة في الدين والبلاء في الجهاد والصُّحبة للرسول أمور ذاتية تُقرب الإنسان إلى الله (عَزَّ وَجَلَّ) وتُثقل ميزانه يوم القيامة، ولكنها في المقابل لا تمنح أصحابها أحقيةً لزيادة ثرواتهم ولا

تمنحه آيةً مميزاتٍ دنيويةٍ أخرى^(٨٧). مخالفاً السياسة التي انتهجها عمر بن الخطَّاب، الذي جعل الفضل في العطاء على القُربى من رسول الله والسابقة في الإسلام، إذ كان يقول: «لا أجعل مَنْ قاتل رسول الله كمن قاتل معه»^(٨٨)، إلَّا أنَّ علياً (عَلَيْهِ السَّلَام) في المقابل اختار مبدأ المُساواة في العطاء، منهجاً له في تحقيق العدالة كما نصَّ عليه في خطبته التي ذكرناها.

هذا المبدأ الذي يتفق مع روح المُساواة ويكفل للمُجتمع التوازن، فلا يدع الثروات تتضخم إلَّا بقدر الجهد والعمل وحدهما لا بفضل إتاحة فرصة لا تُتاح للآخرين بوجود وفر من المال للعمل فيه أكبر ممَّا لدى الآخرين، وقد عوتب أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام) على سياسته هذه من لدن من كانوا مستفيدين من ذلك العطاء قبله، لكنه ردَّ عليهم بقوله: «أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان

والعدالة من منطلقين: الأول حق المساواة الإنسانية للجميع، أو ما عبّر عنه «فيما الناس فيه أسوة»، وهي على وجوه عدّة، إلا أن أهمها حق الحياة والكرامة، والحرية المنضبطة والتقاضي العادل واحترام الملكية.. وغيرها من الحقوق. أمّا المنطلق الثاني فهو العدالة، أي وضع الشيء محلّه، يُفسّر الإمام العدل وسموه في الحياة عندما سُئل أيهما أفضل الجود أم العدل؟، فأجاب الإمام: «العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يُخرجها إلى جهتها».

ويُعلّق المفكّر الإسلامي مرتضى المُطهّري (١٩١٩-١٩٧٩م) على هذا الجزء من رؤية الإمام، فيقول: «إنّ معنى العدالة أن تُلاحظ الحقوق الواقعية والطبيعية، فيُعطى لكلّ شخص ما يستحقه بحسب استعدادهِ وعملهِ، وحينئذٍ يجد كلّ شخص مكانه في المجتمع، ويصبح

بِالْجَوْرِ فَيَمَنُ وَوَلِيَتْ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ لَا أَطُورَ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا. لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ. أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُيَبِّسُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يَضَعْ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُهُمٌ؛ فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النُّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَجَّ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ، وَالْأَمُّ حَدِيثٍ»^(٨٩).

وإذ شغلت فكرة المساواة والعدالة حيزاً مهماً من الجهد الفكري والعملية الذي قام به الإنسان على امتداد مسيرته في هذه الحياة^(٩٠)، لم يكن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعيداً عن هذا المسعى الإنساني في سبيل تحقيق وإرساء حق المساواة العادلة، وهو الذي كان يتعامل مع المساواة

العدالة إذا ما أخذت بعين الاعتبار، ولذا تُعدُّ المساواة العادلة حقَّ أساسي من حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ومن الجدير بالذكر أنَّ أمير المؤمنين انطلق بوصفه صوتًا للعدالة الإنسانية من قاعدة الإسلام، في القرآن الكريم وسُنَّة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ناهيك عن سِمَات الإمام (٩٤) الحميدة والمُعْطِيَات العلمية والفقهية التي أدَّت إلى إقامته العدل بين الناس، الذي يُعدُّ الدعامة الرئيسة في إقامة المُجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي الرشيد، إذ لا وجود للإسلام في مجتمعٍ يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

ولعلَّ من مصاديق هذه السياسة القائمة على المساواة في العطاء بين المسلمين، ما نقله صاحب كتاب الاختصاص (رحمته الله)، بما نصه: «القسم بالسوية والعدل في الرعيَّة،

المُجتمع كمصنوع جاهز مُنظَّم. أمَّا الجود، فهو وإن كان معناه: أن يَهَبَ الجواد ما يملكه بالمشروع للآخرين، ولكن لا ينبغي الغفلة عن أنَّه عمل غير طبيعي للمجتمع، إذ ما أحسن للمُجتمع أن لا يوجد فيه عضو ناقص يستدعي سائر الأعضاء إلى العون والمساعدة» (٩١).

ويستمر الإمام في إجابته: «الْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ»، إذ إنَّ العدالة «قانونٌ عامٌ يُدير جميع شؤون المجتمع، فهو سبيلٌ يسلكه الجميع. أمَّا الجود فهو حالٌ استثنائي خاص لا يمكن أن يصبح قانونًا عامًّا، فإنَّه إذا كان كذلك لم يُحسب جودًا آنذاك» (٩٢). ثمَّ أوصل الإمام سائله إلى النتيجة المنطقية، بقوله: «فالعدل أشرفهما وأفضلهما» (٩٣).

وعليه يمكننا القول، أنَّ هناك حقوقًا تستدعي المساواة بين البشر، وهناك مرتكزات للتفاضل تؤدي إلى تحقيق



ولَّى - أي علي بن أبي طالب - بيت الأجناد فأقرع بينهم» (٩٨).

كما أورد صاحب كتاب مروج الذهب؛ في ذكر حرب الجمل؛ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) «قَبَضَ ما كان في معسكرهم من سلاح ودَابَّةٍ وَمَتَاعٍ وآلَةٍ وغير ذلك فباعه، وقَسَمَهُ بين أصحابه، وأخذ لنفسه كما أخذ لكل واحدٍ مِمَّن معه من أصحابه وأهله وولده، خمسمائة درهم..» (٩٩).

وبالتالي، فقد حَقَّق الإمام في مجال سياسته العادلة نجاحًا بارزًا حتَّى شَعَرَ الجميع بتلك السياسة وآثارها الإيجابية على أرض الواقع، قالت إحدى النساء اللواتي عَشَنَ في كَنَفِ حُكْمِهِ: «إِنِّي أَحْبَبْتُ عَلِيًّا على عدله في الرعيَّة وقسمه بالسويَّة» (١٠٠)، بل إنَّ سِمَةَ العدل هذه شَهِدَ لَهُ بها حتَّى أعداؤه (١٠١)، حتَّى قال الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام): «رَحِمَ اللهُ عَلِيًّا، ما استطاع عدوه ولا وليه أن ينقم عليه في حُكْمِ حكمه ولا

مال المدينة عمَّار بن ياسر وأبا الهيثم بن التَّيْهان، فكتب: العربيُّ والقُرشيُّ والأنصاريُّ والعجميُّ، وكلُّ من كان في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء. فأتاه سهل بن حنيف بمولى له أسود، فقال: كم تُعطي هذا؟ فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): كم أخذت أنت؟ قال: ثلاثة دنانير وكذلك أخذ الناس، قال: فأعطوا مولاه مثل ما أخذ ثلاثة دنانير» (٩٥). كذلك ما أورده صاحب كتاب فضائل الصحابة، عن فضالة بن عبد الملك عن كريمة بنت همام الطابية، قالت: «كان علي يقسم فينا الورس» (٩٦) بالكوفة، قال فضالة: حملناه [أي: حملنا على العدل] منه» (٩٧). وعن عاصم بن كليب عن أبيه: «أنَّ عَلِيًّا قَسَمَ ما في بيت المال على سبعة أسباع، ثمَّ وجد رغيًّا فكسره سبع كِسْر، ثمَّ دعا أمراء



قَسِمِ قَسْمَهُ»^(١٠٢). إِلَّا أَنْ هَذَا لَا يَنْفِي بِالطَّبَعِ زَيْغَ أَهْلِ الْهَوَى وَالنَّفَاقِ، مَنَّ لَمْ يَتَجَلَّى الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَثْبَتَ، عَنْ خَطِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسِيَاسَتِهِ الْعَادِلَةَ، فَيَنْقَلُ لَنَا صَاحِبُ كِتَابِ الْغَارَاتِ عَنِ الْمَغِيرَةِ الضَّبِّيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ أَشْرَافُ أَهْلِ الْكُوفَةِ غَاشِّينَ لِعَلِيِّ، وَكَانَ هَوَاهُمْ مَعَ مَعَاوِيَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ لَا يُعْطِي أَحَدًا مِنَ الْفِيءِ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ، وَكَانَ مَعَاوِيَةَ بَنَ أَبِي سَفْيَانَ جَعَلَ الشَّرْفَ فِي الْعَطَاءِ الْفِي دَرَاهِمٍ»^(١٠٣).

وَبالنَّتِيجَةَ فَإِنَّ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ عَنِ إِيْمَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالمُسَاوَاةِ الْعَادِلَةِ، وَعَدُّهَا قَاعِدَةً لِلتَّعَامُلِ بَيْنَ مَخْتَلِفِ فِئَاتِ النَّاسِ، وَبِالمَقَابِلِ فَإِنَّ مَضْمُونِ المُسَاوَاةِ الْعَادِلَةِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ لَهُ أَعْبَادٌ عِدَّةٌ، لَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِهَا: الْإِنْسَانِي، وَالاجْتِمَاعِي، وَالقَانُونِي، وَالسِّيَاسِي، وَالاقْتِصَادِي، مَوْضُوعٌ

الدراسة، مبيِّناً منهجه في هذا البُعد الحيوي من سياسته العادلة، بقوله: «أَلَا لَا يَقُولُ رِجَالٌ مِنْكُمْ غَدًّا قَدْ غَمَرْتَهُمُ الدُّنْيَا فَاتَّخَذُوا الْعِقَارَ وَفَجَّرُوا الْأَنْهَارَ وَرَكَبُوا الْخِيُولَ الْفَارَهَةَ، وَاتَّخَذُوا الْوَصَائِفَ الرُّوْقَةَ [أَي: حِسَانَ، وَهُوَ جَمْعُ رَائِقٍ. الْجَوْهَرِي، مَعْجَمُ الصِّحَاحِ، ص ٤٣٨]، إِذَا مَا مَنَعْتَهُمْ مَا كَانُوا يَخُوضُونَ فِيهِ، وَأَصْرْتَهُمْ إِلَى حَقُوقِهِمُ الَّتِي يَعْلَمُونَ، فَيَنْقَمُونَ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ حَرَمْنَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ حَقُوقَنَا، أَلَا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَرَى أَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَى مَنْ سِوَاهِ لُصْحَبَتِهِ، فَإِنَّ الْفَضْلَ النَّيِّرَ غَدًّا عِنْدَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ وَأَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَجَابَ لِلرَّسُولِ فَصَدَّقَ مِلَّتَنَا وَدَخَلَ دِينَنَا وَاسْتَقْبَلَ قَبْلَتَنَا فَقَدْ اسْتَوْجَبَ حَقُوقَ الْإِسْلَامِ وَحُدُودَهُ. فَاتَّمَّ عِبَادَ اللَّهِ، وَالمَالِ مَالٌ اللَّهُ يُقَسِّمُ بَيْنَكُمْ بِالسُّوِيَّةِ، لَا فَضْلَ فِيهِ





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 لأحدٍ على أحد، وللمُتقين عند الله
 غداً أحسنُ الجزاء وأفضلُ الثواب،
 لم يجعل الله الدنيا للمُتقين أجراً ولا
 ثواباً، وما عند الله خير للأبرار. وإذا
 كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا فإنَّ
 عندنا ما لا نُقسِّمُهُ فيكم، ولا يتخلَّفَنَّ
 أحدٌ منكم عربِّي ولا أعجميِّ،
 كان من أهلِ العطاء أو لم يكن، إلَّا
 حضر» (١٠٤).

وهذا البيان الاقتصادي، هو
 ذو دلالاتٍ مهمة، بعيدة الغور
 وواضحة المعنى. وما نود أن نُشير
 إليه هنا هو أن الإمام كان قد ذهب
 إلى أن الفضل الديني لا يجب أن
 ينعكس بصورةٍ مميزةٍ دنيوية، من
 جهة، ومن جهةٍ أخرى أن المال
 ليس للسلطة الحاكمة، إنَّما هو
 مال الله (عز وجل) للأُمَّة. وبهذا الصدد
 يرى المفكر الإسلامي محمد عمارة،
 أن «قرار علي في العدول عن تمييز
 الناس في العطاء والعودة إلى نظام

المساواة، من أخطر قراراته الثورية؛
 لأنَّه كان يعني انقلاباً اجتماعياً بكلِّ
 ما تعنيه هذه الكلمة من دلالات...
 كما كان رد فعل الأغنياء - وفي
 مقدمتهم ملاً قريش وأبناؤهم - ضدَّ
 عليٍّ وقراره، هو بداية الثورة المضادة
 ضدَّ حكمه» (١٠٥).

وبالتالي، فإنَّ أسلوب المساواة
 العادلة كان أداة بيد الإمام يسعى
 عن طريقها للقضاء على الفقر
 المُدقع بجنب الثراء الفاحش في
 المجتمع الإسلامي، ومن هذا
 البُعد فإنَّ «الناس غير متساوين في
 الضرائب، إذ لا تؤخذ الضريبة إلَّا
 من الموسر دون المعوز» (١٠٦). ويذهب
 علي شريعتي (١٩٣٣ - ١٩٧٧ م) إلى
 أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
 هو أول من أوجد نظرية التساوي
 في الاستهلاك داخل المجتمع، وعدم
 خلق الحاجة واللهث وراء السلع
 المادية، والتفاوت الطبقي فيما

تساوى الحاجة إليه^(١٠٧).

الضمان الاجتماعي:

وبالمقابل، يقتحم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ميداناً آخر في معركته لبناء الإنسان والنهوض بواقعه الاقتصادي، وينبري (عليه السلام) مؤكداً حق الضمان الاجتماعي، شارحاً أبعاده ومدافعاً ومعززاً لوجوده.

ويمكننا إعطاء تعريف للضمان الاجتماعي Social security، بأنه عملية ذات أبعادٍ كثيرة، تتضمن مرحلتين، الأولى: إشباع الحاجات الحياتية للأفراد، التي تصعب عليهم الحياة من دون إشباعها. أمّا المرحلة الثانية، فهي ضمان مستوى الكفاية من المعيشة لأفراد المجتمع الإسلامي، فالكفاية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة في المجتمع الإسلامي يسراً ورخاءً^(١٠٨).

أمّا على الصعيد العملي، فقد كان (عليه السلام) بعد وصوله إلى سدة الحكم، أميناً لما دعا إليه من ضرورة صيانة حق الضمان الاجتماعي، مجسّداً لوصف الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لحكم وشخص الإمام، بأنّه: «أرأفهم بالرعية»^(١٠٩)، إذ أصدر الإمام ما يمكن أن نطلق عليه (وثيقة حق الضمان للطبقات الضعيفة في المجتمع)، إذ جاء في عهده لملك الأشر: «الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا. واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صواني الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى. وكل قد استرعيت حقه ولا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تُعذر بتضييعك التافة



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان

لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمِهْمِ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدَ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ بِمَنْ تَفْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ، فَفَرَّغْ لِأَوْلِيَاكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اِعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاغْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ. وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثَّقُوا بِصَدَقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ، وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ،

حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ». ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحَّ عَنْهُمْ الضِّيْقَ وَالْأَنْفَ يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أُعْطِيَتْ هَنِيئًا، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ» (١١٠).

ويُعد هذا الجزء من العهد الذي كتبه الإمام مالك الأشتر من أوضح وأدق ما أمكنا العثور عليه في تراث الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بشأن حق الضمان الاجتماعي، ويمكن أن نتلمس به أكثر من إشارة مهمة، كرسم آية وصيغ تنفيذ حق الضمان الاجتماعي ونقله من النظرية المثالية إلى الواقع العملي الملموس، وتحديد الفئات الاجتماعية المستفيدة من حق الضمان الاجتماعي، والمساحات التي

يعمل فيها والأهداف التي يسعى لإنجازها هذا الحق.

وإذ تُعد مشكلة الفقر من أهمّ المشاكل التي تواجه الإنسانية التي أعيّت رجال الاقتصاد والفكر الذين وضعوا في سبيل حلّها النظريات والآراء، التي عجزت في القضاء عليها واستئصالها من خارطة الوجود الإنساني؛ لتبلور بالتالي كأخطر المشاكل الاجتماعية أثرًا في تأخر الأمم وانحطاطها، وأقساها مفعولًا في تدهور المجتمعات وانهارها، فقد كانت مشكلة الإنسان المُعذَّب منذ المديات التاريخية البعيدة، وبقيت مشكلته حتّى اليوم، وظننا أنّها ستبقى مشكلته المعقّدة والمستعصية حتّى الغد البعيد.

وبما أنّها مشكلة الإنسان الاجتماعية الخطيرة، فقد وقف المفكّرون والمصلحون والثوار منها موقف الصراع العنيف، وموقف

المقاومة الصارمة، فوضعوا مختلف الحلول وشرعوا ألوان الأنظمة، وقاموا بثتّى الثورات، لحلّ عقدها حلًّا تامًّا أو التخفيف من وقعها على الأقل، وكان بدء المقاومة هذه قديمًا قَدَم شعور الإنسان بإنسانيته وبمسؤولية المحافظة عليها. إلاّ أنّه فيما يبدو لم تكن تلكم المقاومات على أساس أنّ الفقر يمثل مشكلة اجتماعية، وإنّما اتخذت المقاومة هذا الطابع - أي مقاومة الفقر على أساس أنّه مشكلة اجتماعية - منذ بداية الدعوة الإسلامية التي كشفت أنّ الفقر والغنى مشكلة اجتماعية خطيرة، والتي نظرت إلى المشكلة على أساس أفاعيلها الاجتماعية، والتي فلسفت الفقر فلسفة اجتماعية على لسان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بكلمتيه المأثورتين: «ما جاعَ فقيرٌ إلاّ بما مُتّع به غنيٌّ»، «ما رأيتُ نعمةً موفورة إلاّ وإلى جانبها



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
حقٌّ مضيع»^(١١١)، وهاتان الكلمتان توضحان لنا واقع المسألة وأنها مشكلة اجتماعية^(١١٢).

ومن هذا الأساس، أصبح من أبرز المشاكل التي حَفَلَ بها منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) الإصلاحية يوم وليّ الحكم، مشكلة الفقر والغنى، سائرًا على نهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في هذا الشأن.

وعن هذه الأخيرة وردتنا عشرات الأحاديث التي عاجلت وسلّطت الضوء على هذه المشكلة الاجتماعية الكبيرة، منها، قول رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم): **«لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَاوَدِيًّا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَاوَدِيانَ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»**، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«إِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا، فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ»**، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»**،

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«لَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيِّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسَبٍ»**، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ»**، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«مَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةً إِلَّا ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالسَّنِينِ»**، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»**^(١١٣). وبهذا الشأن أيضًا، روي عن أبي ذرّ الغفاري (رضي الله عنه)، أنه قال: **«عَجِبْتُ لِمَنْ لَا يَجِدُ الْقَوْتَ فِي بَيْتِهِ، كَيْفَ لَا يُخْرِجُ عَلَى النَّاسِ شَاهِرًا سَيْفَهُ»**^(١١٤).

وبالتالي، فقد كانت مشكلة الفقر شاخصه في رؤية وضمير الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حيث استشعرها بنظرة ذات أبعاد إنسانية وإسلامية وسياسية واقتصادية، مؤكّدا ضرورة القضاء على ظاهرة الفقر في المجتمع الإسلامي والإنساني، فيقول: **«لَوْ تَمَثَّلَ لِي الْفُقَرُ رَجُلًا لَقَتَلْتُهُ»**^(١١٥).

ولقد كان حق الضمان الاجتماعي السلاح الذي استخدمه الإمام في سعيه للقضاء على الفقر وإلغاء طبقة

الفقراء من المجتمع.

أمّا بالنسبة لأهمية الحفاظ على

كرامة مُستحقي الضمان الاجتماعي، يؤكد أمير المؤمنين (عليه السلام) على أن مجرد شمول الفرد بهذا الحق لا يعني أن يتنازل ولو بمقدار يسير عن كرامته التي فضله الله (عز وجل) وميَّزه بها عن سائر مخلوقاته، إذ «بيّن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن العناية بالمشمولين بحق الضمان الاجتماعي ليست إحساناً إليهم، وإنما هي واجب تقوم به السلطة، ولذا فلا يجوز أبداً أن يُعاملوا باحتقارٍ وازدراء، وإنما يجب أن تُحفظ لهم كرامتهم»^(١١٧). ولعلّ من أهمّ صيغ حفظ كرامة هؤلاء، منحهم حقوقهم دون أن يستشعروا للآخرين بضعفهم، وهنا تبرز فلسفة صدقة السرّ التي شجّع عليها الإمام بوصفه لها، أنّها «تُطفى الخطيئة وتُطفى غضب الرّب»^(١١٨)، مقدّمًا المثال العملي لصيانة الكيان المعنوي للمُحتاجين ضمن نظام الضمان

ويمكن كذلك تحديد الإطار العام لفلسفة الضمان عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وغايتها القصوى، بصيانة حياة الإنسان المادية والمعنوية، والرفع من شأنه لا الإساءة إليه أو إهانة كرامته. ويوجز الإمام مفهومه لآلية العمل في تحقيق الضمان الاجتماعي، بقوله: «المعروف كنزٌ من أفضل الكنوز، وزرعٌ من أزكى الزروع، فلا يُزهدنكم في المعروف كفر من كفره ووجد من جحده. إنّ المعروف لا يتمّ إلاّ بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإذا صغّرته فقد عظّمته، وإذا سترته فقد أتمّمته، وإذا عجّلته فقد هنّأته»^(١١٦). هذا العمل الضخم المراد إنجازه في المجتمع ليستدعي متطلباتٍ مادية توظّف لصالح هذا الهدف، وهو ما كان حاضرًا عند الإمام.



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 الاجتماعي، الذي بذل غاية جهده في سبيل إعادة تفعيله في ظلّ سياسته الاقتصادية العادلة، التي هدف بها بناء الإنسان وحفظ كرامته. ضرورةً» (١٢١).

كذلك كان توفير الموارد الضرورية لتنفيذ حقّ الضمان الاجتماعي من أولويات الإمام (عليه السلام)، الذي وجّه بإنشاء هيئة خاصة تتكفل العمل لتجسيد هذا الحق على الصعيد العملي تكاملاً مع سعيه لتوفير الموارد المالية التي تُغطّي الالتزامات المتعلقة بهذا الحق، كالزكاة، التي «هي حقّ لازم تأخذه الدولة وتُقاتل عليه، فهي أحد أركان الإسلام وقد جاء الأمر بها في القرآن الكريم مقرونةً بالصلاة نحو ثلاثين موضعاً» (١١٩). كما «ثبت عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنّه وضع الزكاة على أموال غير الأموال التي وضعت عليها الزكاة في الصيغة التشريعية الثابتة» (١٢٠) ... وهذا عنصر متحرك يكشف عن أنّ

أمّا الرافد الثاني الذي دعا الإمام إلى تطبيقه وتفعيله دعماً للضمان الاجتماعي فهو (خمس) (المكاسب)، والذي يتضمّن استناداً إلى أدلة شرعية من القرآن والسنة النبوية (١٢٢)، خمس أرباح التجارات والصناعات والإجارات والعمل والوظائف والهدية والوصية وأرباح مالك المنجم والمُدخّرات من الكسب الحرام إذا اختلط بالحلّال ولم يتميّز، فإنّ تميّز أُخرج كلّهُ واللؤلؤ المُستخرج والموارِيث التي لم يؤدّ عنها الخمس، وذلك بعد أن يستنزل المُكلّف مؤونة الحفظ ومؤونة الذين يعولهم ومركبه ومسكنه ونفقات إضافية لمدة سنة كاملة، وما زاد عن ذلك ففيه الخمس (١٢٣). وبالتالي،



يمكن القول أن مبدأ الخمس المكاسب كان أحد الوسائل المُجدية لتحقيق الضمان الاجتماعي في مجتمعاتنا المعاصرة. وإلى غير ذلك من الروافد المالية التي كانت تصب في سبيل دعم برنامج الضمان الاجتماعي في دولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كإشاعة فلسفة البذل والسخاء بين المسلمين، وغيرها.

الخاتمة:

بعد أن تناولنا موضوع سياسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الاقتصادية، ودورها في بناء الإنسان، بدراسة جاءت في مبحثين. نجد أن الإمام يُعد تجسيداً حياً للشريعة الإسلامية برافديها القرآن الكريم والسنة النبوية، مُضافاً إليهما إبداع الإنسان المتميز في تطبيق النص على أرض الواقع، ولاسيما في مجال بناء الإنسان وحفظ حقوقه، إذ شملت رؤيته مساحةً واسعة من تلك

وإذ دعا الإمام (عليه السلام) إلى أن ينعم الإنسان بحق المساواة العادلة في أبعاده كافة سواء البعد الإنساني، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو السياسي، أو القضائي. إلا أن الدعوة النظرية والممارسة العملية للإمام لترسيخ هذا الحق لم تكن على حساب المعايير الموضوعية للتفاضل بين الناس، التي عمل بموجبها استناداً إلى الشريعة الإسلامية، وذلك لتحقيق العدالة بين البشر من جهة والسعي لتطوير المجتمع والارتقاء بالوجود الإنساني من جهة أخرى، إذ أن الإيمان والتقوى والعلم والعمل المثمر هي من مقومات الإنسان الفاضل والمجتمع الصالح. وواحدة من أبرز ما توصلنا إليه في دراستنا هذه، أن العمل إنما يمثل حقاً من حقوق الإنسان على



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان

وفق رؤية الإمام (عليه السلام). لذلك دعا إلى احترام العمّال، وخلق المجتمع المنتج، والسعي الجاد لتوفير فرص العمل عبر ضبط الحياة الاقتصادية، وتعزيز دور القضاء الاقتصادي، وتنظيم العمل في المجتمع، وتشجيع العمران والتخطيط الاقتصادي، ومنع السُّخرة، وضرورة حصول العمّال على حقوقهم بالأجور العادلة والحياة الكريمة؛ ليكون (العمل) بذلك واحداً من أبرز مقومات وأسس النظرية الاقتصادية في الإسلام.

كما اتّسمت رؤية الإمام للملكية بالإيجابية، إذ عدّها حقاً من حقوق الإنسان سعى لصيانتِه عبر آليات عدّة لعلّ من أهمها البُعد المعنوي بتأكيدِه حرمة مسّ ملكية الآخرين، بغير وجه حق، والبُعد المادي عبر تأكيد مبدأ العقوبة على من يتعدّى على ملكية الآخرين وصيانة الملكية

العامّة خدمةً للفرد والمجتمع. كذلك فقد شغل حق الضمان الاجتماعي حيزاً مهماً من تجربة الإمام في إرساء حقوق الإنسان والعمل على بنائه اجتماعياً. فقد بين الإمام الأساس الشرعي والإنساني والسياسي لهذا الحق إضافةً لممارسته العملية له، إذ شملت تجربته العملية الضمان ضدّ الفقر، وتحقيق الأمن الغذائي، والضمان الصحي، ورعاية المُستضعفين في المجتمع من الأيتام والأرامل وكبار السن، ناهيك عن شمول الضمان الاجتماعي - على وفق الرؤية العلوية - تقديم المعونات الاقتصادية وضمان السكن والعيش الكريم للإنسان^(١٢٤). من أجل ذلك كانت للإمام فرادته، وقد جاءت ظاهرةً في كتابات المؤرخين الأوائل ودراسات الباحثين، عرباً أو مُستشرقين.

وبالتالي، فقد كان مشروع الدولة

وفق رؤية الإمام (عليه السلام). لذلك دعا إلى احترام العمّال، وخلق المجتمع المنتج، والسعي الجاد لتوفير فرص العمل عبر ضبط الحياة الاقتصادية، وتعزيز دور القضاء الاقتصادي، وتنظيم العمل في المجتمع، وتشجيع العمران والتخطيط الاقتصادي، ومنع السُّخرة، وضرورة حصول العمّال على حقوقهم بالأجور العادلة والحياة الكريمة؛ ليكون (العمل) بذلك واحداً من أبرز مقومات وأسس النظرية الاقتصادية في الإسلام.

كما اتّسمت رؤية الإمام للملكية بالإيجابية، إذ عدّها حقاً من حقوق الإنسان سعى لصيانتِه عبر آليات عدّة لعلّ من أهمها البُعد المعنوي بتأكيدِه حرمة مسّ ملكية الآخرين، بغير وجه حق، والبُعد المادي عبر تأكيد مبدأ العقوبة على من يتعدّى على ملكية الآخرين وصيانة الملكية



نابضاً في فكر عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وممارساته، مُستلهماً ذلك من القرآن ومن تجربة الرسول (صلى الله عليه وآله) في المدينة، هذا الموروث الذي وُجد من تأمر عليه عن قصدٍ أو غير قصد في عهد عثمان أو ربما قبله، ولم يبقَ سوى القليل منه. ولعلّه أراد أن يُعيد بناء الأنموذج في الكوفة، ومن ثمّ تعميمه على الدولة كلّها بعد استعادة وحدتها، وصهر قبائلها في إطار قضيةٍ مشتركة، ولكن، كما بدأ، أنّ ثمة من كان يتربّص بمشروع الدولة على هذه الصورة، ولم يُرد أن تأخذ هذا المدى من الجذرية والعمق.

وفي الختام نود أن نُبيّن أننا اجتهدنا قدر المُستطاع لتحقيق دراسةٍ موضوعيةٍ حيادية عن سياسية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إلا أنّ ذلك كان صعباً جداً؛ لأنّ الحديث بحيادٍ

مُطلق عن قامته عليها ذلك الدوي العاصف في النفس بما تميّزت به من صفاءٍ وعِلْمٍ وشجاعةٍ وزُهد ليس سهلاً، وكذلك البحث في شخصية وحياة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يقود بطبيعته إلى الانبهار والإعجاب، وهذا محظوراً في الدراسات التاريخية التي توجب التجرد عن المشاعر والعقل ما يجب الذهاب تحت لوائه إلى النص، وليس غيره ما يحمل على الاقتراب من الحقيقة التاريخية.

ونعتقد بكلّ تواضع أننا سرنا في هذه الدراسة تحت مظلة المنهج العلمي في دراسة تاريخ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومشروع دولته، وقد حققنا عملاً يتسم بالموضوعية، ولم نُستدرج إلى معطياتٍ خارجة عن النص أو إلى قراءةٍ منفصلة له. والله ولي التوفيق، والحمد لله أولاً وآخراً.



(٥) في كتابه (الجمهورية) الذي ألفه حوالي عام ٣٨٠ قبل الميلاد، وهو المؤلف الرئيس له، يتحدث فيه عن تعريف العدالة، والنظام، وطبيعة الدولة العادلة والإنسان العادل، وقد ربط أفلاطون طبقات المجتمع مع فضائل اجتماعية معينة، مشبهاً طبقات المجتمع بالنفس، حيث العاقلة المريدة والمشتهية. هذا الكتاب الذي وضعه أفلاطون على لسان أستاذه سقراط تناول فيه أيضًا قضايا تخص الدول والمجتمعات الشرقية والغربية منذ فجر التاريخ الإنساني، ليُناقش في بداية الكتاب فكرة العدالة، وكيف نبني دولةً عادلةً أو أفرادًا يحبون العدالة. لمزيد من التفاصيل، يُنظر:

The Republic of Plato, James Adam (edit.), Cambridge: at the University Press, 1900.

(٦) وذلك في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) الذي قَصَد منه تكوين مجتمع فاضل (يوتوبيا Utopia) من نوع المجتمعات التي فكَّر فيها من قبله طائفة من فلاسفة اليونان كجمهورية أفلاطون، ومن بعدهم كتاب (مدينة الشمس) Tommaso La città del Sole للفيلسوف الإيطالي Campanella (١٥٦٨ - ١٦٣٩م)، الذي كتبه عام ١٦٠٢م بالإيطالية، والذي يُعد من أوائل الأعمال الفلسفية اليوتوبية المهمة في العصر الحديث، وقد أفرد الفارابي جزءًا كبيرًا من كتابه لبحث الناحية الاجتماعية ذاهبًا إلى أن أساس الاجتماع الحاجة

(١) يُنظر: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد هشام النعسان وعبد المجيد طعمة حليبي، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ج٢، ص ٣١٥.

(٢) لمزيد من التفاصيل، يُنظر: ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد بن سعيد (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م)، كتاب الغارات (أو: الاستنفار والغارات)، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، (بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ص ٥٣ - ٧٢.

(٣) غِدينز، أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الضيَّاع، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥م)، ص ٤٧.

(٤) في بحثه في علم الأخلاق، أو ما يُسمَّى بـ(المعرفة العملية)، أي تلك المعرفة التي تجعل الناس قادرين على التصرف السليم والعيش في سعادة، مبيِّنًا أن الهدف الذي يسعى إليه الناس هو السعادة ونحن نُحقِّق السعادة عندما نوَدِّي وظيفتنا؛ ولأنَّ الإنسان في رأي أرسطو هو الحيوان العاقل، ووظيفته هي أن يعقل الأمور، فإنَّه تَبَعًا لذلك تكون الحياة السعيدة للإنسان هي تلك الحياة التي يحكمها العقل. لمزيد من التفاصيل، يُنظر: أرسطوطاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمه عن الفرنسية: أحمد لطفي السيد، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ /



الفطرية. لمزيد من التفاصيل، يُنظر: وافي، علي عبد الواحد، المدينة الفاضلة للفارابي، (القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، د. ت)، ص ١٩-٣٣.

(٧) بواسطة كتابه (تهذيب الأخلاق)، الذي يمثل قَمَّةَ الإبداع الأخلاقي في أجواء الفكر العربي والإسلامي في ذلك العصر، مسجلاً فيه أدق النظريات الأخلاقية وأنبُلها. وبالتالي، يُعد هذا المصدر أساسياً لدراسة علم الأخلاق Ethics في القرن الرابع الهجر / العاشر الميلادي، والعصر البويهي؛ ذلك لأنه جاء عن مشاهدة وعيان من مؤلفه، أو نقلاً مباشراً عن عاشوا وعاصروا تلك الحقبة. لمزيد من التفاصيل، يُنظر: مسكويه، أبو علي أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب، تهذيب الأخلاق، تحقيق: عماد الهلالي، (بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١١م).

(٨) من أبرز مراجع علم الاجتماع الحديث: فيبر، ماكس (١٨٦٤ - ١٩٢٠م)، الاقتصاد والمجتمع، ترجمة: محمد التركي، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة)؛ لومان، نيكولاس، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة: يوسف فهمي حجازي، (كولونيا (ألمانيا)، منشورات الجمل، ٢٠١٠م)؛ كرومبتون، روزماري، الطبقات والتراصف الطبقي، ترجمة: محمود عثمان حداد وغسان رمالوي، (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٦م)؛ غِدْنز، أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصِّيَاغ، (بيروت،

المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥م)؛ دوركهايم، إميل، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: حافظ الجمالي، (بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢م)؛ لوكاش، جورج، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة: حنا الشاعر، ط ٢، (بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٢م)؛ أندرسن، بندكت، الجماعات المُتخيَّلة. تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة: نائر ديب، (بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)؛ بوبر، كارل، منطق الكشف العلمي، ترجمة: ماهر عبد القادر محمد، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٦م)؛ وغيرها.

(٩) الزمكان أو الزمكانية: مصطلح حديث النشأة، يدل على اتحاد الزمان والمكان في إطار واحد، ويعود فضل ابتكار هذا المصطلح إلى علم الفيزياء الفلكية، وخصوصاً من قبل عالم الفيزياء ألبرت آينشتاين Albert Einstein (١٨٧٩ - ١٩٥٥م) بواسطة نظريته النسبية The Theory of Relativity. للتعبير عن الفضاء رباعي الأبعاد الذي أدخلته هذه النظرية ليكون فضاء الحَدَث بدلاً من المكان المُطلق الفارغ في الميكانيكا الكلاسيكية ونظرية الكم. لمزيد من التفاصيل، يُنظر:

Lucas. John Randolph. A Treatise on Time and Space. London: Methuen, 1973; Brian, Denis. Einstein: A Life. New York: John Wiley, 1996.

(١٠) يُقصد بهذا المصطلح نمط السيرة العقلانية في المجتمع الإسلامي على وجه الخصوص، التي



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان

تدل على استمرار عادة الناس وتبنيهم العمل على فعل شيء، أو ترك شيء، والمقصود بالناس: جميع العقلاء والعرف العام من كل ملّة ونحلة، فيعم المسلمين وغيرهم، والتعبير الشائع عند الأصوليين المتأخرين. والمراد منهم علماء الأصول في الأزمنة المتأخرة، تسميتها ب(بناء العقلاء). فالسيرة العقلانية تقضي بلزوم رجوع الجاهل إلى العالم وأهل الخبرة. لمزيد من التفاصيل، يُنظر، المظفر، محمد رضا (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، أصول الفقه، ط ٢، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٦.

(١١) البجاري، جاسم محمد شهاب، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، (الموصل، مطبعة الجمهور، ١٩٩٠م)، ص ٣٨.

(١٢) الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص ٣٣.

(١٣) أورده جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) عن ابن عساکر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م)، في: الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م)، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، (الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)، ج ٩، ص ٢٣٧ - ٢٣٨، حديث رقم (٧٥٧٦).

(١٤) القرشي، باقر شريف (ت ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)، العمل وحقوق العامل في الإسلام، ط ٢، (النجف الأشرف، مطبعة الآداب، د. ت)، ص ١٤ - ١٥.



(١٥) يقول (عليه السلام): ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، (سورة النحل، الآية: ٩٧). ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾، (سورة الكهف، الآية: ٨٨). ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، (سورة فصلت، الآية: ٤٦). ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾، (سورة الرعد، الآية: ٢٩). ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، (سورة الحج، الآية: ٥٠). ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، (سورة النور، الآية: ٥٥). وغيرها كثير من الآيات القرآنية المباركة. أمّا بالنسبة للسنة النبوية الشريفة، فقد تعددت كذلك وكثرت الأحاديث التي تناولت هذا الموضوع، مشددة على أهميته الكبيرة، مثال قوله (عليه السلام): «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَبِّ الْأَمْرِ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ». أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. يُنظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة، د. ت)، ج ٢٧، ص ٣٠٠ - ٣٠١، حديث رقم (١٦٧٣٨).

- (١٦) الحُر العاملي، مُحَمَّد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، (قم، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٣٧٢هـ)، ج ١٧، ص ٢٣.
- (١٧) الشيخ المفيد، أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)، الإرشاد في معرفة حُجج الله على العباد، (بيروت، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ج ١، ص ٣٠٣؛ الطباطبائي، مُحَمَّد حسين (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م)، الميزان في تفسير القرآن، (قم، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د. ت)، ج ١٨، ص ٣٨٣.
- (١٨) النوري، الميرزا حسين بن مُحَمَّد تقي الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)، مُستدرِك الوسائل ومُستنبط المسائل، ط ٣، (بيروت، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١١هـ / ١٩٩١م)، ج ١٣، ص ٩ - ١٠.
- (١٩) ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن مُحَمَّد بن الحُسين المعتزلي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م)، ج ٩، ص ٢٢٩، خطبة رقم (١٦١).
- (٢٠) لمزيد من التفاصيل، يُنظر: الصدر، مُحَمَّد باقر (ت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، الإسلام يقود الحياة، ط ٢، (طهران، وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٤٠٣هـ)، ص ٩١ - ٩٧.
- (٢١) مدير، كاظم، الحُكَم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ط ١، (مشهد، مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٧هـ)، ج ١، ص ٢٩.
- (٢٢) المرجع نفسه، ج ١، ص ٧١، ص ٣٣٩.
- (٢٣) الواسطي، أبو الحسن كافي الدين علي بن مُحَمَّد الليثي (توفي مطلع القرن السابع الهجري)، عيون الحُكَم والمواعظ، تحقيق: حسين الحُسيني، (قم، دار الحديث، ١٣٧٦هـ)، ص ١٣٦.
- (٢٤) مدير، الحُكَم من كلام أمير المؤمنين، ج ١، ص ١٥١.
- (٢٥) الواسطي، عيون الحُكَم والمواعظ، ص ١٢١.
- (٢٦) مدير، الحُكَم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ج ١، ص ٨٣؛ وللمزيد من التفاصيل حول اهتمام أمير المؤمنين بالدقَّة والتخصُّص في العمل، يُنظر: الموسوي، محسن باقر، الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي (عليه السلام)، ط ١، (بيروت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٨م)، ص ١٨ وما بعدها.
- (٢٧) بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة، ط ٢، (طهران، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٨هـ)، ج ٢، ص ٧٣٦.
- (٢٨) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٧٣٣.
- (٢٩) الواسطي، عيون الحُكَم والمواعظ، ص ١٨٥.
- (٣٠) مدير، الحُكَم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)،



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 العلمية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ٤٧٣، باب: في ج ١، ص ٨٨.

(٣١) الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص ٩٣.
 (٣٢) ممّا قاله الطبري معلّقاً بعد أن أورد هذه الآية المباركة: «ما كان ينبغي له أن يخون، فكما لا

ينبغي له أن يخون فلا تخونوا»، كذلك قال الفخر الرازي: «واعلم أن الخيانة مع كلِّ أحدٍ محرمة، وتخصيص النبي بهذه الحرمة فيه فوائد، أحدها: أن المجني عليه كلّما كان أشرف وأعظم درجةً كانت الخيانة في حقه أفحش، والرسول أفضل البشر، فكانت الخيانة في حقه أفحش. وثانيها: أن الوحي كان يأتيه حالاً فحالاً، فمن خانه فربما نزل الوحي فيه، فيحصل له مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا. وثالثها: أن المسلمين كانوا في غاية الفقر في ذلك الوقت، فكانت تلك الخيانة هناك أفحش». يُنظر: الطبري، مُحمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ج ٦، ص ١٩٨؛ الفخر الرازي، أبو عبد الله مُحمَّد بن عمر التيمي الشافعي (ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م)، مفاتيح الغيب، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ج ٩، ص ٧٤.

(٣٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٩، ص ٧١. كذلك يُنظر في المعنى نفسه ما رواه: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ط ٣، (بيروت، دار الكتب

(٣٥) استناداً إلى مجموعة من الآيات القرآنية، منها قوله (ﷺ): «وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (سورة آل عمران، آية: ١٠٤)؛ «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (سورة آل عمران، آية: ١١٠).

(٣٦) الماوردي، أبو الحسن علي بن مُحمَّد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: خالد رشيد الجميلي، (بغداد، المكتبة العالمية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، ص ٣٦٢؛ كذلك يُنظر: الفراء، أبو يعلى مُحمَّد بن الحسين بن مُحمَّد بن خلف (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م)، الأحكام السلطانية، (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ)، ص ٢٦٨.

(٣٧) تعددت البحوث والمؤلّفات في موضوع الحِسبة في العصر الحديث، حتّى بات من غير الممكن حصرها وتعدادها. أمّا مصادرنا الأولية في هذا الموضوع، فمن الممكن أن نعرض لأبرزها وأهمها ممّن خُصّصت لهذا الموضوع دون غيره من موضوعات الفكر الإسلامي وأنظمته التشريعية. هذه المصادر هي: الأندلسي، أبو زكريا يحيى بن

- عمر بن يوسف بن عامر الكناني (ت ٢٨٩هـ / ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)؛ ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمُحتسب، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، (القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٥٥م).
- (٣٨) إمام، محمد كمال الدين، أصول الحسبة في الإسلام. دراسة تأصيلية مقارنة، (القاهرة، دار الهداية، ١٩٨٦م)، ص ١٥-١٦.
- (٣٩) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٦٩.
- (٤٠) عبده، محمد (ت ١٨٤٩هـ / ١٩٠٥م)، شرح نهج البلاغة، (بيروت، دار المعرفة، د. ت. ج ٣، ص ٨٢-١١١).
- (٤١) المرجع نفسه.
- (٤٢) عياصرة، بسام عوض، الرقابة المالية في النظام الاقتصادي الإسلامي، (عمّان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)، ص ١٤٦.
- (٤٣) الضحيان، عبد الرحمن بن إبراهيم، الرقابة الإدارية: المنظور الإسلامي والمعاصر والتجربة السعودية، (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٩٣م)، ص ٩٢.
- (٤٤) عَسَّاف، محمود، المنهج الإسلامي في إدارة الأعمال، (جدة، مكتبة الخدمات الحديثة، ٢٠٠٢م)، ص ١٠٠.
- (٤٥) الفنجري، محمود شوقي، ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية وأهميتها الاقتصاد الإسلامي، (القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٣م)، ص ٥٣.
- عمر بن يوسف بن عامر الكناني (ت ٢٨٩هـ / ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، كتاب أحكام السوق، تحقيق: محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م، ٤م، ع ١-٢، ص ٥٩-١٥١؛ السقطي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد المالقي الأندلسي (ت ق ٥هـ / ١١م)، في آداب الحسبة، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، (باريس، ١٩٣١م)؛ الشيزري، أبو النجيب جلال الدين عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي (توفي نحو ٥٩٠هـ / ١٠٩٤م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م)؛ ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م)، الحسبة في الإسلام، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.)؛ ابن الأخوة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م)، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م)؛ السنامي، عمر بن مُحَمَّد بن عوض (ت ق ٨هـ / ١٤ذ م)، نصاب الاحتساب، تحقيق: مريزن سعيد عسيري، (مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)؛ ابن الديبع، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)، بغية الإربة في معرفة أحكام الحسبة، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى،



السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان

(٤٦) يُنظر: عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج ٦ - ٧.

٣، ص ٨٢ - ١١١.

(٤٧) القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم

الأنصاري (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م)، كتاب الخراج،

(بيروت، منشورات الجمل، ٢٠٠٩ م)، ص ٣١ -

٣٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،

ج ٢، ص ٣١٥؛ وقد أورد البلاذري روايةً عن

يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م): «أنَّ عمر

بن الخطَّاب أراد قِسمة السَّواد بين المسلمين...

فشاور أصحاب رسول الله (ﷺ) في ذلك، فقال

علي: دعهم يكونوا مادةً للمسلمين...». يُنظر:

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر

(ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد

القادر محمد علي، (بيروت، دار الكتب العلمية،

١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م)، ص ١٦٣ - ١٦١؛ ولزبيد من

التفاصيل، يُنظر: الكبيسي، حمدان عبد المجيد،

الخراج. أحكامه ومقاديره، (بغداد، جامعة

بغداد، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م)، ص ٧٧ - ٨٣.

(٤٨) كان من إرهاباتها موقف مالك بن الأشتر

النخعي وأصحابه من سعيد بن العاص (ت

٥٩ هـ / ٦٧٩ م) الذي اعتبر السَّواد قِطِيناً (بستاناً)

لقريش. المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص

٣٠٠ - ٣٠١.

(٤٩) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص

٢٦٩.

(٥٠) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣١٥.

(٥١) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) علمًا أننا في هذا المجال نعتمد الرأي

القائل بـ: «انتشار السيادة الإسلامية لا الدين

الإسلامي»، فيما يُسمَّى بـ (حروب التحرير) التي

نرى أن يكون الأصح تسميتها بحروب التوسع

أو السيطرة الإسلامية. وهو الرأي الذي نادى به

الأستاذ الدكتور ناجي حسن، إذ يقول في هذا

الموضوع ما نصه: - فما أن فرغ - أبو بكر - من

أمر أهل الردَّة حتَّى كتب إلى «أهل مكَّة والطائف

واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم

للجهاد، ويُرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع

الناس إليه بين مُحْتَسِب وطامع فأتوا المدينة من

كلِّ أوب»؛ (البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧١)؛

وقد استطاع الإسلام أن يُوجد هذه الجموع

ويُنظِّمها ويدفع بها نحو مناطق الفتح، فاندفعت

تلك الجموع تنشر السيادة الإسلامية، لا الدين

الإسلامي كما يُشاع ويُظن دون علمٍ أو تمحيص،

يدل على ذلك أن جميع المواثيق والعهود التي

كتبها قواد الفتح لأهل البلاد المفتوحة لم تشترط

اعتناقهم الإسلام، وإنَّما خيروا بين هذا أو دفعهم

للجزية». يُنظر: القبائل العربية في المشرق خلال

العصر الأموي، (بغداد، اتحاد المؤرخين العرب،

١٩٨٠ م)، ص ٦٣ - ٦٤.

(٥٤) يرى الدارسون أن للخراج أهميةً كبرى

في تاريخ الدولة الإسلامية، فبعضهم ينسب

إلى مقاديره وأساليب جبايته كثير من الحركات



Circumstances in Iraq, Philadelphia: Porcupine Press, 1949; Morony, Michael G., Iraq after the Muslim Conquest, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1984.

(٥٥) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص

٩٦.

(٥٦) نقصد به: يزيد بن المهلب بن أبي صفرة

الأزدي (٥٣ - ١٠٢هـ / ٦٧٣ - ٧٢٠م)، أحد

القادة الشجعان الأجواد. ولَّى خراسان بعد وفاة

أبيه سنة ٨٣هـ، فمكث نحوًا من ستِّ سنين،

وعزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج

(أمير العراقيين في ذلك العهد) وكان الحجاج

يخشى بأسه، فلما تمَّ عزله حبسه، فهرب يزيد

إلى الشام. ولَمَّا أفضت الخلافة إلى سليمان بن

عبد الملك، ولَّاه العراق ثمَّ خراسان، فعاد

إليها، وافتتح جرجان وطبرستان. ثمَّ نُقل إلى

إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن استُخلف عمر

بن عبد العزيز، فعزله. وأخباره كثيرة. وإياه

عنى الفرزدق بقوله: (وإذا الرجال رأوا يزيد

رأيتهم - خضع الرقاب نواكس الأبصار). ابن

خلِّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن

مُحمَّد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات

الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان

عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م)، ج ٦، ص

٢٧٨ - ٣٠٩؛ ابن خلدون، أبو يزيد عبد الرحمن

بن مُحمَّد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)،

تاريخ ابن خلدون المُسمَّى ديوان المبتدأ والخبر

والثورات، ويربط آخرون بينه وبين الأوضاع

الزراعية من حيث الازدهار أو التدهور، ويذهب

كثيرون إلى أنَّه القاعدة التي تستند إليها الدولة،

وأنَّ إدارتها المالية تتركز عليه. وقد لا تخلو هذه

الآراء من حقيقةٍ، ولكنها ليست دقيقة بالضرورة،

وقد اتجه كثير من الباحثين إلى القول بأنَّ الخراج

في الدولة الإسلامية هو استمرار للنُظم الإدارية

القائمة قبل الإسلام، فرأى بعضهم، أنَّه في

الشام ومصر استمرار للنظام البيزنطي، ورأى

آخرون أنَّه في العراق والمشرق استمرار للنظام

الساساني. كلُّ ذلك في وقتٍ تتوالى فيه الأبحاث

بلغاتٍ أجنبية لتوضيح هذين النظامين، من دون

أنَّ يُكتب عنهما في العربية ما يُذكر، ودون أنَّ

يُبتَّ في كثير من مشاكلهما إلى الآن. ومن أمثلة

الدراسات الاستشراقية التي تناولت موضوع

الخراج في الدولة الإسلامية: فلهاوزن، يوليوس،

تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية

الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو

ريدة، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر،

١٩٥٨م)؛ دينيت، دانييل، الجزية والإسلام،

ترجمة: فوزي فهيم جاد الله، (بيروت، دار مكتبة

الحياة، ١٩٦٠م)؛

Von Kremer, A. F. Uber Das Budget Der Ein-

nahmen Unter Der Regierung Des Harun Alrasid:

Nach Einer Neu Aufgefundenen Urkunde. Wien:

[s.n.], 1887; Lokkegaard, Frede. Islamic Taxation

in the Classic Period with Special Reference to





السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان.....

بغداد. ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٥م)، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، ج ١، ص ٤١٠.

(٦٣) ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري الشيباني (٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.)، ج ٤، ص ٩٨.

(٦٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف، د. ت.)، ج ٤، ص ٥٤٣.

(٦٥) هو: قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن الإطنابة الأنصاري الخزرجي. وأمه جندبة بنت ثابت بن سنان. من صحابة رسول الله (ﷺ)، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة الذين وجههم عمر بن الخطاب مع عمار بن ياسر إلى الكوفة من الأنصار، وكان فاضلاً، وفتح الري سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر، وولاه الإمام علي بن أبي طالب الكوفة لما سار إلى الجمل، فلما خرج إلى صفين أخذه معه، وجعل على الكوفة أبا مسعود البدري. وشهد قرظة مع أمير المؤمنين مشاهده، وتوفي في خلافته في حدود الأربعين للهجرة بداره في الكوفة، وصلى عليه الإمام. وهو أول من نبح عليه بالكوفة. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة في

تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ج ٣، ص ٦٨، ص ٨١، ص ٨٨، ص ٩٦؛ ولزيد من التفاصيل، يُنظر: العبود، نافع توفيق، آل المهلب بن أبي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري، (بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٩م)، ص ٨٣ - ١٣٢.

(٥٧) يقصد به سليمان بن عبد الملك بن مروان (٥٤ - ٩٩هـ / ٦٧٤ - ٧١٧م)، الذي ولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ / ٧١٥م. لمزيد من التفاصيل، يُنظر: ابن شاکر الكتبي، محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، د. ت.)، ج ٢، ص ٦٨ - ٧٠؛ الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، الأعلام، ط ١٥، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ج ٣، ص ١٣٠.

(٥٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٩٠ - ٩١.

(٥٩) بوضون، إبراهيم، الإمام علي.. في رؤية النهج ورواية التاريخ، ط ٢، (بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٦٠) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٨٠ - ٨١.

(٦١) المرجع نفسه، ج ٣، ص ٢٣.

(٦٢) الصحيح: بُزْرَجَسَابُور، من طساسيج

- معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣٨٠ - ٣٨١؛ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: مسعد كامل وآخرون، (القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ج ٧، ص ٤٠٤ - ٤٠٥؛ الصفدي، صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ج ٢٤، ص ١٦٩.
- (٦٦) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (توفي بعد ٢٩٢هـ / ٩٠٥م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، ج ٢، ص ١٤١.
- (٦٧) أبو عبيد، القاسم بن سلام البغدادي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٩م)، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ٦٢ - ٦٣.
- (٦٨) ابن آدم، أبو زكريا يحيى بن آدم بن سليمان الأموي (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م)، كتاب الخراج، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٧م)، ص ١١٣.
- (٦٩) الخالدي، طريف، دراسات في تاريخ الفكر الإسلامي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٧م)، ص ٢٥.
- (٧٠) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٠.
- (٧١) عبده، المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٠٠.
- (٧٢) البكَّاء، «المنهج الاقتصادي في نهج البلاغة»، ص ٢٢٠.
- (٧٣) بيضون، الإمام علي، ص ١٧٧.
- (٧٤) الصدر، مُحَمَّد باقر (ت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، اقتصادنا، ط ٢، (بيروت، دار الفكر، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م)، مقدمة الطبعة الثانية للكتاب.
- (٧٥) شابرا، محمد عمر، الإسلام والتحدي الاقتصادي، ترجمة: محمد زهير السمهوري، (عَمَّان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي والمعهد العربي للدراسات المالية والمصرفية، ١٩٩٦م)، ص ٢٥٦.
- (٧٦) العسل، إبراهيم، التنمية في الإسلام: مفاهيم مناهج وتطبيقات، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م)، ص ٦٣.
- (٧٧) عارف، نصر محمد، نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، ط ٤، (عَمَّان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٦م)، ص ٢٥١.
- (٧٨) أحمد، فؤاد عبد المنعم، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، (جدَّة، البنك الإسلامي للتنمية والمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ٢٠٠١م)، ص ٥٦.





- السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان (٧٩) عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، (٢٠١٠م)، ص ٤٧.
- (٨٨) يُنظر: أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٥١ - ٢٥٣.
- (٨٠) الزبيدي، حسن لطيف، «الإسلام والتنمية الاقتصادية: سعة المفهوم وتكامله»، مجلّة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١١م، ع ٢٥، ص ٥٠ - ٥١.
- (٨١) عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة، ص ٢٧٦.
- (٨٢) الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص ١٨٠.
- (٨٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٢، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.
- (٨٤) النجار، عبد الهادي علي، الإسلام والاقتصاد، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٣م)، سلسلة عالم المعرفة، ع ٦٣، ص ٦١.
- (٨٥) قد تتسع قاعدة هذه الخطوات والإجراءات العملية التي تنضوي تحت مظلة السياسة الاقتصادية العامة لأُمير المؤمنين (عليه السلام)، لتشمل: إلغاء التمايز الطبقي بين فئات المجتمع، التوازن الاقتصادي وترشيد الإنفاق العام للفرد، تركيز الإمام في سياساته على قاعدة الإنفاق العام المُقترن بالمصلحة العامة، ترشيد السياسة التجارية الخارجية، اتخاذ التدابير الفاعلة لمعالجة الفساد الإداري، وغيرها.
- (٨٦) المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٦٩.
- (٨٧) الشيخ، حسن، ملامح من الفكر الإداري عند الإمام علي، (دمشق، دار مؤسّسة رسلان، ١٩٩٢م)، ص ٨٢.
- (٩٢) المرجع نفسه، ص ٨٢.
- (٩٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٨٦.
- (٩٤) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الشأن: «إنَّ يدي ويد عليّ بن أبي طالب في العدل سواء».
- (٩٥) حول هذه الفكرة لدى بعض الفلاسفة القدامى، يُنظر: أفلاطون، ارستوكليس بن ارستون (ت ٣٤٧ ق. م)، الجمهورية، ترجمة: فؤاد زكريا، (الإسكندرية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ٢٠٠٤م)، ص ٢١٣ - ٢٤٥؛ أرسطو طاليس (ت ٣٢٢ ق. م)، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، (القاهرة، من الشرق والغرب، د. ت.)، ص ٢٧٤ - ٢٨٠.
- (٩٦) المطهري، مرتضى (ت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، في رحاب نهج البلاغة، (بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٢م)، ص ٨٢.

- يُنظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)، تاريخ مدينة السلام. وأخبار مُحدثيها وذكر قُطَّانها العُلَماء من غير أهلها وواردتها، تحقيق: بشَّار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ج ٦، ص ١٨٠ - ١٨١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٣٦٨ - ٣٦٩؛ ابن الدمشقي، أبو البركات شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الشافعي (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٦م)، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٥هـ)، ج ١، ص ٦١.
- (٩٥) الشيخ المفيد، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)، الإختصاص، (بيروت، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ص ١٥٣.
- (٩٦) الوَرُسُ: نبتٌ أصفر يكون باليمن، يُتخذ منه العُمرةٌ للوجه. وهو من النوادر. الجوهري، معجم الصَّحاح، ص ١١٣٣.
- (٩٧) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن مُحَمَّد عباس، (مكَّة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص ٥٤٧، حديث رقم (٩٢٠).
- (٩٨) المصدر نفسه، ص ٥٤٥، حديث رقم (٩١٣).
- (٩٩) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٣١.
- (١٠٠) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المروزي الكاتب (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)، بلاغات النساء، (القاهرة، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)، ص ٧٦.
- (١٠١) يُنظر ما ورد بهذا الشأن لدى: ابن قتيبة الدينوري، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء)، تحقيق: علي شيري، (بيروت، دار الأضواء، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ج ١، ص ١٤٣ - ١٤٤.
- (١٠٢) البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكَّار ورياض زركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ج ٢، ص ٣٨١.
- (١٠٣) ابن هلال الثقفي، كتاب الغارات، ص ٢٩.
- (١٠٤) الريشهري، محمد محمدي، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، ترجمة: عبد الهادي مسعودي، (قم، دار الحديث، ١٤٢٨هـ)، ج ٤، ص ١٢٦.
- (١٠٥) عِمارة، محمد، الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب، (القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٧م)، ص ٧ - ٨.
- (١٠٦) جرداق، جورج (١٤٣٤هـ / ٢٠١٤م)، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية. علي وحقوق الإنسان، ط ٢، (قم، دار ذوي القربى، ١٤٢٤هـ)، ج ١، ص ٣٦٧.
- (١٠٧) شريعتي، علي (ت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)،

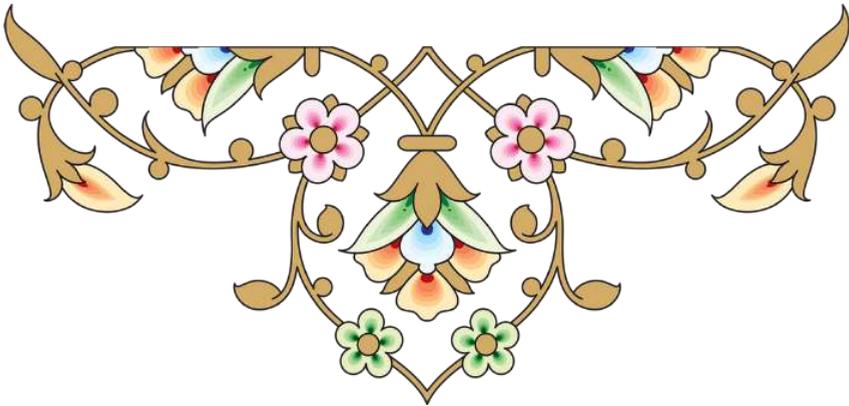




- السياسة الاقتصادية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودورها في بناء الإنسان
 الإمام علي (عليه السلام)، ترجمة: علي الحسيني، (طهران، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٠م)، ص ١٦٢ - ١٦٣.
 (١٠٨) الصدر، اقتصادنا، ص ٦١٦ - ٦١٩.
 (١٠٩) في حديثٍ رواه أبو سعيد الخدري ومعاذ بن جبل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه قال لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام): «وقد ضرب بين كنتفيه: «يا علي، لك سبع خصال لا يُحاجك فيهنَّ أحدٌ يوم القيامة؛ أنت أول المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهدِ الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعية، وأقسّمهم بالسوية، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزيةً يوم القيامة». يُنظر: أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ج ١، ص ٦٦؛ الطبري، أبو العباس مُحب الدين أحمد بن عبد الله بن مُحمّد المكيّ (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق: أكرم البوشي، (القاهرة، مطبعة القدسي، ١٩٩٣م)، ص ١٥١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٢، ص ٢٣.
 (١١٠) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٠ - ١٠٢.
 (١١١) شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، ط ٣، (بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٧٧م)، ص ١٣ - ١٤.
 (١١٢) الفضلي، عبد الهادي، مشكلة الفقر، ط ٣، (بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص ١٣ - ١٤.
 (١١٣) يُنظر تخريج الأحاديث، في: الألباني، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٩ - ٢٩.
 (١١٤) القرشي، باقر شريف، النظام السياسي في الإسلام، ط ٤، (بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٢١٧.
 (١١٥) المرجع نفسه.
 (١١٦) البيهقي، تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ١٤٦.
 (١١٧) شمس الدين، محمد مهدي، عهد الأشر، ط ٢، (بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ١٥٣.
 (١١٨) الحر العاملي، مُحمّد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: عبد الرحيم رباني، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج ١١، ص ٥٢٣.
 (١١٩) القرشي، النظام السياسي في الإسلام، ص ٢٢٨.
 (١٢٠) لمزيدٍ من التفاصيل حول موضوع الزكاة وتشريعاتها، يُنظر: القرضاوي، يوسف،

د. حيدر قاسم مَطَر التميمي / بلال كاظم حيدر الجَوَادِي

- فقه الزكاة. دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها (هـ)، ج ٢، ص ١٣٦ - ٢٠٥.
- في ضوء القرآن والسنة، (بيروت، دار الإرشاد، ١٩٦٩ م).
- (١٢١) الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص ٥٠.
- (١٢٢) كقوله (عز): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لَّهِ حُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾، (سورة الأنفال، آية: ٤١). لمزيد من التفاصيل، يُنظر: العسكري، مرتضى (ت ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م)، معالم المدرستين، ط ٢، (طهران، المجمع العالمي لأهل البيت، ١٤٢٦ هـ).
- (١٢٤) يُنظر: السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). رؤية علمية، ط ٢، (بغداد، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م)، ص ٤٧١ - ٤٧٥. وهو من المراجع الرئيسة التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه، مع تصرف.





ومن خطبة لامير المؤمنين علي (عليه السلام) منها:
[في عظة الناس] وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمْلَهُ، إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ
لَا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ
الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصْرٌ
لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأَذْنِ الصَّمَاءِ، وَرِي
لِلظُّمَانِ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ. كِتَابُ
اللَّهِ تَبْصُرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ
بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ
عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يُخَالِفُ
بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.

التوظيف الدلالي لغير العاقل
(الحيوان) في نهج البلاغة

**The semantic employment for animal in
Nahj-Albalaga-ghah.**

م. حوراء كاظم جواد الخزاعي
جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية

**Asst Howrah Kazem Jawad Al- Khuzai
University of Karbala
College of Islamic Sciences**

ملخص البحث

درس هذا البحث الدلالة في نهج البلاغة؛ لما في هذا الكتاب من خصائص وصفات في توليد الدلالة بتماثل حي واعي، وقد شكل هذا التماثل بعداً جمالياً؛ لكونه يحول المعنى إلى نسقٍ يستند إلى التأثير الذي تمثله الدلالة. وقد اعتمد هذا البحث في تحقيق مبتغاة على مبحثين: الأول، تمّ فيه النظر إلى الأساليب الدلالية بتقسيمها على قسمين:

الأول، الأساليب البرهانية، وهي التي لا تعالج القضايا الطبيعية للحالات الممكنة البسيطة والمرنة؛ بل تخصص في المجالات المعقدة من حيث بنية أنظمتها المعتمدة على الاستدلال البرهاني.

والثاني، الأساليب الاستدلالية الطبيعية، وهي التي تمتلك فعالية تداولية قائمة على الاقناع لأثبات دعوى أو ابطالها.

وأما المبحث الثاني، فقد اختصّ بدلالة الحيوان في نهج البلاغة؛ ذلك أنّ الاستشهاد بالحيوان له دلالة تعبيرية قريبة من فهم المتلقي العام بما يتناسب واختلاف البنى الفكرية من أجل خلق تأثير متواصل يؤهله للمعنى المثالي. وقد خُتم البحث بجملة من النتائج التي توصل إليها البحث ثمّ بقائمة ضمّت المصادر والمراجع.



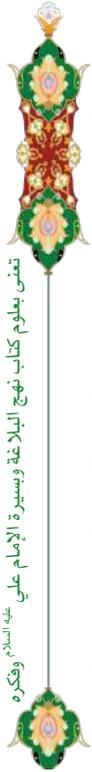
Abstract

The introduction of the concept of connotation at first as a logical model that exist in the Greeks thought in the first break through then it generated interest after the contemporary linguistic developments depending on concept and technique.

So the symbolism witnessed the reasoning model introducing is decided on issues in order to get results.

The research dealt with (in the first part) connotative styles division into two parts: firstly demonstrative styles that don't address natural issues to flexible, simple and possible cases rather, there are complex areas through it's cognitive components that depending on exclusive demonstrative. Secondly the natural evidentiary styles which had effective deliberative and it's intellectual natural is multifaceted for convincing based on achieving conclusions. The results are not merely a declaration or disclosure. The evidentiary self have a role in the speech to prove or avoid an action. While the second part dealt with the significance of animal in Nahj-al-Balaghah.

So using animal in cite has expressive significance would be understandable to the recipient in proportion to the difference of intellectual constructs to create a continuing impact qualifies it as meaning to stay.



المقدمة

والتفسير والفقهِ والأصول، لقد كرم الله الإنسان وخصه بخصائص تفرد بها عن سائر الكائنات ومنها خاصية اللغة التي تشكل وسيلة من وسائل التفاعل بين بني البشر، فهي أساس الحضارة الإنسانية ولولاها لما استطاع الإنسان الحفاظ على الحضارة والتراث وتمازج الثقافات المتنوعة، فهي التي تحفظ للأجيال القادمة عصائر الأفكار وحضارات الأمم، وقد شغلت اللغة تفكير العلماء وحظيت باهتمامهم فدرسوها ووضعوا لها أصولاً وقواعد مقننة شأنها شأن الدراسات الإنسانية والاجتماعية الأخرى، فأصبحت تدرس من جوانب متعددة دلالية وأسلوبية ونحوية وصرفية وصوتية^(٢)؛ ولذا فإن القرآن على درجة عالية من البلاغة؛ لأنه يخاطب أذهاناً تسمع وعقولاً تعقل وهذا ما جاء في قوله تعالى ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما أهدم، والثناء على ما قدّم، فعلم الإنسان ما لم يعلم، وميّزه على سائر خلقه، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث أفضل من تأخر برسالته ومعجزته القرآن الكريم الذي ضم أروع الأساليب البيانية وأجلّ الخصائص البلاغية التي سيطرت على الملكات الأدبية واجتذبتها حتى ورد في قوله تعالى ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

فقد أثر هذا الكتاب المقدس في اللغة العربية وترقيتها ونشرها في بقاع مختلفة من الأرض وحافظ على ديمومتها، فبفضل القرآن الكريم توصل الإنسان إلى علوم شتى في اللغة كالنحو والصرف

وقد ارتأيت دراسة دلالة الحيوان في نهج البلاغة؛ ذلك أن الحيوان شغل حيزاً كبيراً من هذا الكتاب فأذهلني وصفه لدقائقه واتخاذهِ (عليه السلام) منه مثلاً يُضرب في أكثر من موضع تعزيزاً لحجته على العباد أما الجانب الدلالي لما له من علاقة كبيرة بمجال تخصصي في اللغة العربية.

وقسمتُ بحثي هذا على مبحثين يسبقهما التمهيد الذي تحدثتُ فيه قليلاً عن نشأة الدلالة وأبرز من كتب فيها، وجاء المبحث الأول عن علاقة أمير المؤمنين بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) «يا علي... ولا عرفك إلا الله وأنا».

أما المبحث الثاني فكان الأساليب البلاغية ودلالاتها الحيوانية وأخيراً الخلاصة والخاتمة.

التمهيد

يزخرُ الموروث الديني بكنوز نفيسة لا بد من استلهاها وتسليط

أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٣﴾ وفي آياته تحدُّ للإنس والجن في أكثر من موضع بالإتيان بمثله ولو اجتمعوا، فهنا وقفة قد لا تطول بأن عظمة هذا الكتاب متجلية أولاً وآخرًا بما يحمله من بلاغة وفصاحة وقوة حجة ونحن بصدد دراستنا لكتاب نهج البلاغة هذا العنوان المرهف نجد أن ما يحمله من إعجاز بلاغي جعله الكتاب الثاني بعد القرآن الكريم إذ يقول (عليه السلام) فِيهِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ»^(٤) والذكر هو القرآن الكريم كما ورد في قوله من سورة إبراهيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥) والإمام علي (عليه السلام) إنما جعل الحمد مفتاحاً للذكر لأن أول كتاب الله سبحانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).



فمفهوم الدلالة بدايةً كنموذج منطقي وجد في التفكير اليوناني الذي يمثل انطلاقة الأولى، إذ أثار الاهتمام بعد التطورات الألسنية المعاصرة معتمداً على المفاهيمية والتقنية، ثم شهدت المدارس الرمزية اقتحام نموذج الاستدلال الذي به يتم البت في القضايا بغية الوصول إلى النتائج المستخلصة.

ومصطلح الاستدلال عند أهل اللغة هو واحد من التصورات الإجرائية للمنطق، وهو لا يعني الاستنباط بطبيعة الحال وإنما هو «نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلاً متكلماً يوجد في سياق ما من اقتراح بمثيلاته لمستمع ما بواسطة الخطاب»^(٨).

إن هذا العلم حسب ظن أغلب الباحثين لم يكن للعرب معرفة به فقد نمت أصوله وترعرعت في ضل الدراسات اللسانية الحديثة،

الضوء عليها فهي تمثل انعكاساً ورؤية تفصيلية لجوانب الحياة في مختلف العصور؛ لاستخلاص ما يمكن أن يخدم قضايا الأدب والنقد، فهي تلزم الإنسان الرسالي في ترتيب حياته الفردية، والاجتماعية، والأخلاقية والتاريخية، فكتاب نهج البلاغة يمثل كلام أفصح الخلق بعد الرسول محمد (ﷺ) لأنه أحتوى على حقائق البلاغة ودقائق الفصاحة ما لا يبلغ قعره الفكر، وهذا الشيخ محمد عبده المتوفى ١٣٢٣هـ يقول: «تأملتُ جملاً من عباراته من مواضع مختلفة ومواضيع متفرقات فكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبت وغارات شنت وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة، وأنا أجد في جملة ما اختاره الشريف الرضي من كلام مولانا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) السمو بالدلالة في اختيار المعنى اللائق»^(٧).



فقد يكون لهذا العلم اليد الطولى في الكشف عن أسسه وأصوله حتى غداً علماً قائماً بذاته بعد أن كان يسيراً تحت ظل الدراسات اللغوية الأخرى.

وبما أن معرفة المعنى كان المهم الأكبر الذي شغل الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية والدلالية واتخاذ الاستقراء والاستنباط قاعدة يسير عليها؛ فقد اكتسب هذا العلم الإجلال والاهتمام من قبل الدارسين حتى وصل المطاف بالعلماء القول: «إنَّ كل ما يصلح به المعنى

فهو جيد وكل ما فسد به المعنى فمردود»^(٩) فعلم الدلالة هو قديمٌ وحديث في آنٍ واحد، فقديم؛ لأن معنى الألفاظ والتراكيب قد شغل أسلافنا من ناحية الوضوح والغموض والصحة وعدم الاحتمال والفساد^(١٠) أما كونه مستحدثاً فالفضل يرجع إلى علم اللسانيات،

الذي وضع نظرياته وطور أصوله وأوضح معالمه، فغداً علماً قائماً بذاته بعد أن كان ضمن علوم الفلسفة والمنطق وعلم النفس، فالكلمة حسب رأي المحدثين لها دلالة لا يتضح معناها حتى توضع في تركيب، فتركيب الجمل أهم وحدة من وحدات تركيب المعنى؛ لأنها تخفي بعض معاني الألفاظ ولا تكون ظاهرة، أضف أن فهم المعنى مرتبط باستعماله من قبل المتلقي؛ ذلك أن المعنى المعجمي ليس أساس كل شيء في إدراك معنى الكلام.

المبحث الأول

علاقة الإمام علي (عليه السلام) بشخص النبي

(عليه السلام)

«يا علي وما عرفك إلا الله وأنا»

ونحن بصدد دراستنا لهذا النتاج الضخم ليس بحجمه وإنما بمعناه كان لزاماً علينا كباحثين من طرح فكرة العلاقة التي تربط شخصية



كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرِ أُمَّهِ» (١٣)

فهذا عليّ (عليه السلام) مع الرسول (صلى الله عليه وآله) في معاركه ضد الكفر والطاغوت في بدرٍ وأحد والخندق وخيبر وحُنين وتبوك، فهو صاحب راية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) إذ بقيت مرفرفة رغم ما واجهوه من تحاذل البعض وفرارهم، إلا أنَّ عليًّا هو الدرع الواقي لرسول الله وللمسلمين، فحمل الوسام الأكبر من قبل الرسول إذ برز الإسلام كله إلى الشرك كله.

ولم يحصر الإمام علي (عليه السلام) نفسه بالدعوة فقال (عليه السلام): «دعاني رسول الله فقال: يا علي إنَّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقتُ ذرعًا وعلمتُ أني متى أبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره».

فدعاهم إلى طعامٍ فاستجابوا له ثم عرض عليهم هذا الدين فاستجاب بعضهم؛ ذلك أنه هاشمي الأصل ومن ولد هاشميين، فهذا التكوين

الإمام علي (عليه السلام) الفذة بشخص النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله)، وهي علاقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وأفضل شاهد على هذه العلاقة هو دستور الأرض القرآن الكريم في آية المباهلة حيث جاء في قوله تعالى ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (١١) فالنفس واحدة، والكيان واحد، ومن ثم الأخلاق واحدة، والأهداف واحدة أيضًا، ولا غرابة في ذلك؛ لأنه نشأ في حجر رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) منذ نعومة أظفاره وتغذى من علمه وعمله.

ولم يزل علي (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بعث الله محمدًا (صلى الله عليه وآله) نبيًا فاتبعه علي (عليه السلام) وآمن به وصدَّقَهُ وكان في السنة الثالثة عشر من عمره ولم يبلغ الحلم بعد، فهو أول مَنْ آمن وأسلم برسول الله (صلى الله عليه وآله) من الذكور (١٢) ولازم (عليه السلام) رسول الله حتى الممات، حتى قال يومًا: «ولقد



الخالقي والخالقي يجعل منه شخصاً مرغوباً وله تأثيرٌ في النفوس.

وهناك صفاتٌ كثيرة تحلى بها أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ لأنه مرتبط بالفيض الإلهي وهي جنة لا يعلمها إلا الله وقد نقف عاجزين عن الوصول إلى كنه أسرارها ولنا أن نذكر ما جال منها:

١. العلم: ليس هناك توقف في ينبوع، فتحار العقول في التفتيش، إلا أنها تخضع صاغرة أمامه. إذ تبين لا بد للرسول (صلى الله عليه وآله) من خليفة يجمع شمل الأمة ويرعاها، ويحفظ للدين امتداده، ولا يمكن أن يقوم إنسان مقام الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا إذا كان يتحلى بصفات خارقة تؤهله لهذا المنصب الخطير، ولا بد أن يكون علمه شمولياً للمعارف والأحكام والأديان - علماً حضورياً - ولا غرابة أن يكون علي (عليه السلام) هو ذلك الشخص، فأصف بن برخيا كان عنده حرفٌ واحد وقد

أحضر به عرش بلقيس بأسرع من طرفة عين فكيف بعلي (عليه السلام)؟ الذي قال: «سألوني قبل أن تفقدوني» فعلم علي كعلم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) أي بوساطته وعلم الرسول من وحي الله جبرائيل (عليه السلام) إذ روى الترمذي في صحيحه أن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) قال: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بأبها»

فكان الصحابة إذا استشكل عليهم أمرٌ يستشيروه كما ورد في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٤).

٢. الشجاعة: أما شجاعته فهي أوسع من أن يُعبر عنها بألفاظ، ويكفي لنا ذكرُ حادثة ميته في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) عندما أدرك بسعة الخطر المحيط به، إذ جمع من كل قبيلة رجلاً في خطة لقتله ولكن العناية الإلهية كانت محيطة بشخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) فهبط جبرائيل وأخبره





التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة



أن لا يبيت في فراشه وأذن له بالهجرة، وعندما جاء الليل أتشح عليّ (عليه السلام) ببردة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونفسه مطمئنة بالإيمان وعندما هجموا على منزل النبي الأكرم سلّ سيفه فكان يمثل الأيمان كله ومقابله الكفر كله، فمنذ ذلك الوقت تجلت أسمى صور التضحية والشجاعة التي باهى الله بها ملائكته فنزلت الآية الكريمة بحقه في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١٥).

٤. المحافظة على الشريعة الإسلامية: ففي كل الأحداث من أول الدعوة وبزوغ نور الإسلام إلى ما بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والظروف التي شهدتها حكومته كان (عليه السلام) ناصحاً وموجهاً ومحافظةً ومشاركاً هموم أمته، حتى أنه عندما جاءت الخلافة بعد مقتل عثمان كان يقول: «وَاللَّهِ مَا تَقَدَّمْتُ عَلَيْهَا [الْخِلَافَةَ] إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْزُوَ عَلَيَّ الْأَمْرُ تَيْسًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَيَلْعَبَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١٧).

المبحث الثاني

دلالة الحيوان في الأساليب البلاغية

وتختلف دلالة الحيوان في كتاب نهج البلاغة حسب الأساليب البلاغية وأولى هذه الأساليب التي

٣. الأدب: حدث ولا حرج، فهذا النهج الخالد إنما خُلد لأنه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذه الكثرة في الشروح لم تأت عليه إلا لأنه إمام المتكلمين، يقول عنه ابن أبي الحديد: «وأما الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة

سندكرها:

(نهج البلاغة) قوله (عليه السلام): «لَتَعَطِفَنَّ

الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ

الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا»^(٢١) فالشَّهَاس:

امتناعها، والضَّرُوس: الناقة السيئة

الخُلُق تعضض حالها^(٢٢) فجعل

(عليه السلام) من الدنيا كائنٌ حي له

إحساس وشعور وهي صورة

تجسيدية كما هي الفرس. أما دلالة

تشبيه الدنيا بالضَّرُوس؛ ذلك أن

الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين

كما تعطف الناقة على وليدها وإن

أبت على الحالب، وخصت الناقة

من بين الحيوانات؛ لأنها عُرِفَتْ

بحنينها.

ومن كلماته (عليه السلام) الرائعات التي

بِتَّ فيها المحسوسات في المجردات،

قوله وهو يصف الإسلام «رَفِيعُ

الغَايَةِ، جَامِعُ الحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ

السُّبْقَةِ»^(٢٣) فجَسَّدَ الإسلام وهو

المعنوي المجرد، بأنه جامع الحَلْبَةِ

(وهي الخيل التي تُجَمَّع من كل

١. أسلوب التجسيد: هو حركة

إحياء للمواد الحسية الجامدة،

وإكسابها صفة إنسانية الإنسان

وأفعاله^(١٨)، وهو خلع صفات

محسوسة على المعنويات.

وقد ورد هذا الأسلوب كثيرًا

في أقوال الإمام علي (عليه السلام) ومنها

قوله: «لَبَسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ

العُنْكَبُوتِ»^(١٩) فقد استعار لفظة

(اللَّبَس) وهي للهادي المحسوس

ووظفها في صورة (الشبهات) وهي

المعنوي، وجسدها للسامع في صورة

تشبيهه تدل على الضعف والوهن

وهو (بيت العنكبوت) فالصورة

دلالة واقعية تصور المتصدي للحكم

وليس لديه أهلية كما ورد في قوله

تعالى من ضعف نسج العنكبوت

﴿إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعُنْكَبُوتِ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢٠) وأيضًا من

الصور المجسدة التي أزدان بها كتاب



فحولته وسكونه وإمساكه فقد هُزِمَ أمام قوة الإيمان.

ومن كلامه (عليه السلام) عن مرض الفتنة: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي، بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهَا

وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا»^(٢٥) فجعل المعنويات في هيئة المحسوسات، عندما جسَّد الفتنة وجعل لها عيناً، أما دلالة هذا التجسيد وربطه بالكلب هو أنه بعد انقضاء معركة النهروان وتغلبه (عليه السلام) على الخوارج فهو يصف اشتداد الأمر (بداء الكلب) الذي يصيب الكلاب وكل من عضته ينتقل إليه فيموت. فهذه دلالة اشتداد الفتنة فما أصابت قومًا إلا أهلكتهم كداء الكلاب.

فأسلوب التجسيد الذي وفرته لنا الصور الاستعارية والكنائية والتشبيهية، يُعدُّ من أبرز صور البيان العربي؛ لأنه جمع بين المتخالفين

صوب للنصرة) فجعل للإسلام روحٌ وعزيمة سباقه، فالدلالة التي وضحها (عليه السلام) عن الإسلام هي البصيرة لمن عزم والنجاة لمن صدق، فتوكلت هذه الخيول لنصرته بعد أن زادها ثقةً وبصيرة.

وله في موضع آخر يقول فيه «وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالِ السَّبْعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومِ»^(٢٤) إذ جعل للدهر صولةً وجولة لا تخلو من الإثارة مشبهاً إياه ب(السبع العقور) وقد تبدو هذه اللفظة غريبة بعض الشيء على أسماعنا؛ لأنَّ ما عُرفَ في المثل عن (الكلب العقور) فربما لأنَّ السبع أقوى وأشجع وأكثر جرأة في خطواته، أما في الكفة الأخرى من المقولة فتجسيدٌ جديد يعزز إثارة السامع في قوله (وهدر فنيق الباطل بعد كظوم) إذ جسَّد الباطل وهو المعنوي بالفحل من الإبل وهو المادي المحسوس، فرغم



ووفق بين الأضداد وكشف عن إيحائية جديدة في التعبير.

٢. الازدواج: وهو من أهم عناصر الإيقاع في النص الأدبي، إذ يمثل فقرات نصية متزنة وهو «ينبغي أن تكون الفواصل على زنة واحدة، وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن»^(٢٦).

فكأن الازدواج عنده مرتبط بالسجع أو التوازن بين العبارتين المسجوعتين، وعرفه بن منقذ على أنه «تزاوج بين الكلمات والجمل بكلام عذب، وألفاظ عذبة حلوة»^(٢٧) والازدواج فن ذو قيمة جمالية في النثر العربي، يسعى إليه الكاتب في رسائله ويحتاجه كل خطيب، فهو يجاجج أو يشرح أو يدافع عن فكرة ويوضح معناها، فيقرب البعيد ويكشف الخفي ويقدم الدليل وهذا ما لمسناه في كتاب نهج البلاغة، إذ توشّحت أمثاله به، وازدانت فناً

يَدَّخِرُ نَعْمًا جَمِيلًا وَعَذْبًا، يستهوي النفوس فتأنس به، وتطرب إلى إيقاعاته المتزنة مستدلًا بالحيوان في قوله، واصفًا نفسه الشريفة وموقعه في الأمة، ومصورًا حاله في قوله «يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقِي إِلَيَّ الطَّيْرُ»^(٢٨) فهنا وظف الطير فهناك إيقاعٌ موسيقي بين مقطعي الكلام، إذ يولد تماثلاً في الوزن والمقاطع الصوتية، إلا الاختلاف في الحرف الأخير من الفاصلتين (السيْل - الطير) فهو ينتقل من الأسهل إلى الأصعب أي من اللام إلى الراء مع أن الاثنين من أصوات اللين التي تمتاز بوصفها أكثر وضوحًا في السمع من الأصوات الصحيحة، فطريقة تعبيره هذه تؤكد الإيحائية التي وفرتها صفات الأصوات، لأن (الجانِبِ الصوتي قد يؤثر على المعنى)^(٢٩) وقال (عليه السلام) وقد جاءه نعي مالك الأشتر (رحمته الله): «مَالِكٌ وَمَا مَالِكُ!»



التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة

المقدمة

لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا، لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ»^(٣٠).
مَسَّهَا، وَيَكْثُرُ الْعَثَارُ فِيهَا، وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا»^(٣٣) فالعبارتان الأخيرتان

ومن جديد يأتي الاستدلال بالطير في وصفه لمالك النخعي بكونه (فندًا)، أي الجبل العظيم كناية عن رفعة وامتناع همته كما هو الطائر ومع ذلك لا يرتقي إليه.

وهذا النوع من الإيقاعات المتساوية يكاد يكون واحدًا في الصياغة؛ ليحقق نغمًا موسيقيًا يسترعي انتباه المتلقي.

وفي معرض (دلالة الفتنة) يقول (عليه السلام): «كَانَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ»^(٣١) فالسير

الوجيف: هو ضربٌ من سير الخيل والإبل السريع، أما الحداء:

هو زجر الإبل وسوقها^(٣٢) وله في

وصف الدنيا وما آلت إليه المناصب وطراء، كما في قوله: «فَصَيَّرَهَا فِي حَوْرَةَ حَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمَهَا، وَيَخْشُنُ

موسيقياً يتقصدُه الناظم في شعره

٣. التكرار: والتكرار في التعبير

الأدبي «هو تناوب الألفاظ وإعادتها

في سياق التعبير بحيث يشكل نغمًا

موسيقياً يتقصدُه الناظم في شعره

والناثر في نثره»^(٣٤) وهو أسلوب من أساليب القول عند العرب استعملوه في شعرهم ونثرهم وليس أدل من القرآن على وجوده؛ لأن القرآن نزل بلغتهم وخاطبهم بما يفهمون، فالتكرار يقوي ويزيد من وحدة العمل الفني، فهناك أواصر مشتركة بين القيم الصوتية لجرس الألفاظ والقيم الفكرية والشعورية إذن لا بدّ من الإشارة إلى أنّ التكرار لا يوفر للنص قيمة معنوية فقط، بل يوفر أيضاً قيمة موسيقية يحتاجها منسئ النص لجذب مسامع المتلقي والتأثير فيه؛ «لأنّ تكرار اللفظ يفيد في قرع الأسماع وإثارة الأذهان»^(٣٥) فضلاً عن القيمة الدلالية للمفردة المكررة. وهذا القانون الذي وفّر نغمًا موسيقيًا للنص نجده متحققًا في أمثال نهج البلاغة وخطبها فقد يكون التكرار في حرف كما في قوله (ﷺ): «الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةٌ

الْبَّبَسَةِ»^(٣٦) فتكرار اللام ثلاث مرات في موضع واحد ودون فاصل له دلالة إيقاعية؛ لجذب انتباه المتلقي إلى طول العشرة، مع أن العقرّب لا تحلو لبسته أي (عشرته)، فالحذر لأنّ المرأة في إيذاءها كالعقرّب.

وقد وجدتُ بعد التفتيش في كتاب نهج البلاغة أنّ أغلب التكرار هو في مقاطع الأمثال؛ ليحمل في كل موضع دلالة معينة، كما في قوله (ﷺ): «كَجَوْجُوٍّ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ»^(٣٧) فقد تكرر المقطع (جؤ) مرتين وفي موضع واحد ومن دون فاصل وهو من المقاطع المغلقة، فأعطى للنص صفة مميزة ومتولدة من تكرار هذه الأصوات وبانتظام في وحدة زمنية قصيرة فهي بمثابة (لازمة موسيقية في النص، تترك أثرا نفسياً لدى المتلقي، وتشدُّ سمعه وانتباهه إليها)^(٣٨) وله (ﷺ) مقطعٌ يصف فيه الخائفين المتخاذلين بأنهم



التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة

﴿الإنسان﴾

تغيرت طباعه الإنسانية، ولم يبق له من الإنسانية إلا الشكل فقط «الصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبٌ حَيَوَانٍ»^(٤١) فقد كرر لفظة القلب؛ لدلالة معنوية تؤكد المعنى وتزيده إيضاحاً، إذ أن تكرار الكلمة ومن دون فاصلة: هو طرقٌ على مسمع أثاره هذا الصوت في وحدة زمنية قصيرة، فزاد من تعميق دلالة التجرد الإنساني.

وله (عليه السلام) خطبة في الدعوة إلى نصره الإخوان يقول فيها: «فَجَرَجَرْتُمْ جَرْجَرَ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقَلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ»^(٤٢) فالجرجرة صوت يردده البعير المصاب في حنجرته، أما النضو الأدبر فهو الهزيل من الإبل المجروح، فقد يأتي التكرار والإعادة لإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر^(٤٣).

فهذا التكرار في الألفاظ جاء ليحدث تأثيراً في النفوس ودلالته

ينفرون من الحرب «نُفُورَ الْمِعْرَى مِنْ وَغُوعَةِ الْأَسَدِ»^(٣٩) فلفظة (وعوعة) متكونة من تكرار المقطع الصوتي (وع) الذي يتكون من حرف المد الطويل (الواو)، أما العين فهي من الحروف الصحيحة الصامتة، إذ يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): (فأما العين فبين الرخوة والشديدة)^(٤٠) هي دلالة التذبذب والتأرجح وعدم الثبات في الكلام.

أما تكرار الألفاظ فهو ليس أقل من تكرار المقاطع، فقد كثُر في كتاب نهج البلاغة؛ وذلك لقصدٍ معنوي يقتضيه الموقف كتأكيد للدلالة أو إيضاح لإبهام الذي لا يتم إدراكه إلا عبر التكرار اللفظي، ويُعدُّ هذا التكرار حاجة وضرورة ملحّة للنص؛ لإثارة انتباه المتلقي، وتوفير المتعة لنفسه وهو تكثيف للصوت وتركيزٌ عليه.

كما ورد في قوله (عليه السلام) واصفاً من

هو أن تباطؤ الإنسان في الخير وعدم
اكتراثه بأمر المسلمين يسوقه إلى
جهنم من حيث لا يحتسب.

متضمنًا كلامه (عليه السلام) ثلاث صور
تشبيهية إذ شبه حالهم حينما أستفزه
فتقاعسوا، مستدركين بكلام غامض،
ومعتذرين بأعذار واهية تكشف
عن جنبهم وضعفهم بحال الجمل
المصاب بقرحه في زوره وهو يردد
صوتًا قبيحًا، وبحال البعير المهزول
المعقور، وهو ينهض متثاقلاً، ثم
حال القلة التي خرجت للحرب في
ضعف وثثاقل وتردد بحال جماعة
من الناس يساقون إلى الموت سوقًا،
وهم يرونه أمامهم رؤية العين^(٤٤).

ولابدَّ من الإشارة إلى أن كتاب
نهج البلاغة قد وصف الحيوانات
وصفًا دقيقًا وبأسلوب لم يعرف إلا
في العصر العباسي^(٤٥).

ويصف (عليه السلام) بيعته في قوله

«فدكوا عليَّ تذاك الإبل الهيم

يوم ورودها، قد أرسلها راعيها،
وَحُلِعتْ مِثانيها»^(٤٦) فقد شبه حالهم
وهم يترაკضون متلهفين على بيعته

بحال إبل عطشى مطلقة العنان،
ليس ثمة ما يكدر عليها شربها،
فكأنما لشدة زحامها يدك بعضها
بعضًا، وإنما خُصَّ بالذكر يوم
ورودها؛ لأن الإبل ربما بُعدت عن
الماء فصلصت أحشائها من شدة
الحر، وبمجرد ما شارفت مشاربها
غادر الزحام المكان، وورد هذا
المعنى في القرآن الكريم في قوله
تعالى ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ
* فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾^(٤٧) فدلالة
الإبل عن باقي الحيوانات الأخرى؛

لأنها عُرِفَتْ بحنينها لأوطانها؛ لكثرة
ترحالها وهيامها بورود الماء، فكأنَّ
أكبادها حرى لا تنطفئ وقوله أيضًا
«إِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ
لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ
لِلذُّبِ»^(٤٨).



وهذه المقولة في حقيقة أمرها وعظٌّ وإرشاد ومما عزز دلالتها أسلوب التكرار اللفظي تشجيعاً للوحدة، ونبذ الفرقة.

والغاية المنشودة من هذه الاستدلالات هي قيمة المعالجة والقصد المؤثر؛ لذا نلحظ الأفكار الناضجة جلية التي استقاها المبدع من عموميات الحياة المعاشة.

الخاتمة

أما أهم ما استنتجته هو استعماله لبعض الألفاظ والأدوات التي يكون لها أكثر من معنى؛ لتماشى مع تغير المجتمعات على مر العصور، وبصدد دراستنا لدلالة الحيوان وجدت كثرة الشواهد التي ذكرت مختلف الحيوانات والطيور؛ لإيجاد موازنة بين المخلوقات التي تفتقر إلى الكمال العقلي ومخلوقات فضلها الله على سائر الخلق من باب العبرة والوعظ والإرشاد.

فله الحمدُ على حسن توفيقه وإتمامه، وبركة عونه وإحسانه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد (ﷺ) لا شك أن الخطاب يتشكل من الأرضية الثقافية لقائله ومقدار ما يمتلكه من معارف وفنون وآداب، إذا أسلمنا أن اللغة مكتسب اجتماعي يلتقطه الفرد من العالم المحيط به وهذا ما جسده كتاب نهج البلاغة الذي مثل شخصية قائله، الذي يشير إلى حضور معانٍ

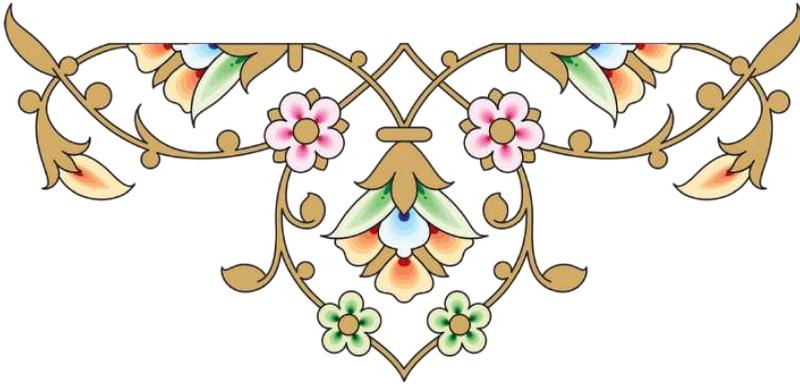


الهوامش

- ص ٥١.
٢٠. سورة العنكبوت، آية: ٤١.
٢١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٤، ص ٧٠٨.
٢٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج ١، ص ٥٣٨.
٢٣. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ٢٥٧.
٢٤. المصدر نفسه، ص ٢٦٣.
٢٥. المصدر نفسه، ص ٢٣٦.
٢٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، ج ١، ص ٩٨.
٢٧. المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٩.
٢٨. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ١٧١.
٢٩. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص ١٣.
٣٠. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ٧٦٣.
٣١. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢٢.
٣٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج ١، ص ١٢٩.
٣٣. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١، ص ٨٨.
٣٤. جرس الألفاظ ودلالته في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٣٩.
٣٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، ج ٣، ص ١٥.
١. سورة الإسراء: آية ٨٨.
٢. ينظر دلالة الجملة الإسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص ١٩.
٣. سورة الجن: آية ٧٣.
٤. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١، ص ٣٦٦.
٥. سورة إبراهيم: آية ٧.
٦. سورة الفاتحة: آية ١.
٧. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج ٢، ص ١٣٠.
٨. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص ١٣-١٤.
٩. المقتضب، للمبرد، ج ٤، ص ٣١١.
١٠. الكتاب، لسيبويه، ج ١، ص ٥.
١١. سورة آل عمران، آية: ٦١.
١٢. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي ت ١٠٧٠هـ، تحقيق السيد حسين الموسوي وآخرون، ج ٥، ص ٤٩.
١٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن العاملي، ج ١٦، ص ١٧١.
١٤. سورة آل عمران، آية ٣١.
١٥. سورة الشورى، آية: ٢٣.
١٦. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن العاملي، ج ١٥، ص ٣٠٨.
١٧. المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١٧٠.
١٨. الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الربيعي، ص ١٦٩.
١٩. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١،



- التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة ٣٦. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٤، ص ٦٧٥.
٤٣. بلاغة التكرار تشرق في القرآن الكريم، عبود جودي الحلي، مجلة الحفيظ الله، العدد ١، ص ٥.
٣٧. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠١.
٤٤. الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، عباس علي حسين الفحام، ص ١٦٥.
٣٨. المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية، عبد الهادي عبد الرحمن، ص ٢٢٩.
٤٥. على عتبات الأمير، للشيخ العلامة نزار آل إسماعيل، مجلة رسالة القلم، ط ٢، ص ٢٢.
٣٩. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ٢٣٣.
٤٦. شرح نهج البلاغة، عز الدين ابن أبي حديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، مجلد ٧، ص ٥.
٤٠. الكتاب، سيبويه، ص ٢١٩.
٤٧. سورة الواقعة، الآيات: ٥٤ - ٥٥.
٤١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ٢٢٦.
٤٨. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ٢٩٩.
٤٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٤.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون)، عباس علي حسين الفحام، دار مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠١٢ م.

٢. جرس الألفاظ، ودلالته في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، مطبعة الحرية- بغداد، ١٩٨٠ م.

٣. دلالة الجملة الإسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ط١، دار دجلة، ٢٠٠٩ م.

٤. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقى المجلسي (ت ١٠٧٠ هـ)، تحقيق السيد حسين الموسوي، الناشر بنياد فرهنك، مطبعة مهر قم، د. ت.

٥. شرح نهج البلاغة، عز الدين ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، د. ت.

٦. الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الربيعي، ط١، جامعة اليرموك الأردن، ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠ م.

٧. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م.

٨. الكتاب، سيبويه، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣١٦ هـ.

٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد

الحמיד، القاهرة، ١٣٥٨ هـ- ١٩٣٩ م.

١٠. المثل في نهج البلاغة (دراسة تحليلية فنية)، عبد الهادي عبد الرحمن، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠١٣.

١١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣ هـ.

١٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.

١٣. المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق للمبرد، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٨٦- ١٣٨٨ هـ.

١٤. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة بيروت، ١٩٩٨ م.

١٥. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ط٢، مطبعة مهر، قم، ١٤١٤ هـ.

الصحف والمجلات

١. بلاغة التكرار تشرق في القرآن الكريم، عبود جودي الحلي، مجلة الحفيظ الله، عدد١، دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية، ١٤٣٣ هـ.

٢. على عتبات الأمير، للشيخ العلامة نزار آل إسمايل، مجلة رسالة القلم، ط١، دار إصدارات، قم المقدسة، ١٤٣٢ هـ.





دَوْلَةُ الْبَنَاتِ السَّلَامَةِ

دَوْلَةُ الْعَدْلِ حَتَّى قَيْلِ الْبَنَاتِ

الإمام علي (عليه السلام)
والعدالة الاقتصادية

Imam Ali (pbuh) and Economic Justice

إيثار نصير دواره العباس
جامعة المصطفى العالمية / إيران

Ethar Naseer Al Abbas
Al- Mustafa International University
Iran

ملخص البحث

يدرس هذا البحث عدالة الإمام علي (عليه السلام) الاقتصادية التي تركز على المجالات الآتية: المحور الأول وهو معنى العدالة والمحور الثاني خصصناه لمعنى العدالة الاقتصادية يليه المحور الثالث ودرسنا فيه أهمية العدالة. وأمّا المحور الرابع فدرسنا فيه الوضع الاقتصادي الذي سبق دولة الإمام علي (عليه السلام)، وختامًا جاء المحور الخامس الذي نظرنا فيه إلى العدالة الاقتصادية للإمام علي (عليه السلام) وفي كلّ ذلك انتهجنا طريق الإيجاز إذ لا يمكن أن نستوفي الحديث عن حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) وانجازاته الفكرية، وكيف لنا أن نحصي الرمل أو النجوم أو قطرات المطر. وقد انتهى البحث بقائمة ضمّت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ثمّ المصادر والمراجع.



Abstract

This research deal with Imam Ali's(pbuh) economic justice focusing on the following areas: the first axis is the meaning of justice and we will devote the second axis to the meaning of economic justice followed by the third axis in the importance of justice. And we will talk in the fourth axis about the economic situation that preceded Imam Ali state (pbuh) and the fifth axis (the last one) in Imam Ali's (pbuh) economic justice and it's price taking into consideration brevity because speaking about a part of Imam Ali's (pbuh) life which cannot be captured.

The research is concluded with results and recommendation and then we wrote the most important sources and references.



توطئة

مع الاقتصاد بهذا المنطق النفعي، فالإسلام منهج حياة متكامل يحمل توجيهات اقتصادية وسياسية واجتماعية إلى جانب العقيدة والعبادة والأخلاق، وكل من تعرف على منهج الاقتصاد الإسلامي يدرك أن توجيهات الإسلام الاقتصادية منارات هادية للمسلمين في ظلام الأنظمة الاقتصادية التي تقدم للمسلمين قيماً متغيرة، إن أمتنا الإسلامية لديها من المناهج الاقتصادية أقومها ومن النظم المالية أسلمها.

فقد نجد معنى من معاني تلك العدالة الاقتصادية في بعض الدول التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، فلا يعني ذلك أنهم أفضل من المسلمين، بل هو جانب إنساني يضع الحاكم أمام محكوميه، بأن يكون ملزماً بتوفير العدل الاقتصادي، فكيف لو كان حاكماً مسلماً، يدين بالشرعية

تعد العدالة أبرز سمه تلحظها الرعية في من يدير شؤونها، ومن صورها عدالته الاقتصادية، إذ من خلالها يكون الحاكم مصداقاً للعدل في رعيته، وهي دليل قطعي على سعة أفق الحاكم، وشعوره بمسؤوليته تجاه عيال الله في أرضه، فمتى ما عد الحاكم نفسه إنه خليفة الله في أرضه، يكون ملزماً بتحقيق هذا الجانب في حكومته، فضلاً عن كونها من الأمور الفطرية التي أودعها الله تبارك وتعالى في خلقه.

يرى بعضهم أن إقحام الإسلام في النشاط الاقتصادي هو شكل من أشكال التطرف أو الافتعال، فالإسلام كما يقولون عقيدة وشرعية تتميز بالثبات، وعالم الاقتصاد تحكمه حركة السوق والمتغيرات الاقتصادية.

والحقيقة أنه لا يمكن التعامل



المحمدية، وخليفة لله في أرضه، فماذا محاور.

المحور الأول: معنى العدالة:

جاء في الصحاح للجوهري: العدل: «خلاف الجور. يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل. وبسط الوالي عدله... وفلان من أهل المعدلة، أي من أهل العدل. ورجل عدل، أي رضا ومقنع في الشهادة. وهو في الأصل مصدر. وقوم عدل وعدول أيضا، وهو جمع عدل. وقد عدل الرجل بالضم عدالة»^(٢).

وقالوا القصد في الأمور، وهو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، والعدل بين الناس: هو المرضى قوله وحكمه، ورجل عدل: بين العدل، والعدالة: وصف بالمصدر، معناه: ذو عدل، والعدل يطلق على الواحد والاثنين والجمع، ويجوز أن يطابق في الثنية والجمع، فيقال: - عدلان وعدول-، وفي المؤنثة: عدلة، والعدالة: صفة

ستكون صورة العدل الاقتصادي، ربما ينخدع البعض بالشعارات وما ينقله الإعلام عن العدالة الاقتصادية في بعض الدول، ولكن هل هي عدالة اقتصادية عامة لجميع المحكومين؟، لا يمكن أن يتصور العقل ذلك المعنى، ولكن في دولة يحكمها علي (عليه السلام)، الذي يخاطب الدنيا يا حمراء يا صفراء غري غيري، فلا يحيص عن هذا المعنى. «فإنّ العدالة الاقتصادية في ظلال حكم عليّ (عليه السلام) ليست شعارًا وحسب، بل هي نهج جاد لا محيد عنه»^(١) فكيف يا ترى يكون العدل الاقتصادي فيها؟.

وما أحوجنا اليوم كمسلمين، بل ما أحوج العالم إلى العدل الاقتصادي وأن ينهل من عظماء الدهر، كعلي (عليه السلام)، لذلك جاءت فكرة هذا البحث الذي سيكون على شكل



والاستقامة كما يقال - هذا عدل هذا - أي مساو له، واعتدل الشيطان أي تساوى، وفي اصطلاح أرباب الحكمة وأهل العرفان، عبارة عن تعديل قوى النفس وتقويم أفعالها بحيث لا يغلب بعض على بعض^(٦).
فالقوة العاقلة تحصل من تعديلها فضيلة العلم والحكمة، والغضبية تحصل من تعديلها فضيلة الشجاعة، والقوة الشهوية تحصل من تعديلها فضيلة العفة، وإذا حصلت هذه الفضائل الثلاث التي هي في حاق الأوساط وتعادلت حصل منها فضيلة رابعة وملكة راسخة هي أم الفضائل وهي المعبر عنها بالعدالة، فهي إذا ملكة نفسانية تصدر عنها المساواة في الأمور الصادرة عن صاحبها، وتحت كل واحدة من هذه الفضائل الثلاث المتقدمة فضائل أخرى وكلها داخلة تحت العدالة فهي دائرة الكمال وجماع الفضائل

توجب مراعاتها الاحتراز عما يخل بالمروءة عادة في الظاهر^(٣).
وجاء في لسان العرب: - ورَجُلٌ عَدْلٌ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْعَدَالَةِ: وَصِفَ بالمصدر، معناه ذو عَدْلٍ، قال في موضعين: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ [سورة الطلاق من الآية: ٢]، وقال: ﴿حُكْمٌ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ [سورة المائدة من الآية: ٩٥]؛ ويقال: رجل عَدْلٌ وَرَجُلَانِ عَدْلٌ وَرِجَالٌ عَدْلٌ وامرأة عَدْلٌ وَنِسْوَةٌ عَدْلٌ، كل ذلك على معنى رجالٌ ذَوُو عَدْلٍ وَنِسْوَةٌ ذَوَات عَدْلٍ، فهو لا يُثَنَّى ولا يجمع ولا يُؤنَّث، فإن رأيتَه مجموعاً أو مثنى أو مؤنثاً فعلى أنه قد أُجْرِيَ مُجْرَى الوصف الذي ليس بمصدر^(٤)، "العدل إعطاء كل ذي حق حقه"^(٥).

وقالوا إنها "مأخوذة من العدل وهو القصد في الأمور ضد الجور وقيل من العدالة بمعنى الاستواء



على الإجمال^(٧).

عناصر وضمانات، تكفل للتوزيع قدرته على تحقيق العدالة الإسلامية، وانسجامه مع القيم التي يركز عليها، فإن الإسلام حين أدرج العدالة الاجتماعية ضمن المبادئ الأساسية، التي يتكون منها مذهبه الاقتصادي لم يتبن العدالة الاجتماعية بمفهومها التجريدي العام، ولم يناد بها بشكل مفتوح لكل تفسير، ولا أوكله إلى المجتمعات الإنسانية التي تختلف في نظرتها للعدالة الاجتماعية، باختلاف أفكارها الحضارية ومفاهيمها عن الحياة.

وإنما حدد الإسلام هذا المفهوم وبلوره في مخطط اجتماعي معين، واستطاع - بعد ذلك - أن يجسد هذا التصميم في واقع اجتماعي حي، تنبض جميع شرايينه وأوردته بالمفهوم الإسلامي للعدالة^(٩).

وهناك العدالة الاقتصادية التي ترمي إلى أن يتكافأ العائد مع الجهد

أما في اصطلاح أهل الشرع فهي "ملكة نفسانية تبعث على ملازمة التقوى والمروءة، واحترزوا بالملكة عما ليس كذلك من الأحوال المتقلبة بسرعة كحمرة الخجل وصفرة الوجل بمعنى أن الاتصاف بالوصف المذكور لا بد أن يكون من الملكات الراسخة التي يعسر زوالها"^(٨).

المحور الثاني: العدالة الاقتصادية

إن مجالات تطبيق العدالة متعددة ومتنوعة، فهناك ما يسمى بالعدالة الدستورية بصورة مباشرة، وهي التي تتوخى إزالة الغبن عن الأقليات والمضطهدين والمحرومين من حقوقهم السياسية وغيرهم. وهناك العدالة الاجتماعية التي تستهدف إنهاء التمييز العنصري والطبقي والفئوي، وقد جسدها الإسلام، فيما زود به نظام توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي من



وهي أن الفوارق تنشأ من الكسب في الجهد، فهذا يعني حرمان العجزة عن التكسب من العيش الكريم إذا قصر جهدهم عن تحصيل عائد يقابل احتياجاتهم الأساسية.

فضمان حق العمل وتلقي العائد المناسب مع الجهد لا يكفي حين يكون الفرد عاجزاً عن ممارسة هذا الحق لعدة جسمية أو نقص في المهارة، أو انعدام فرص العمل، وإن فقدان الدخل لهذه الأسباب خارج عن إرادة الفرد قد يؤدي إلى فقدان الحياة والهلاك.

وللإجابة على هذه الإشكالية نقول: نلاحظ أن العلمانيين والتقدميين والماركسيين والمتدينين من غير المسلمين أحياناً يهتمون بهذه الجوانب كثيراً، حتى هناك من عدَّ الإمام علي (عليه السلام) اشتراكياً ولم يكن الإمام كذلك.

الاشتراكية موجودة في بعض

الإنتاجي وتحول من دون استغلال فئة أو طبقة أو فرد للغير، واغتصابهم ثمرة كدهم من دون وجه حق.

ومراد الإسلام منها هو "إرساء العدالة الاقتصادية والمالية في المجتمع المسلم وإزالة الطبقة الفاحشة فلا تكون الثروة عندئذ حكراً متداوياً بين الأغنياء"^(١٠)، ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(١١).

وتعد العدالة الاقتصادية أصلاً لسابقتها- العدالة الدستورية والاجتماعية- فهي تتأثر بها أو تؤثر فيها.

وبمعنى آخر فهي تعني تضييق الفوارق في الامتيازات بين البشر وحصرها فيما تبرزه الفوارق في الالتزامات، فإن العدالة الاقتصادية إنما هي تضييق الفوارق في الدخول بحيث لا تنبع إلا من فوارق في الجهد الإنتاجي المبذول.

وهذا المعنى لا يخلو من ثغرة



من هذه الأشكال الثلاثة للملكية حقلاً خاصاً تعمل به، ولا تعد شيئاً منها شذوذاً واستثناءً، أو علاجاً مؤقتاً اقتضته الظروف^(١٣).

ولهذا كان من الخطأ أن نطلق على المجتمع الإسلامي اسم المجتمع الاشتراكي، وإن أخذ بمبدأ الملكية العامة، وملكية الدولة في بعض الثروات ورؤوس الأموال، لأن الشكل الاشتراكي للملكية ليس هو القاعدة العامة في رأيه^(١٤).

المحور الثالث: أهمية العدالة

أما عند العقل: فإن حسن العدل وقبح الظلم أبرز قضية استقل العقل العملي بالحكم بها، فلا ينكرها إلا مكابر أو من ليس له عقل، حتى من لا يحسن العدل لا بدّ له أن يقرّ بها، بل هي القضية التي فطر الله العقل عليها^(١٥).

ولما كان حسن العدل وقبح الظلم من القضايا التي يتوقف عليها أمر

الموارد، مثلاً في توزيع الفائض عن الحاجة من أموال بيت المال العام. فالمجتمع الاشتراكي "الملكية الاشتراكية فيه هي المبدأ العام، الذي يطبق على كل أنواع الثروة في البلاد. وليست الملكية الخاصة لبعض الثروات في نظره إلا شذوذاً واستثناءً، قد يُعترف به أحياناً بحكم ضرورة اجتماعية"^(١٢).

وأما المجتمع الإسلامي فلا تنطبق عليه الصفة الأساسية للمجتمع الاشتراكي، بوصفها للملكية الاشتراكية مبدأ عاماً، بل إنه يقرر الأشكال المختلفة للملكية في وقت واحد، فيضع بذلك مبدأ الملكية المزدوجة (الملكية ذات الأشكال المتنوعة) بدلاً عن مبدأ الشكل الواحد للملكية، الذي أخذت به الرأسمالية والاشتراكية. فهو يؤمن بالملكية الخاصة، والملكية العامة، وملكية الدولة. يخصص لكل واحد



أو أسس لا يمكن التهاون فيها لما يترتب عليها من آثار، وبعضها وإن كان على مستوى من الأهمية إلا أنها قضايا جزئية لموارد خاصة، وقد لا تكون محل ابتلاء لعامة المكلفين»^(١٨).

والعدل من أهم القضايا الكلية التي تقوم عليها أسس النظم الاجتماعية بل والكونية أيضا، ومما يرشد إلى ذلك ويؤكد ما ورد في

الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّ الْعَدْلَ مِيزَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي وَضَعَهُ فِي الْخَلْقِ وَنَصَبَهُ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ فَلَا تُخَالِفُهُ فِي مِيزَانِهِ وَلَا تُعَارِضُهُ فِي سُلْطَانِهِ»^(١٩).

وفي حديث آخر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «الْعَدْلُ مِيزَانُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ أَخَذَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»^(٢٠).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قال: «في العدل إصلاح البرية، في العدل الاقتداء بسنة الله، في العدل

البلاد والعباد، أمر الدين والدنيا بل والآخرة أيضا، جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لتؤكد هذه الحقيقة وترشدنا إلى التنبه لها والعمل بفروعها فضلا عن أصولها، وتحذّر من ترك العدل أو التهاون في تطبيقه والتهادي في الظلم لما ينتج عن ذلك من فساد الدنيا وخسارة الآخرة»^(١٦).

أما في الآيات والروايات: فإن النظر في الآيات القرآنية والتأمل في مضامينها يزيد العقل نورا وضياء لإدراك الحقائق، ويسهل لنا الطريق لترويض أنفسنا على ملكة العدالة.

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

إن "الأوامر الإلهية ليست على نسق واحد فبعضها قضايا كلية

المحور الرابع:

الوضع الاقتصادي الذي سبق دولة

الإمام علي (عليه السلام)

لا شك إن إدارة شؤون الدولة ومن ضمنها الجانب الاقتصادي «تحتاج إلى كفاءة ذات صفة علمية خاصة وصفة عملية خاصة، أي أن الكفاءة العلمية يجب أن تبلغ درجة كفيلة بالإحاطة بالأمر سواء من جهة موضوعات الأبواب المالية أو من جهة مجموعة القوانين الشرعية كما هي في اللوح المحفوظ، فلا يعيقه عدم الإمام بأطوار الأنشطة المالية، ومدى سلامتها وصحتها الشرعية - القانونية، كما لا يعيقه الجهل بالطرق والحلول المالية المواقبة لتطورات مناخ الحياة الاجتماعية المستجدة، هذا من جانب» (٢٢).

ومن جانب آخر يجب أن تكون أمانته والصفة العملية فيه بدرجة يكون معصوماً عن اتباع الهوى أو

من هنا ندرك أهمية التأكيد الذي جاء في الآية المباركة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ويظهر منها أن عدم إضافة العدل إلى شيء يفيد الإطلاق فيشمل كل مورد قابل للعدل وللجور سواء كان عامًا أو خاصًا كبيرًا أو صغيرًا ظاهرًا أو خفيًا.

كذلك تترتب على هذه الأهمية جملة من الثمرات منها:

- تحقق المساواة بين أفراد المجتمع وهذا بغض النظر عن مركز الشخص أو جنسه، أو دينه، وبهذا يتحقق الأمن والأمان.

- نشر المحبة والألفة بين جميع أفراد المجتمع.

- الشعور بالرضا والإنصاف بين جميع أفراد المجتمع على عكس ما يمكن أن يخلقه الظلم.

- العدالة تُحارب الإرهاب بكافة أشكاله.



الله (ﷺ) وللإمام علي (عليه السلام)، أمثال
عمار بن ياسر ومالك الأشتر وأبو
ذر الغفاري ومحمد بن أبي بكر ومحمد
بن أبي حذيفة وسلمان المحمدي.

- صعود الطبقة الأرستقراطية

إلى قمة السلطة، وتولية المقربين
من عثمان المناصب الهامة كالولاية
والقضاة.

- انتشار القسوة والبطش بحق
الاحتجاجات الشعبية في أوساط
الأمة.

وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى
هذه الأمور في جملة من خطبه منها
قوله: «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا
حِضْنِيهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ
بُنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ
الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّيْعِ، إِلَى أَنْ انْتَكثَ عَلَيْهِ
فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَّتْ بِهِ
بَطْنَتُهُ» (٢٤).

والمراد بالقيام الحركة في تولي أمر
الخلافة، وثالث القوم هو عثمان بن

العصية فلا يؤثر فئة على أخرى، أي
عدم تخصيص فرص المال بفئة من
دون أخرى، كما لا تحمله العصية
والغضب للإقدام على حرمان جماعة
أو قوم من دون آخرين (٢٣).

لكن هذه الصفات لم تتوفر فيمن
سبق الإمام علي (عليه السلام)، خصوصا
في عهد حكم عثمان بن عفان فقد
طغت السياسات الخاطئة على مجمل
الأوضاع السياسية والاقتصادية
والاجتماعية، بسبب تمكينه لقادة
بني أمية وعلى رأسهم معاوية بن
أبي سفيان، فسادت الأوضاع العامة
للأمة الإسلامية جملة من الأمور
منها:

- فساد جهاز الحكم وسوء
الإدارة.

- فشل السياسة المالية وانتشار
السرقة في بيت مال المسلمين وشيوع
الرشوة.

- اضطهاد كبار الصحابة لرسول



عَفَان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان أبوه عَفَان مِّن يَضْرِب بِالْدَّفِّ وَيَتَخَنَّثُ بِهِ وَيَلْعَبُ، رواه العلامة في كشف الحقِّ ومؤلف كتاب إلزام النواصب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي هذا^(٢٥).

وأثبت (عليه السلام) له حالاً يستلزم تشبيهه بالبعير واستعار له صفته بقوله: (نافجا حضييه) أي نافجا جنبيه ورافعا ما بين إبطه وكشحه من كثرة الأكل والشرب كالبعير المتفجع الجنين (بين نثيله ومعتلفه) أي قام بالأمر وكأن حركته بين روثة ومعتلفه، يعنى لم يكن همّه إلا الأكل والرّجيع، قال الشّارح المعتزلي: وهذا من أمّض الدّم.

المحور الخامس:

عدالة الإمام علي (عليه السلام) الاقتصادية

وثمرتها

سلك الإمام علي (عليه السلام) منهجاً في

توليه أمر الأمة قلّ نظيره لاسيما في التاريخ المعاصر فلم يكن هذا المنهج خاصاً بالناس من دون الحاكم، بل وقرابته، فقد ضرب الإمام علي (عليه السلام) مثالا لكل من أراد أن يتولى شؤون الأمة، إن العدل والإنصاف والمناداة بحقوق المستضعفين ليست مجرد دعوى يطلقها الحاكم كما نراه اليوم، بل هي منهج عملي يبدأ من الحاكم نفسه، فمن عباراته التي يجب أن تُحط بآء الذهب عن بكر بن عيسى قال: كان علي (عليه السلام) يقول: «يا أهل الكوفة! إذا خرّجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلّامي فأنا خائن»^(٢٧).

وقوله: «والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها. ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: أغرب عني؛ فعند الصباح يحمّد القوم السرى»^(٢٨).

أما منهج أمير المؤمنين (عليه السلام)



اسْتَمَاحَنِي مِنْ بَرِّكُمْ صَاعًا، وَرَأَيْتُ
صَبِيَانَهُ شُعْتَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ
مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّهَا سُودَتْ وَجُوهُهُمْ
بِالْعِظْمِ، وَعَاوَدَنِي مُوَكَّدًا وَكَرَّرَ عَلَيَّ
الْقَوْلَ مُرَدَّدًا فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي
فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبَعُ قِيَادَهُ
مُفَارِقًا طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ
أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ
ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنَ الْمَهَا، وَكَادَ أَنْ
يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسْمِهَا. فَقُلْتُ لَهُ تَكَلِّتَكَ
الشَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ، أَتَيْتُنْ مِنْ حَدِيدَةٍ
أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلْعَبِيهِ، وَتَجَرَّنِي إِلَى نَارٍ
سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَتَيْتُنْ مِنْ
الْأَذَى وَلَا أَتَيْنُ مِنْ لَظْيٍ» (٣٠).

روى عنبسة العابد عن عبد الله
بن الحسين بن الحسن، قال: «أعتق
علي (عليه السلام) في حياة رسول الله (صلى الله
عليه وآله) ألف مملوك مما مجلت يدها، وعرق
جبينه، ولقد ولي الخلافة، وأتته
الأموال، فما كان حلواه إلا التمر،
ولا ثيابه إلا الكرايس» (٣١).

الذي سلكه في أهل بيته وقرابته،
فلم يكن بعيدا عن منواجه مع
نفسه، فقد كان (عليه السلام) حريصا
على معاملة ذويه في مسألة الحقوق،
كما لو كانوا من عامة الناس، فلا
يفضلهم بعتاء، ولا يميزهم بحق.
فقد روى هارون بن سعيد أن
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قد
قال له: يا أمير المؤمنين، لو أمرت
لي بمعونة أو نفقة، فوالله مالي نفقة
إلا أن أبيع دابتي، فقال الإمام (عليه السلام):
«لَا وَاللَّهِ، مَا أَجِدُ لَكَ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَأْمَرَ
عَمَّكَ أَنْ يَسْرِقَ فَيُعْطِيكَ» (٢٩).

وقد جاءه عقيل أخوه وكان
ضريرا يوما يطلب صاعا من القمح
من بيت مال المسلمين زيادة على
حقه، وظل يكرر طلبه على علي
(عليه السلام)، فما كان من الإمام إلا وأحمى
له حديدة على النار وأدناها منه،
ففرغ منها عقيل، ثم وعظه: «وَاللَّهِ
لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى

لقد عمد الإمام علي (عليه السلام) إلى إصلاح الوضع السياسي والإداري للدولة الإسلامية وكذلك فعل بالنسبة للوضع الاقتصادي، فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة إلى إلغاء طريقة العطاء التي كانت تفضل العرب على العجم.

فألغى الإمام (عليه السلام) كل أشكال التمييز في توزيع المال على الناس، مؤكداً أن التقوى، والسابقة في الإسلام والجهاد، والصحبة للرسول (صلى الله عليه وآله): أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا، وإنما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، وإن الناس سواسية في الحقوق المالية (٣٢).

فقد حدد الإمام علي (عليه السلام) مواصفات ولاية الأمر وموظفي الدولة، الذين يرشحهم الإسلام لإدارة شؤون الأمة الإسلامية ببيان جاء فيه: «أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالْدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ

وَالْأَحْكَامِ، وَإِمَامَةَ الْمُسْلِمِينَ: الْبَخِيلُ، فَتَكُونُ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الْجَانِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُزْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمُقَاتِعِ، وَلَا الْمُعْطَلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ» (٣٣).

ومن أجل ذلك رأينا أمير المؤمنين (عليه السلام) يبادر فوراً إلى عزل الولاة والعمال، الذين كانوا سبباً في ظلم الناس وإشاعة الباطل، ويعود بالأمة إلى قاعدة المساواة في توزيع العطاء، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفعل (٣٣).

لقد صح ما توقعه الإمام علي (عليه السلام) من أن تطبيقه للعدالة الإسلامية، سيثير غضب رجالات قريش الذين دأبوا على العيش برفاهية: مما ينهبونه من أفواه الجياع والمحرومين، وكبر عليهم أن ينهج الإمام (عليه السلام) نهج المساواة في الحقوق، فلا يميز بين حر



يعمل ويزداد ثراء على شرط أن يعطي من ماله الحقوق والزكوات الواجبة. ففي اليوم الثاني من أيام خلافته

(عليه السلام) أعلن بوضوح أنه لن يسمح لأحد - دون استثناء - من استغلال المال العام، وأن أولئك الذين راكموا ثرواتهم عبر غصب المال العام وحصلوا - عن هذا الطريق - على الأراضي، الخصبة (القطائع) والخيول المسوّمة والجواري الحسان، سيعمد علي إلى مصادرة هذه الثروات المغصوبة بأجمعها وردّها إلى بيت المال (٣٦).

كان هذا الحديث لأمر المؤمنين (عليه السلام) بمنزلة الصاعقة التي نزلت على رؤوس من يعينهم الأمر، إذ راحت أصداء مواجهة نداء العدالة العلوية تتجسّد في معارضة شخصيات معروفة لحكم الإمام. وفي اليوم الثالث من أيام عهد الإمام (عليه السلام) دعا الناس إلى استلام

وعبد، وبين أسود وأبيض، وبين عربي وأعجمي، كان الجميع أمامه سواسية كأسنان المشط (٣٥).

لقد كان الإمام علي (عليه السلام) يوزع الأموال بالتساوي على الشعب ولكن الإمام يختلف عن الفكر الاشتراكي في مورد حق الملكية الشخصي.

الاشتراكية لا تقبل أن يرتفع مستوى مواطن على أي مواطن آخر، فيضيع هنا الحافز الذاتي للإبداع لدى المواطن مادام لم يرتفع بمستواه سواء عمل وضاعف الجهد أم لم يعمل.

في المجتمع الاشتراكي الماركسي يتساوى الإنسان الفعال مع الإنسان الخامل الكسول، وهنا يقع الافتراق بين الإسلام والمذهب الاشتراكي.

كان الإمام علي (عليه السلام) يوزع الفائض عن الحاجة من أموال بيت المال بالسوية ولكن لا يمنع أحدًا أن



أعطيتهم من بيت المال، حيث أمر (عليه السلام) كاتبه عبيد الله بن أبي رافع أن يسير على النهج التالي: «أبدأ بالمهاجرين فنأديهم وأعط كل رجل ممّن حضر ثلاثة دنانير، ثمّ ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومّن حضر من الناس كلّهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك»^(٣٧).

إن عدالة علي (عليه السلام) وتمسكه بالإسلام لا تروق لأولئك الذين اكتنوزوا الكنوز وامتلكوا الضياع، وبنوا القصور من أموال المسلمين، فقاموا متحدين تدفعهم أحقادهم الدفينة وعقيدتهم المهلهلة لمقاومة رمز العدالة أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٣٨).

تكمّن إحدى أهمّ أسباب ابتعاد الخواصّ عن الإمام (عليه السلام) والتفاف العوام حوله بسياسة العدالة الاقتصادية. لطالما حصر المقرّبون إلى الإمام (عليه السلام) أن يغض الطرف عن هذا النهج، ليستحوذ على ولاء

رؤساء القبائل، ويستقطب إليه نفوذ الشخصيات البارزة من خلال منحهم مزايا ماديّة خاصّة. بيد أنّ الإمام كان يرى أنّ هذا العرض يتنافى مع أصول الحكم العلوي، ويتعارض مع مرتكزاته، ومن ثمّ فإنّ العمل به معناه أن ينفض الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يديه عن أهداف الحكم الإسلامي، ويتخلّى عن غاياته. لذلك لم يُبدِ استعداداً لقبوله^(٣٩).

أدرك سُرأة القوم وكبرائهم أنّ العدالة الاقتصادية في ظلال حكم علي (عليه السلام) ليست شعاراً وحسب، بل هي نهج جاد لا يحيد عنه، فراحوا يتحجّجون ويتبرّمون أمام كاتب الإمام، وأبدوا تذمّرهم من ذلك، فما كان من ابن أبي رافع إلّا أن رفع الأمر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلم يُفاجأ الإمام (عليه السلام) بانطلاق شرارة المعارضة والرفض من قبل



فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي الحقّ ويستمري الباطل، ويؤثر الدنيا. فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تميل إليك أعناق الناس، وتصف نصيحتهم، وتستخلص ودّهم. صنع الله لك يا أمير المؤمنين، وكبت عدوك، وفضّ جمعهم، وأوهن كيدهم، وشتت أمورهم، إنّه بما يعملون خير.

فأجابه علي (عليه السلام)، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل، فإنّ الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف وأما ما ذكرت من أن الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا

الشخصيات المرموقة، ليس هذا وحسب، بل أعلن بجزم عن إدامة النهج الإصلاحية، وهو يقول: «والله إن بقيت وسلمت لهم لأقيمتهم على المحجة البيضاء».

ونورد جملة من القضايا في هذا المورد وكيف كان تعامل أمير المؤمنين (عليه السلام) معها:

١. جاء في كتاب الغارات: «شكا عليّ (عليه السلام) إلى الأشتر فرار الناس إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، إنّنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة، والرأي واحد، وقد اختلفوا بعد، وتعادوا، وضعفت النية، وقلّ العدل، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحقّ، وتنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك على الحقّ إذ عمّوا به، واغتمّوا من العدل إذ صاروا



من جور، ولم يُدعوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلاّ دنيًا زائلة عنهم كأنّ قد فارقوها، وليُسالنّ يوم القيامة: ألدنيا أرادوا أمّ الله عملوا؟ وأمّا ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإنّنا لا يسعنا أن نؤتي إمراً من الفياء أكثر من حقّه، وقد قال الله وقوله الحقّ: ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وبعث محمّداً (عليه وآله) وحده فكثّره بعد القلّة، وأعزّفته بعد الذلّة، وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلّ لنا صعبه، ويسهّل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان لله رضياً، وأنت من آمن أصحابي، وأوثقهم في نفسي، وأنصحهم وأراهم عندي» (٤٠).

وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن تخاف خلفه من الناس وفراره. قال: «وإنّما قالوا له ذلك للذي كان معاوية يصنع من أتاه فقال لهم علي (عليه السلام): «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟! والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح في السماء نجم. والله، لو كان ما لهم لي لواسيت بينهم، فكيف وإنّما هي أموالهم؟! قال: ثم أزم طويلاً ساكناً ثم قال: من كان له مال فإياه والفساد! فإن إعطاء المال في غير حقه تذيير وإسراف، وهو ذكر لصاحبه في الناس ويضعه عند الله، ولم يضع رجل ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم....» (٤١).

٢. وفي الكتاب نفسه روى عن ربيعة وعمارة ما نصّه: إنّ طائفة من أصحاب علي (عليه السلام) مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، أعط هذه الأموال،

٣. بعث سهل بن حنيف - والي الإمام على المدينة - رسالة إليه، يخبره فيها أنّ جمعاً من أهل المدينة التحق بمعاوية (٤٢).



في سياساته وبرامجه وأوامره. ومن ثم فإن القائد ليس له أن يضلّل الجمهور بلغة التطميع فحسب، بل له أيضًا أن يفرض نفسه عليه عبر استعمال لغة التهديد والتوسّل بالقوّة. ولقد استطاع معاوية عبر توظيف هذه السياسة أن يحافظ على التفاف الناس حوله. وربما كان يستطيع أن يحافظ على المصالح الوطنيّة للشام من خلال هذا النهج.

بيد أن الأمر يختلف في المدرسة العلويّة التي لا تُجيز توظيف الأدوات غير المشروعة في تنفيذ السياسات المطلوبة؛ وعندئذ لا يستطيع القائد أن يتوسّل بلغة التطميع لتنفيذ الحكم، كما لا يستطيع أن يستعمل لغة التهديد مع الناس.

وعلى هذا الأساس لم يكن الإمام (عليه السلام) على استعداد أن يجبر الناس على طاعته بالقوّة؛ فعندما أجبره الجُند في حرب صفّين على إيقاف

فكتب الإمام (عليه السلام) في جوابه: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَيَّ مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا فَرَارُهُمْ مِنْ أَلْهَدَى وَأَلْحَقِّي، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَيَّ أَلْعَمَى وَالْجُهْلَ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي أَلْحَقِّ أَسْوَدَ، فَهَرَبُوا إِلَيَّ الْأَثَرَةَ، فَبَعْدًا لَهُمْ وَسُحْقًا!! إِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنُظْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلِّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزَنَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ» (٤٣).

تجنّب القوّة في إجراء أحكام المدرسة الأمويّة ترى أنّ الهدف يوجّه الوسيلة، بحيث يستطيع السياسي أن يستفيد من الأدوات اللامشروعة

القتال والإذعان إلى التحكيم، قال: «ألا إنني كنتُ أميرَ المؤمنين، فأصبحتُ اليومَ مأمورًا، وكنتُ ناهيًّا، فأصبحتُ منهيًّا، وقد أحببتُمُ البقاءَ وليسَ لي أن أحملَكُم على ما تكرهون» (٤٤).

على هذا الضوء لا يستطيع الحكم العلوي تحقيق مراميه الإصلاحية إلا على أساس الاختيار الشعبي الحر لبرامج الإمام (عليه السلام) بهذا الشأن، وإلا فالإمام (عليه السلام) لا يرى نفسه مخلّوًا باستعمال منطق القوة والتوسّل بالسيف لإجبار الناس على طاعته، فالجمهور سوف ينتخب الطريق الذي يريده هو.

وبعبارة أخرى: إنّ إحدى أجوبة الإمام (عليه السلام) على هذا التساؤل: لماذا ترك الناس الإمامَ وحيدًا؟ هو: إنّني لستُ على استعداد أن أُجبر هؤلاء على الطاعة بمنطق السيف؛ فهذا الأسلوب وإن كان يحلّ مشكلة

الحكم مؤقتًا، إلا أنّ هذا الحكم لن يغدو بعدئذ حكمًا علويًّا!.

لقد تكرّر هذا المعنى في كلام الإمام (عليه السلام)، ففي خطاب لأهل الكوفة، قال بعد أن بثّ شكواه منهم: «يا أهل الكوفة! أتروني لا

أعلم ما يصلحكم؟! بلى، ولكنني أكره أن أصلحكم بفساد نفسي» (٤٥).

وكما قال مرّةً أخرى: «ولقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف، وما كنت متحرّيا صلاحكم بفساد نفسي، ولكن سيسلط عليكم من بعدي سلطان صعب، لا يوقر كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ولا يكرم عالمكم، ولا يقسم الفيء بالسوية بينكم، وليضربنكم ويدلنكم ويحمرنكم في المغازي ويقطعن سبيلكم، وليحجنكم على بابه، حتى يأكل قويكم ضعيفكم، ثم لا يبعد الله إلا من ظلم منكم، ولقلما أدبر شيء ثم أقبل، وإني لأظنكم في



فترة، وما في إلا النصح لكم»^(٤٦).

من بين الناس؛ وبتعبيره: «إِنْ كَانَتْ
الرَّعَايَا قَبْلِي لِتَشْكُو حَيْفَ رِعَايَتِهَا -
وَأَنْبِي الْيَوْمَ لِأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي -
كَأَنَّي الْمُقُودُ وَهُمْ الْقَادَةُ - أَوْ الْمُزُوعُ
وَهُمُ الْوَزَعَةُ»^(٤٧).

النتائج والتوصيات

١- الإنسان مفطور على أنه يرى
العدل من صفات الحسن، وعدمه
صفة قبيحة، فلا بد لمن يتولى أمور
الأمة أن يراعي ما فطرت عليه
البشرية.

٢- حب التسلط على الأمة،
وزهو السلطان والجاه من الغرائز
التي يسعى إليها أغلب الذين
يريدون الوصول إلى تلك المناصب
وبعنوانات مختلفه، سواء كانت
مشروعة كنصرة المستضعفين،
وإحقاق الحق، أم غير مشروعة
كالتسلط على رقاب الناس بالقوة،
فمن يدعي الطرق المشروعة عليه أن
يضع منهج الإمام علي (عليه السلام) نصب

يوجه الإمام في هذا الكلام خطابه
إلى أولئك الذين أساءوا استعمال
أجواء الحرّية في ظلال حكمه،
وصاروا يتمردون على طاعته؛
بأنني أستطيع كبقية السياسيين
المحترفين أن أضطرّكم إلى إطاعتي،
والمقدوري أن أقوم أودكم ببساطة
عبر القوّة وعبر منطق السيف؛ بيد
أنني أربأ بنفسي أن أقدم على ذلك؛
لأنّ إصلاح أمركم بالسيف ومنطق
القوّة لا يكون إلا بالتضحية بقيمي
الأخلاقيّة، وهذا الثمن يتنافى مع
فلسفة حكمي. لكن اعلّموا بأنّ
المستقبل يُجبئ لكم في أحشائه آتياً
عظيماً! فسلوكم هذا إنّما توطّئون
لأنفسكم نازلة قوم لا يحكمونكم
إلا بالسيف، ولا يتحدّثون إليكم
إلا بمنطق القوّة، ولا يعرفون بكم
الشفقة!

هكذا مضى عليّ (عليه السلام) مظلوماً

عينيه في وصوله للسلطة، وفي سلوكه بعد ذلك. ...وهنا يقع الافتراق بين الإسلام والمذهب الاشتراكي.

٣- عندما اختارت الأمة الإمام علي (عليه السلام)، بعد أن أذعنت أنه الأصح لها، ولأنه يمثل عدالة السماء، فإنه وضع برنامجاً رئاسياً إن صح التعبير في قيادة الأمة وحملها على المحجة البيضاء.

٤- إن العدالة الاقتصادية في ظلال حكم علي (عليه السلام) ليست شعاراً وحسب، بل هي نهج جاد لا محيد عنه.

٥- إن الإمام علي (عليه السلام) يختلف عن الفكر الاشتراكي في مورد حق الملكية الشخصي، فالاشتراكية لا تقبل أن يرتفع مستوى مواطن على أي مواطن آخر، فيضيع هنا الحافز الذاتي للإبداع لدى المواطن مادام لم يرتفع بمستواه سواء عمل وضاعف الجهد أم لم يعمل، فيتساوى الإنسان الفعال مع الإنسان الخامل الكسول

٦- لقد سن أمير المؤمنين (عليه السلام) مجموعة قوانين يجب أن تتوفر في الحاكم، ابتداءً بنفسه، ثم أهله وقرابته، ثم عامة الناس، في كيفية التعامل مع الثروات العامة، وهذه القوانين سارية المفعول إلى العصر الراهن وما بعده، خصوصاً على الذي يقول بانتهائه إلى مدرسته (عليه السلام).

٧- إن التسلط على مقدرات الأمة باسم الإسلام، وعدم تطبيقه لقوانينه التي مثلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) يكون مردوده سلبي على الشريعة الإسلامية؛ لأن عامة الناس تعتبر هؤلاء ممثلين للإسلام وقوانينه.

٨- إن المتبع للحركات الإصلاحية على طول التاريخ، يجد أن الذين نجحوا هم المتمين إلى الفكر الإسلامي الأصيل، بل إن الذين لا

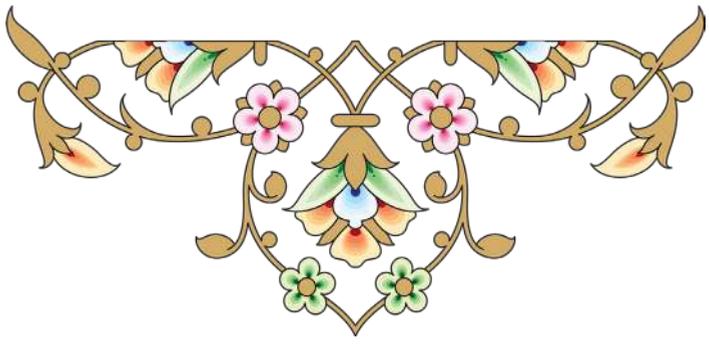


يتمون إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) استمدوا كثيراً من مبادئ السلطة من مدرسة الإسلام والنبى الأكرم وآل بيته (عليهم السلام)، كالكلمات المشهورة لغاندي وغيره من قادة الثورات. ٩- إن الظروف الموضوعية التي مرت بها دولة الإمام علي (عليه السلام)، هي من أحلك الظروف، بسبب

التعقيم الإعلامي وغيره، أما اليوم فأصبحت الوسائل كلها متاحة للحاكم، وبإمكان الأمة أن تطلع على نتاجاته في الحكم.

١٠- على الأمة أن تحسن التصرف في حال فسح لها فضاء الحرية، لأن

١١- إن المدرسة العلوية لا تُجيز توظيف الأدوات غير المشروعة في تنفيذ السياسات المطلوبة؛ وعندئذ لا يستطيع القائد أن يتوسل بلغة التطميع لتنفيذ الحكم، كما لا يستطيع أن يستعمل لغة التهديد مع الناس.



الهوامش

٩. اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، الوفاة: ١٤٠٠، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٢ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ص: ٢٨٨.
١٠. مقامات فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الكتاب والسنة، الشيخ محمد السندي، الوفاة: تحقيق: بقلم السيد محمد علي الخلو، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير/ قم، ص: ١٤١.
١١. الحشر، آية ٧.
١٢. اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، الوفاة: ١٤٠٠، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٢ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ص: ٢٨٣.
١٣. ينظر: اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، الوفاة: ١٤٠٠، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٢ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ص: ٢٨٣.
١٤. ينظر: اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، الوفاة: ١٤٠٠، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة

١. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، الجزء: ٤، ص: ١٦، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥هـ، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
٢. الصحاح، الجوهري، الجزء: ٥، الوفاة: ٣٩٣ هـ، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، ص: ١٧٦٠.
٣. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، الجزء: ٢، الناشر: دار الفضيحة، ص: ٤٨٣.
٤. لسان العرب، ابن منظور، الجزء: ١١، الوفاة: ٧١١ هـ، سنة الطبع: محرم ١٤٠٥ هـ، الناشر: نشر أدب الحوزة، ص: ٤٣٠.
٥. مطهري، مرتضى، العدل الالهي: ٥٩-٦٠، طهران، منشورات اسلامي، ط ١٠، ١٩٨٧ م.
٦. المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، ص: ١٧٠٨.
٧. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، الجزء: ١٠، الوفاة: ١١٨٦، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٨. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، الجزء: ١٠، الوفاة: ١١٨٦، تحقيق وتعليق: محمد تقوي الإيرواني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص: ١٣.



- الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٢ ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ص: ٢٨٣.
١٥. رسالة في التعرب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ علي المجتمع المؤمن، الشيخ قاسم محمد مصري العملي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد - قم - إيران، ص: ٢٥٠.
١٦. رسالة في التعرب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ علي المجتمع المؤمن، الشيخ قاسم محمد مصري العملي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد - قم - إيران، ص: ٢٥٠.
١٧. النحل، آية ٩٠.
١٨. رسالة في التعرب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ علي المجتمع المؤمن، الشيخ قاسم محمد مصري العملي، ط ١، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد - قم - إيران: ٢٥٢.
١٩. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، الجزء: ٣، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث، ص: ١٨٣٨.
٢٠. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، الجزء: ١١، الوفاة: ١٣٢٠، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - بيروت - لبنان، ص: ٣١٧ - ٣١٨.
٢١. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، الجزء: ١١، الوفاة: ١٣٢٠، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - بيروت - لبنان، ص: ٣١٨.
٢٢. مقامات فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الكتاب والسنة، الشيخ محمد السند، الوفاة: تحقيق: بقلم السيد محمد علي الحلو، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير / قم، ص: ١٤٣.
٢٣. مقامات فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الكتاب والسنة، الشيخ محمد السند، الوفاة: تحقيق: بقلم السيد محمد علي الحلو، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير / قم، ص: ١٤٣.
٢٤. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، (الشقشقية): ١ / ٣٥.
٢٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، ط ٤، المطبعة: مطبعة الإسلامية بطهران، الناشر: بنياد فرهنگ إمام المهدي (عج): ٩٦ - ٩٧ / ٣.
٢٦. المصدر نفسه: ٩٧ / ٣.
٢٧. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، الجزء: ١، الوفاة: ٢٨٣، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، ص: ٦٨.
٢٨. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)،



- الوفاء: ٤٠، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢-١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة- قم، الناشر: دار الذخائر- قم- إيران، ٦١ / ٢.
٢٩. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ت ١١١١، تحقيق: الشيخ عبد الزهراء العلوي، سنة الطبع: ١٤٠٣-١٩٨٣ م، الناشر: دار الرضا- بيروت- لبنان: ٥١-٥٠ / ٣١.
٣٠. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، الوفاة: ٤٠، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢-١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة- قم، الناشر: دار الذخائر- قم- إيران، ٢ / ٢١٨.
٣١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الجزء: ٢، الوفاة: ٦٥٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨-١٩٥٩ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٢ / ٢٠٢.
٣٢. رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ، السيد لطيف القزويني: ٨١.
٣٣. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، الوفاة: ٤٠، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢-١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة- قم، الناشر: دار الذخائر- قم- إيران: ١٤ / ٢.
٣٤. رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ، السيد لطيف القزويني: ٨١.
٣٥. رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ،

السيد لطيف القزويني: ٨٤.

٣٦. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ص: ١٧.
٣٧. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ص: ١٧.
٣٨. رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ، السيد لطيف القزويني: ٨٨.
٣٩. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ص: ١٧١.
٤٠. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، الجزء: ١، الوفاة: ٢٨٣، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، ص: ٧٤. سنن الإمام علي (عليه السلام)، لجنة الحديث معهد باقر العلوم



٤٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الجزء: ٢، الوفاة: ٦٥٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص: ٢٢٠.
٤٥. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، الجزء: ٣، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث.
٤٦. الإرشاد، الشيخ المفيد، ت ٤١٣ هجرية، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لتحقيق التراث، ط ٢، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان: ٢٨١ - ٢٨٢ / ١.
٤٧. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ت ٤٠، تحقيق: الدكتور صبحي صالح، ط ١، سنة الطبع: ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م: ٥٢٠.
٤٨. سورة الرعد، آية ١١.
٤٢. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ص: ١٧٣.
٤٣. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، الجزء: ٣، الوفاة: ٤٠، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة - قم، الناشر: دار الذخائر - قم - إيران، ص: ١٣١.



المصادر والمراجع

٩. اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، الوفاة: ١٤٠٠، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٢ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ص: ٢٨٨.
١٠. مقامات فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الكتاب والسنة، الشيخ محمد السندي، الوفاة: تحقيق: بقلم السيد محمد علي الخلو، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير/ قم، ص: ١٤١.
١١. الحشر، آية ٧.
١٢. اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، الوفاة: ١٤٠٠، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٢ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ص: ٢٨٣.
١٣. ينظر: اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، الوفاة: ١٤٠٠، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٢ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ص: ٢٨٣.
١٤. ينظر: اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، الوفاة: ١٤٠٠، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان، الطبعة: الثانية، سنة

١. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، الجزء: ٤، ص: ١٦، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥هـ، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
٢. الصحاح، الجوهري، الجزء: ٥، الوفاة: ٣٩٣ هـ، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، ص: ١٧٦٠.
٣. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، الجزء: ٢، الناشر: دار الفضيحة، ص: ٤٨٣.
٤. لسان العرب، ابن منظور، الجزء: ١١، الوفاة: ٧١١ هـ، سنة الطبع: محرم ١٤٠٥ هـ، الناشر: نشر أدب الحوزة، ص: ٤٣٠.
٥. مطهري، مرتضى، العدل الالهي: ٥٩-٦٠، طهران، منشورات اسلامي، ط ١٠، ١٩٨٧ م.
٦. المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، ص: ١٧٠٨.
٧. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، الجزء: ١٠، الوفاة: ١١٨٦، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٨. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، الجزء: ١٠، الوفاة: ١١٨٦، تحقيق وتعليق: محمد تقوي الإيرواني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص: ١٣.



- الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٢ ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب قم (مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ص: ٢٨٣.
١٥. رسالة في التعرب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ علي المجتمع المؤمن، الشيخ قاسم محمد مصري العملي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد - قم - إيران، ص: ٢٥٠.
١٦. رسالة في التعرب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ علي المجتمع المؤمن، الشيخ قاسم محمد مصري العملي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد - قم - إيران، ص: ٢٥٠.
١٧. النحل، آية ٩٠.
١٨. رسالة في التعرب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ علي المجتمع المؤمن، الشيخ قاسم محمد مصري العملي، ط ١، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد - قم - إيران: ٢٥٢.
١٩. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، الجزء: ٣، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث، ص: ١٨٣٨.
٢٠. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، الجزء: ١١، الوفاة: ١٣٢٠، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - بيروت - لبنان، ص: ٣١٧ - ٣١٨.
٢١. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، الجزء: ١١، الوفاة: ١٣٢٠، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - بيروت - لبنان، ص: ٣١٨.
٢٢. مقامات فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الكتاب والسنة، الشيخ محمد السند، الوفاة: تحقيق: بقلم السيد محمد علي الحلو، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير / قم، ص: ١٤٣.
٢٣. مقامات فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الكتاب والسنة، الشيخ محمد السند، الوفاة: تحقيق: بقلم السيد محمد علي الحلو، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الغدير / قم، ص: ١٤٣.
٢٤. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، (الشقشقية): ١ / ٣٥.
٢٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، ط ٤، المطبعة: مطبعة الإسلامية بطهران، الناشر: بنياد فرهنگ إمام المهدي (عج): ٣ / ٩٦ - ٩٧.
٢٦. المصدر نفسه: ٣ / ٩٧.
٢٧. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، الجزء: ١، الوفاة: ٢٨٣، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، ص: ٦٨.
٢٨. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)،



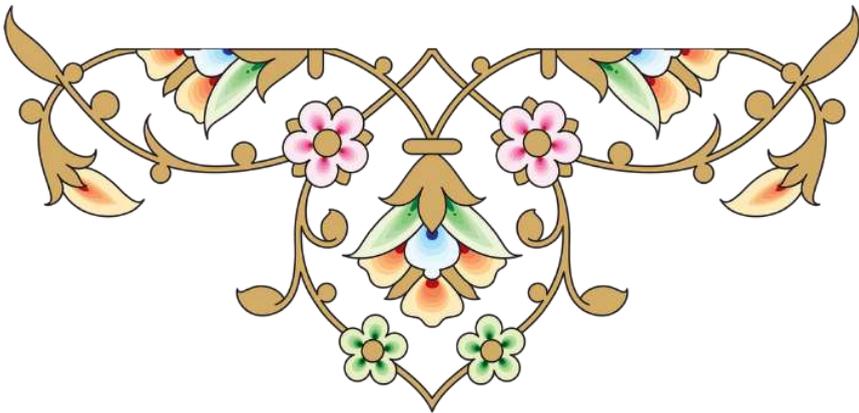
- الوفاء: ٤٠، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢-١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة- قم، الناشر: دار الذخائر- قم- إيران، ٢/ ٦١.
٢٩. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ت ١١١١، تحقيق: الشيخ عبد الزهراء العلوي، سنة الطبع: ١٤٠٣-١٩٨٣ م، الناشر: دار الرضا- بيروت- لبنان: ٣١/ ٥٠-٥١.
٣٠. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، الوفاة: ٤٠، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢-١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة- قم، الناشر: دار الذخائر- قم- إيران، ٢/ ٢١٨.
٣١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الجزء: ٢، الوفاة: ٦٥٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨-١٩٥٩ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٢/ ٢٠٢.
٣٢. رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ، السيد لطيف القزويني: ٨١.
٣٣. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، الوفاة: ٤٠، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢-١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة- قم، الناشر: دار الذخائر- قم- إيران: ٢/ ١٤.
٣٤. رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ، السيد لطيف القزويني: ٨١.
٣٥. رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ،

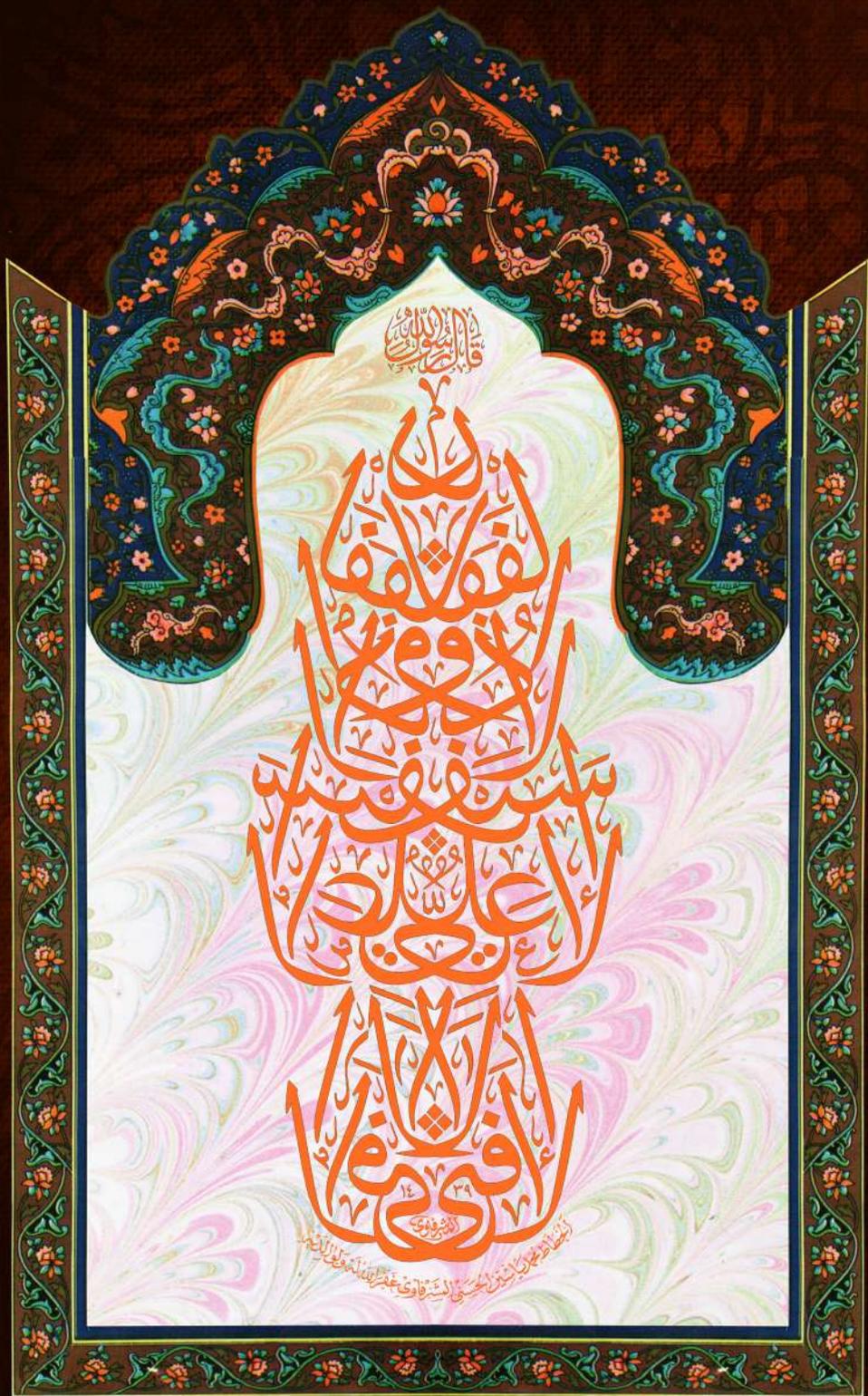
السيد لطيف القزويني: ٨٤.

٣٦. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ص: ١٧.
٣٧. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ص: ١٧.
٣٨. رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ، السيد لطيف القزويني: ٨٨.
٣٩. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ص: ١٧١.
٤٠. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، الجزء: ١، الوفاة: ٢٨٣، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، ص: ٧٤. سنن الإمام علي (عليه السلام)، لجنة الحديث معهد باقر العلوم



٤٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الجزء: ٢، الوفاة: ٦٥٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص: ٢٢٠.
٤٥. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، الجزء: ٣، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث.
٤٦. الإرشاد، الشيخ المفيد، ت ٤١٣ هجرية، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لتحقيق التراث، ط ٢، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان: ١ / ٢٨١ - ٢٨٢.
٤٧. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ت ٤٠، تحقيق: الدكتور صبحي صالح، ط ١، سنة الطبع: ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م: ٥٢٠.
٤٨. سورة الرعد، آية ١١.
٤١. المطبعة: اعتماد، الناشر: نور السجاد، ص: ٧٦.
٤١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الجزء: ٣٤، الوفاة: ١١١١، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣ - ١٩٩٢ م.
٤٢. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ص: ١٧٣.
٤٣. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، الجزء: ٣، الوفاة: ٤٠، تحقيق: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة - قم، الناشر: دار الذخائر - قم - إيران، ص: ١٣١.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عاشقانه

عاشقانه



Editors Board

Prof. Dr. Salah Mahdi Al- Fartousi
University of Rotterdam-Holland

Prof. Dr. Abdul Ali Safih al-Tai
Advisor to the Ministry of Education
France

Prof. Dr. Jawad Kazem Al -Nasrallah
University of Basra- College of Arts

Prof.Dr. Abdul Hussain Abdul Rida Al Omari
University of Dhi Qar- College of Arts

Prof. Dr. Hussein Ali Al-Sharhani
Dhi Qar University- College of Education
for Human Sciences

Prof. Dr. Mohamed Hassanein Al-Naqawi
University of Bahaauddin- Pakistan

Asst.Prof.Dr.Mustafa Kadhim Shgedl
College Of Arts/Baghdad University

Asst. Prof. Dr. Nieamah Dahsh Farhan Al- Tae
University of Baghdad
College of Education Ibn Rushd

Asst. Prof. Dr. Ahmed Hussein Abdel Sada
University of Muthanna
College Of Education For Human Sciences

Dr. Haidar Hadi Khalkal Al Shaibani
Directorate of Education - Najaf Ashraf

Copy Editors (Arabic)

Asst. Lectur. Ammar Hassan Al Khozai

Asst. Lectur. Ali Abbas Al-Rubaie

Financial and Management

Ahmed Adnan Al-Muamar
Zaman Jaafar Kadhim
Ali Jassim Mohammed Ali

Copy Editors (English)

Hassan Ali Abd AL-Ameer

Design And Production

Ahmed Abbas Mahdi



Editor-In-Chief

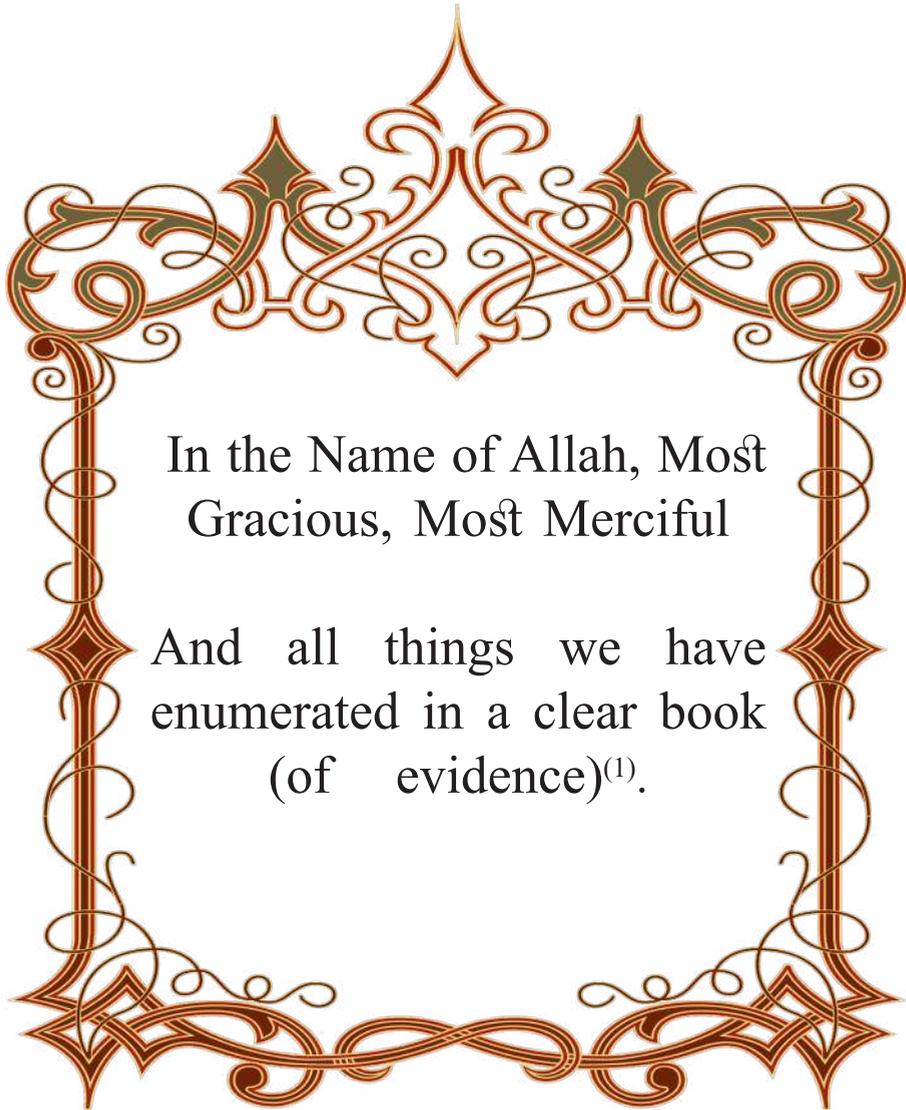
Prof. Dr. Abbas Ali Hussein Al-Faham
University of Kufa- College of Education for Girls



Managing Editor

Prof. Dr. Ali Abdel Fattah El Hadj Farhood
Babylon University
College of Education for Human Sciences





In the Name of Allah, Most
Gracious, Most Merciful

And all things we have
enumerated in a clear book
(of evidence)⁽¹⁾.

1- Abodullah Yussif Ali, The
Holy Quran, Text Translation
and Comment,(Kuwait:
That El-salasil,1989) , Iyat
12,Sura, Yasin.

AL-MUBEEN

Quarterly Adjudicated Journal

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence
(Nahj Albalagha) and the chronicle of Imam Ali (a.s)
And his thought

Issued By

General Secretariat of the Holy Al-hussien Shrine

Nahjul Balagha Sciences Foundation

Licensed by

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Reliable for Scientific Promotion

Fourth Year. Ninth Edition \ Rabi I 1441- November 2019